



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آيات الغدير

كاتب:

مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه - برعايه آيه الله
السيستاني

نشرت في الطباعة:

مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	آيات الغدير: بحث فى خطب حجه الوداع و تفسير آيات الغدير
١٢	اشاره
١٢	اشاره
١٤	مقدمه
٢٠	الفصل الأول : بحوث تمهيديه لتفسير آيه العصمه من الناس
٢٠	خلاصه آيات الغدير الثلاث
٢١	قال أبو عبيد الهروى فى كتابه غريب القرآن :
٢٤	البحث الأول: خلفه النبى صلى الله عليه و آله كانت مطروحه فى حياته
٢٤	اشاره
٢٤	ففى سيره ابن هشام : ٢ / ٢٨٩ :
٢٧	ففى صحيح البخارى : ٨ / ١٢٢
٢٧	ورواه البيهقى فى سننه : ٨ / ١٤٥
٢٨	قال فى مجمع الزوائد : ٦ / ٤٩
٢٩	فقد قال السيوطى فى الدر المنثور : ٥ / ٩٧
٣١	قال الأمينى فى الغدير : ١ / ٢٠٧
٣١	وقال الأمينى : ٢ / ٢٧٩
٣٣	وفى دعائم الإسلام للقاضى النعمان المغربى : ١ / ١٥
٣٦	البحث الثانى: النبى صلى الله عليه و آله يبشر بالأئمه الإثنى عشر من بعده
٣٦	اشاره
٣٨	روى البخارى فى صحيحه : ٨ / ١٢٧ :
٣٨	وفى صحيح مسلم : ٦ / ٣ :
٤١	وفى الصواعق المحرقه لابن حجر / ٢٠ قال :
٤٢	الأولى : هل أن أصل كلهم من قريش : كلهم من عترتى !

- ٤٢ اشاره
- ٤٣ وفى معجم الطبرانى الكبير : ٢ / ٢١٣ - ٢١٤ ح ١٧٩٤
- ٤٤ فى مجمع الزوائد : ٣ / ٢٧٠
- ٤٧ الثانىه : لا يصح الوعد الالهى بقياده مجهوله !
- ٤٨ الثالثه : من قريش ، لكن من عتره النبى صلى الله عليه و آله
- ٤٨ اشاره
- ٤٩ وفى صحيح البخارى : ٥ / ٦
- ٤٩ الرابعه : أحاديث النبى صلى الله عليه و آله تفسر حديث الإثنى عشر
- ٥٠ الخامسه : اثنا عشر إماماً واثنا عشر شهراً
- ٥٣ السادسه : راوى الحديث جابر السوائى
- ٥٤ السابعه : درجات الصحه التى أعطوها للأحاديث الثلاثه
- ٥٥ الثامنه : تضارب متون الأحاديث الثلاثه
- ٥٧ التاسعه : الأئمه الإثنا عشر لا يحتاجون الى اختيار ولا بيعه
- ٥٨ العاشره : قرشييه الحديث ألقاها عمر فى البحر
- ٥٨ اشاره
- ٥٩ موقف الوهابيين من شرط القرشييه فى الحاكم
- ٦١ الحاديه عشره : تخطيط الشراح فى تفسير الأئمه الإثنى عشر
- ٦١ اشاره
- ٨٢ تورط الشراح فى حديث سفينه
- ٨٧ الثانىه عشره : نماذج من أحاديثنا فى الأئمه الإثنى عشر :
- ٩٤ البحث الثالث: الأسس الإسلاميه فى خطب الوداع
- ٩٤ اشاره
- ١١٨ الأساس الثانى : وحده الأمه الإسلاميه
- ١٢٤ الأساس الثالث : وحده شريعته المسلميه وثقافتهم
- ١٢٥ الأساس الرابع : مبادئ مسيرته الدوله والحكم بعد النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)
- ١٣٦ الأساس الخامس : عقوبه المخالفين للوصيه النبويه بأهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

١٤٥	البحث الرابع: حاجة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ رسالاتهم الى حمايه الناس
١٤٥	اشاره
١٤٥	معنى التبليغ في القرآن
١٤٧	مهمه نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في التبليغ
١٥٣	البحث الخامس: قريش هي السبب في حاجة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الى عصمه إضافيه
١٥٣	اشاره
١٥٣	قريش منجم الفراعنه
١٥٦	قبائل قريش
١٦٧	قريش بعد فتح مكه
١٧١	قريش تتمحور حول زعامه سهيل بن عمرو
١٧٤	سهيل بن عمرو يحاول الإستقلال!
١٨٢	أثر هذه الحادثه على قريش
١٨٣	الخليفه عمر يشهد بفساد قريش!
١٨٥	الفصل الثاني: آيه الأمر بالتبليغ
١٨٥	نص الآيه مع سياقها
١٨٦	مكان الآيه في القرآن
١٨٦	أقوال العلماء السنين
١٨٧	القول الأول
١٨٧	اشاره
١٨٨	روايات (يقال) التي ذكرها الشافعي
١٨٨	روايات (يقال) تتحول الى رأى يتبناه العلماء!
١٩٢	القول الثاني
١٩٧	القول الثالث
٢٠٠	القول الرابع
٢٠١	القول الخامس
٢٠٦	القول السادس

- ٢٠٦ القول الموافق لرأى لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) .
- ٢١٠ الوهابيون وحديث الغدير
- ٢١٨ رأى أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في الآية
- ٢٢٢ ملاحظات عامه حول الأقوال المخالفه
- ٢٢٢ الملاحظه الأولى :
- ٢٢٣ الملاحظه الثانيه :
- ٢٢٣ الملاحظه الثالثه :
- ٢٢٣ تقييم الأقوال المخالفه على ضوء الآية
- ٢٢٤ المسأله الثانيه : فيما يصحح الشرط والمشروط به في التبليغ :
- ٢٢٥ المسأله الثالثه : في نوع تخوف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) :
- ٢٢٥ المسأله الرابعه : في معنى الناس في الآية :
- ٢٢٦ المسأله الخامسه : في معنى العصمه من الناس :
- ٢٢٧ مسألتان تتعلقان بآيه العصمه من الناس
- ٢٢٧ اشاره
- ٢٢٧ المسأله الأولى : محاربه على عليه السلام بآيه تبليغ ولايته :
- ٢٣١ المسأله الثانيه : الرد بالآيه على من زعم أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد سُجِرَ :
- ٢٣٧ الفصل الثالث: قصة الغدير
- ٢٣٧ قريش في حجه الوداع
- ٢٣٩ نتائج حجه الوداع
- ٢٣٩ الوحي يضغط على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من السماء وقريش من الأرض
- ٢٤٠ الوحي يوقف القافلة النبويه
- ٢٤٨ لماذا الجحفه وغدير خم
- ٢٥١ المنطق النبوي حقق أهدافه وفضح قريشاً
- ٢٥٤ وهل ترك أبى يوم غدير خمّ لأحدٍ عذراً!! (الخصال / ١٧٣)
- ٢٥٦ الفصل الرابع: آيه إكمال الدين
- ٢٥٦ آخر ما نزل من القرآن

- ٢٥٧ سورة المائدة آخر ما نزل من القرآن
- ٢٥٨ رأى أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)
- ٢٥٩ مصادر السنيين الموافقه لرأى أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)
- ٢٦١ الآراء المخالفه والمتناقضه
- ٢٦٢ كيف نشأت هذه الآراء المتناقضه
- ٢٦٤ دلالة هاتين القصتين
- ٢٦٧ بقيه الأقوال :
- ٢٧٣ نص الآية الكريمة
- ٢٧٣ آيه إكمال الدين واللحوم المحرمه
- ٢٧٤ القول الأول
- ٢٧٨ القول الثانى
- ٢٨١ القول الثالث
- ٢٨٥ الموقف العلمى فى سبب نزول الآية
- ٣٠٢ الفصل الخامس: آيه : سأل سائل بعذاب واقع
- ٣٠٢ اشاره
- ٣٠٢ أحداث كانت وراءها قريش
- ٣٠٩ استنفار قريش بعد الغدير
- ٣١١ أحجار من السماء للناطقين باسم قريش
- ٣١٢ المسأله الأولى : فى أن مصادر السنيين روت هذا الحديث
- ٣١٢ اشاره
- ٣١٣ قال فى مناقب آل أبى طالب ٢ / ٢٤٠ :
- ٣١٤ المسأله الثانيه : هل أن سوره المعارج مكيه أو مدنيه
- ٣١٨ المسأله الثالثه : هل العذاب فى سوره المعارج دنيوى أم أخروى
- ٣٢١ المسأله الرابعه : موقف السنيين من الحديث
- ٣٢١ اشاره
- ٣٢٢ نماذج من تفسيرات السنيين لآيه : سأل سائل

- المسألة الخامسة : موقف النواصب من حديث حجر السجيل ٣٢٦
- اشاره ٣٢٦
- وقد نقل صاحب تفسير المنار في ٦ / ٤٦٤ وما بعدها عن تفسير الثعلبي : ٣٢٧
- المسألة السادسة : طرق وأسانيد حديث حجر الغدير ٣٣٦
- أولاً : طرق وأسانيد المصادر السنية ٣٣٦
- اشاره ٣٣٦
- سندا القاضى الحسكاني الى ابن عيينه ٣٣٨
- الطريق الثالث : للقاضى الحسكاني عن جابر الجعفي ٣٤٠
- الطريق الرابع : للقاضى الحسكاني عن حذيفه بن اليمان ٣٤١
- الطريق الخامس : للقاضى الحسكاني عن أبي هريره ٣٤١
- ثانياً : طرق وأسانيد مصادرنا الى سفيان بن عيينه ٣٤٢
- أسانيد فرات بن ابراهيم الكوفي الى سفيان بن عيينه ٣٤٢
- أسانيد محمد بن العباس الى سفيان بن عيينه ٣٤٣
- سند الشريف المرتضى الى سفيان بن عيينه ٣٤٤
- سند منتجب الدين الرازي الى سفيان بن عيينه ٣٤٤
- سند الطبرسي الى سفيان بن عيينه ٣٤٥
- ثالثاً : طرق وأسانيد من مصادرنا من غير طريق سفيان بن عيينه ٣٤٦
- أسانيد محمد بن يعقوب الكليني ٣٤٦
- أسانيد فرات بن ابراهيم الكوفي ٣٤٧
- سندا محمد بن العباس ٣٥٠
- سند جامع الأخبار ٣٥١
- سند مدينه المعاجز للبحراني ٣٥٢
- روايه المناقب لابن شهر آشوب ٣٥٤
- روايه على بن ابراهيم القمي ٣٥٥
- النتيجه صحه أصل الحديث ، وتعدد العقاب الإلهي ٣٥٦
- المسألة السابعة : عشره سأل سائل بعداذ واقع ٣٥٧

- ٣٥٧ اشاره
- ٣٥٨ الحسد القديم وحلف لعقه الدم
- ٣٦١ بنو عبد الدار أصحاب لواء قريش
- ٣٦٢ بنو عبد الدار علموا قريشاً فنأ في الدفاع
- ٣٦٣ النضر بن الحارث رئيس بني عبد الدار
- ٣٦٥ وكان النضر عضو مجلس الفراعنه المتأمرين على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)
- ٣٦٧ وكان النضر رسول قريش الى اليهود
- ٣٦٨ كاتب الصحيفه الملعونه الأولى ضد بني هاشم
- ٣٦٨ وقال ابن واضح اليعقوبى فى تاريخه : ٣١ / ٢
- ٣٧٠ وكان النضر من المطعمين جيش قريش فى بدر
- ٣٧٠ نهايه الأول من فراعنه سأل سائل
- ٣٧٣ النضير بن الحارث أخ النضر ووارثه
- ٣٧٤ رواه قريش يجعلون النضير مسلماً مهاجراً شهيداً!
- ٣٧٤ هل اعترض النضير على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مثل أخيه وابن أخيه ؟
- ٣٧٦ الأفجران من قريش أو ... الأفجرون ؟
- ٣٧٨ تعريف مركز

آیات الغدير: بحث فی خطب حجه الوداع و تفسیر آیات الغدير

اشاره

عنوان و نام پدیدآور: آیات الغدير: بحث فی خطب حجه الوداع و تفسیر آیات الغدير/ قام باعداده مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه ، برعایه السیستانی

مشخصات نشر: قم: مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه ، ۱۴۱۹ق . = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ص ۳۵۸

شابک: ۹۶۴-۳۱۹-۱۵۱-۶-۷۰۰۰ریال؛ ۹۶۴-۳۱۹-۱۵۱-۶-۷۰۰۰ریال

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: کتابنامه: ص. [۳۶۵] - ۳۷۴

یادداشت: عربی

موضوع: غدیر خم، خطبه -- نقد و تفسیر

موضوع: غدیر خم -- جنبه های قرآنی

موضوع: احادیث خاص (غدیر)

شناسه افزوده: حسینی سیستانی، علی، ۱۳۰۹ -، ناظر

شناسه افزوده: مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه

رده بندی کنگره: ۹۲/ BP۲۲۳/۵

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۵۲

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۸-۱۵۹۴۳

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

توجد ثلاث مسائل في عمل الأنبياء والرسل (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لم يعطها الباحثون حقها في تدوين سيرتهم ، ودراسه أعمالهم :

المسألة الأولى : أن أصل مهمتهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هو تبليغ الناس رساله ربهم فقط .. فالمحور الذي تدور عليه أعمالهم هو التبليغ والأداء ، من أجل إقامة الحجة لربهم عز وجل على عباده ..

فالرسول مبلغ رساله ومؤديها .. وهو يتقى ربه سبحانه ويخاف من غضبه وعذابه إن هو قصر في الأداء ، أو خالف حرفاً مما كلف بأن يؤديه !

ولذا تراه يُشْهِدُ الناس على أنه أدى اليهم ، ليشهدوا له عند ربه.

والرسول مبلغ ، وليس له إجبار الناس على قبول الهدى ، ولا على الإلتزام به .. ولا يمكنه ذلك.

فلا- إكراه في الدين الالهى .. وحرية الناس يجب أن تبقى محفوظة ، ليؤمنوا إن شاءوا أو يكفروا .. ويلتزموا بالدين أو ينحرفوا عنه .. لأن ذلك معنى فتح مدرسه الحياه فى هذه الدار ، وامتحان الناس بالهدى والضلال ، وإعطائهم القدره على فعل الخير أو الشر .. ثم محاسبتهم فى مرحله لاحقه فى دارٍ أخرى.

وإجبارهم يتنافى مع أصول الإمتحان ، وما يلزمه من حرية اختيار.

* *

والمسأله الثانيه : أن هدف الأنبياء والرسل (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يتركز على القضايا (الكبرى) فى حياه الناس ومسار المجتمعات .. فالرسول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مهندسُ ربانى ، ولكنه مهندسُ مدنٍ ومجتمع ، ومسيره تاريخ.

وأعماله يجب أن ينظر إليها بهذا المنظار ، وأن تقاس بهذا المقياس ، وأن يسأل الباحث نفسه : ماذا كان سيحدث فى ثقافه الناس ومسار التاريخ ، لو لم يبعث هذا الرسول ، وماذا حدث بسبب بعثته وأدائه لرسالته ؟

أو يسأل نفسه : كيف كانت حاله العالم الوثنيه اليوم ، لو لم يبعث إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ويرسى أساس التوحيد ، ويزرع كلياته فى مسيره المجتمع الإنسانى ؟!

أو كيف كانت حاله الجزيره العربيه ، والبلاد العربيه ، والعالم فى عصرنا ، لو لم يبعث نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولم يحدث هذا المد الأخير من التوحيد والحضاره ؟!

لقد كان عمله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تكوين أمه ، ودفعها لتأخذ موقعها فى مصاف أمم العالم ، بل فى ريادةها .. بأحسن ما يمكن من مقومات الأمم ، مضموناً وشكلاً ..

كان عمله إنشاء سفينه ، وإطلاقها فى بحر شعوب العالم وفى مجرى التاريخ .. وكان حريصاً أن يكون ربانها بعده أهل بيته ، الذين اصطفاهم الله وطهرهم ، وأورثهم الكتاب .. ولكن إن لم تقبل الأمم بقيادتهم ، فليكن الربان من يكون ، حتى يبلغ الله أمره فى هذه الأمم ، ثم يبعث فيها المهدي الموعود (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ص: ٤

والمسأله الثالثه : أن الجانب الذاتى فى الرسول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) موجودٌ ومؤثرٌ دون شك ، فهو مفكرٌ ، نايعٌ ، مخططٌ ، فاعلٌ مختار .. ولكن الذاتيه فى عمله ضئيله جداً !

وما يقابل الذاتيه هنا ليس الآليه ، فإن إطاعه الرسول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما يوحى اليه إنما هو عن قناعه ، وإيمانٍ ، وتَعَبُّدٍ.

الرسول يجتهد فى أمورٍ ، شخصيه أو عامه .. ولكن مساحه الأمور التى يسمح لنفسه أن يجتهد فيها ويعمل فيها برأيه ، جزءٌ قليلٌ من مساحه عمله الواسع الكبير !

فمثله كممثل مهندسٍ أرسله رئيسه لتنفيذ مشروع كبير ، وهو مقتنعٌ أن عليه أن يتصل دائماً برئيسه ، ليأخذ منه التعليمات الحكيمه الصحيحه ، حتى لا يقع فى أخطاء ضاره .. فهو يعمل ويفكر وينفذ ، ولكنه على اتصالٍ دائمٍ بمركزه ، يأخذ منه مراحل الخارطة ، ويستشيرها فى رفع إشكالات التنفيذ !

وهذا المثل لمهمه هذا المهندس ، مصغراً آلاف المرات عن مهمه الرسول (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

أما مركز هدايه الرسول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فلا يقاس أحدٌ بالله سبحانه ، ولا فعل أحدٍ بأفعاله.

**

وعلى هذا ، يجب علينا فى دراسه سيره نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن ندخل فى حسابنا هذه الأمور الثلاثه : أنه مبلغٌ ما أمر به . وأن عمله إنشاءً أمه وإطلاقها فى مسيره التاريخ . وأن عمله دائماً بتوجيه ربه ، وليس من عند نفسه ..

والمتأمل فى سيرته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يلمس هذه الحقيقه لمساً ، وأن الله تعالى كان يدير أمره من أول يومٍ الى آخر يومٍ ، وكان هو يطيع وينفذ .. مسلماً أمره الى ربه ، متوكلاً عليه ، راضياً بقضائه وقدره ..

ولذا جاءت النتائج فوق ما يتصور العقل البشرى ، وفوق ما يمكن لكل مهندسى المجتمعات ، ومنشئى الأمم ، ومؤسسى الحضارات ..

لقد استطاع الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يحدث مداً عقائدياً حضارياً عالمياً فى أقل مداه ،

ص: ٥

وأقل كلفه من الخسائر البشرية والمادية .. فرغم شراسه الأعداء والحروب لم تبلغ قتلى الطرفين ألف قتيل !!

وما ذلك إلا بسبب أن إداره الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت من ربه عز وجل ..

لقد كان القرآن ينزل عليه باستمرار من أول بعثته الى قرب وفاته ، وكان جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يأتيه دائماً ، بآيات قرآنٍ أو وحيٍ غير القرآن ، وأوامر وتوجيهات وأجوبه .. الخ.

وما أكثر الأمثلة في سيرته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على ذلك ، فهي مليئه بالتدخل الالهي والرعايه في كبير أموره وصغيرها .. وهي تدل على أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ما كان يتصرف من عند نفسه إلا- في تطبيق الخطوط العامه التي أوحيت اليه ، أو تنفيذ الأوامر التفصيليه التي بلغه إياها جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .. وكثيراً ما كان يتوقف عن العمل ، ينتظر الوحي !

وقد ورد أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال : أوتيت الكتاب ومثله معه ، أى ما كان جبرئيل يأتيه به من السنن - الإيضاح / ٢١٥ ، وأن جبرئيل كان ينزل عليه بالسنة كما ينزل بالقرآن - الدارمي : ١ / ١٤٥ .

وكانت هذه التوجيهات كانت تشمل أموره الشخصيه أيضاً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، من زواجه وطلاقه ، ولباسه وطعامه ، ونومه ويقظته ، ووضوئه وسواكه ، فضلاً عن عطائه ومنعه ، وحبه وبغضه .. كما كانت شامله لحالات حله وترحاله ، ورضاه وغضبه ..

- روى في الكافي : ٣٩ / ٤ ، عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قصه شخص كافر جاء يحاج النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ويكذبه ويؤذيه ويتهدده ، قال : (فغضب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى التوى عرق الغضب بين عينيه ، وتربّد وجهه ، وأطرق الى الأرض ، فأتاه جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال : ربك يقرؤك السلام ويقول لك : هذا رجلٌ سخّيّ يطعم الطعام. فسكن عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الغضب ورفع رأسه ، وقال له :

لو لا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخّيّ تطعم الطعام ، لشردت بك ، وجعلتك حديثاً لمن خلفك !

فقال له الرجل : وإن ربك ليحب السخاء ؟

فقال : نعم.

فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا رددتُ من مالى أحداً. انتهى.

- وروى فى الكافى : ١ / ٢٨٩ ، أن شخصاً سأل الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال :

حدثنى عن ولايه على ، أمن الله أو من رسوله ؟

فغضب ! ثم قال : ويحك ! كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أخوف (الله) من أن يقول ما لم يأمره به الله ! بل افترضها الله ، كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج. انتهى.

ولا نطيل الكلام بأمثله ذلك ، فهى موضوع مهمٌ لرساله دكتوراه ، بل لعدة رسائل.

**

والخلافه بعد النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) موضوعٌ بسيطٌ وليس معقداً ..

فقد قال أهل البيت وشيعتهم إن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نصب علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولياً للمسلمين من بعده ، وأن ذلك كان بأمر ربه عز وجل ، فلا مجال فيه لاختيار قريشٍ أو غير قريش.

وقالت قريش إنه لم ينصب أحداً ، ولم يوص الى أحد ، وأن (سلطانه) ترثه كل قبائل قريش الثلاث وعشرين ، لأنه ابن قريش.

لذلك اختارت قريش بعده قرشياً من قبيله تيم هو أبو بكر ، ثم اختار أبو بكر قرشياً من قبيله عدي هو عمر ، ثم اختار عمر بواسطة الشورى قرشياً ثالثاً من بنى أميه هو عثمان ..

ولم يختاروا خليفه من الأنصار ، لأنه ليسوا قرشيين فلا حق لهم فى سلطان محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولم يختاروا من بنى هاشم ، لأن حقهم فى سلطانه ليس أكثر من غيرهم من قبائل قريش ، ولم تختارهم أكثرية قبائل قريش !

إنه موضوع بسيط ، يدور حول وجود النص وعدم وجوده .. ولكنه موضوعٌ شائكٌ لا تحب فتحه قريش ، لأنه يضع نظام خلافتها تحت الإستفهام .. وإذا فَتَحْتُهُ

ص: ٧

حذرك القرشيون وقالوا لك : إنه صعبٌ معقد ، وأفتوا لك بأن الكلام فيه حرام !

وآيات الغدير ، جزءٌ من مجموع الآيات التي نزلت في علي وأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وقد أُلْفَ قدماء المفسرين والمحدثين حتى السنين منهم ، كتباً خاصة في الآيات التي أنزلها الله تعالى في أهل بيت نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وفي الأحاديث التي قالها فيهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذي لا ينطق عن الهوى ! نذكر منها كتاب الحافظ أبي نعيم الأصفهاني باسم (ما نزل في علي من القرآن) ، وكتاب النسائي صاحب الصحيح باسم (خصائص أمير المؤمنين علي) ، وهما كتابان معروفان مطبوعان ..

وأثناء بحثنا لآيات الغدير الثلاث : « بلغ ما أنزل اليك من ربك » و « اليوم أكملت لكم دينكم » و « سأل سائل بعذاب واقع » وجدناها مرتبطة بخطب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حجه الوداع ارتباطاً وثيقاً ، فكان لا بد أن يشمل موضوعنا بحثاً في هذه الخطب الست ! وما فيها من تبليغ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الأمة وجوب اتباع الثقلين من بعده : القرآن والعتره ، وبشارته الأمة في خطبه عرفات بأن الله تعالى حل مشكله الحكم فيها ، واختار لها من بعده اثني عشر إماماً ربانياً ..

كذلك كان من اللازم أن نبث العلاقة التي كانت قائمه بين النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وزعماء قريش في قضيه حكم أهل بيته من بعده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وقد اخترنا للكتاب اسم (آيات الغدير) رغم اشتماله على هذه الموضوعات ، لأنه الإسم الأنسب لها ، وإن زادت عن تفسير آيات الغدير بالمعنى الإصطلاحى.

نرجو أن تكون بحثاً مفيداً ، وأن ينفعنا الله تعالى بها في آخرتنا ، ويشملنا بسببها في شفاعه النبي وآله الطاهرين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

مركز المصطفى للدراسات الإسلاميه

على الكوراني العاملى

فى الثالث عشر من رجب المكرم ١٤١٩

ص: ٨

خلاصه آيات الغدير الثلاث

أمر الله تعالى رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قبل حجه الوداع ، أن يدل أمتة على حجهم ، كما دلهم على صلاتهم ، وزكاتهم ، وصومهم ، وأن يدلهم على إمامهم من بعده ويعلن عهده الى وصيه من عترته ، وينصبه علماً لأمتة .. لأنه تعالى لم يقبض نبياً من أنبيائه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إلا بعد أن يكمل له دينه ، ويورث الكتاب الالهي لوصيه ، وينصبه علماً لأمتة.

ودعا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) المسلمين الى الحج معه ، ليعلمهم مناسك حجهم ، ويقيم لهم علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) علماً من بعده .. ولكنه كان يخشى أن تعارض ذلك قريش ، لحسدها القديم لبني هاشم ، وأن يطعنوا في نبوته ، ويتهموه بأنه يريد تأسيس ملك لأسرته كملك كسرى وقيصر .. فيؤدى ذلك الى حدوث حركة رده في الأمة.

وحج النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حجه الوداع ، وبلغ الأمة فريضة الحج ، وخطب في مكة وعرفات ومنى خمس خطب .. بين فيها للأمة معالم دينها ، وبشرها بالأئمة الإثني عشر من أهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وشدد على أنه لا أمان للمسلمين من الضلال إلا بالتمسك بالثقلين : القرآن والعتره.

كما حذرهم من الأئمة المضلين ، وأصحابه الذين سينقلبون من بعده على أعقابهم ، فيمنعهم الله تعالى من ورود حوضه يوم القيامة.

وبسبب حساسية قريش ، لم يكرس النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولايه العتره الطاهره بشكل رسمي ولم يأخذ البيعه من المسلمين لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وفى طريق عودته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من حجه الوداع نزل عليه جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقوله تعالى بالآيه الأولى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... الخ » فأوقف النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) المسلمين فى الجحفة عند غدیر خم ، وبلغهم ما أمره به ربه ، وأصعد علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) معه على المنبر ، ورفع بيده معلناً ولايته من بعده ، وأمر أن تنصب له خيمه ، وأن يهنئه المسلمون بالولاية ، فهنؤوه وبايعوه .. فنزلت عند ذلك آيه إكمال الدين وإتمام النعمة بولاية العتره الطاهره ، وهى قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ... الخ. وذلك فى يوم الغدير الثامن عشر من ذى الحجه.

وقبل وصول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى المدينة وبعده ، بدأت تحركات قريش والمنافقين ، ولكن الله تعالى أحبطها ، وعصم رسوله من ارتداد الأمة على نبوته فى حياته ، وذلك بوسائل متعددة ، كان منها أن أنزل العقاب على عدد من المعترضين على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وكان أحدهم جابر بن النضر بن الحارث من بنى عبد الدار ، الذى كان أبوه زعيم بنى عبد الدار ، وحامل لواء قريش يوم بدر.

قال أبو عبيد الهروى فى كتابه غريب القرآن :

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم غدیر خم ما بلغ ، وشاع ذلك فى البلاد ، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلده العبدرى ، فقال :

يا محمد ! أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وبالصلاه ، والصوم ، والحج ، والزكاه ، فقبلنا منك. ثم لم ترض بذلك ، حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلى مولاه ! فهذا شىء منك أم من الله !؟

فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : والله الذي لا إله إلا هو ، إِنَّ هَذَا مِنْ اللَّهِ.

فولى جابر يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر ، فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى : سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ .. الخ.

ومع أن عدداً من مصادر السنين توافقتنا على تفسير الآيات الثلاث بقصه الغدير وإعلان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولايه على والعترة الطاهره (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) .. ولكن أكثر مفسريهم ومحدثيهم فسروها بوجه أخرى ، متعددٍ ومتضاربٍ ، كما سترى.

لذلك حررنا بعض البحوث التمهيديه اللازمه لتفسير هذه الآيات الكريمه.

**

ص: ١١

البحث الأول: خلافة النبي صلى الله عليه وآله كانت مطروحة في حياته

إشاره

مضافاً الى منطق الأمور ، توجد أدلة ملموسة تدل على أن الخلافة وولايه الأمر بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت مطروحة من أول بعثته والى آخر حياته الشريفه ، وأن الكلام كان يجرى فى من يخلفه بشكل طبيعى .. لا كما تقول مصادر السنين من أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يوص الى أحد ، وأن المسلمين لم يطرحوا هذا الموضوع معه أبداً ، ولا سألوه عنه حتى مجرد سؤال !!

وهذه الأدله غير ما ثبت من نصوص النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على إمامه العتره من بعده (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

الدليل الأول : ماورد فى سيره النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من أنه كان يعرض نفسه على القبائل فى أول بعثته ، ويطلب منها أن تحميه لكى يبلغ رساله ربه .. وأن بعض القبائل قبلت عرضه بشرط أن يكون الأمر لها من بعده ، فأجابها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنه مجرد رسول والأمر ليس له ، بل هو لله تعالى يجعله لمن يريد !

وأبرز ما وجدنا من ذلك : حديث بنى عامر بن صعصعه ، وحديث كنده ، وكلاهما فى أول البعثه ، وحديث عامر بن الطفيل ، وهو فى أواخر حياه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

فى سيره ابن هشام : ٢ / ٢٨٩ :

أتى بنى عامر بن صعصعه فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال

ص: ١٣

له رجل منهم يقال له بيحره بن فراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال : الأمر الى الله ، يضعه حيث يشاء .

قال فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ! فأبوا عليه .

فلما صدر الناس ، رجعت بنو عامر الى شيخ لهم ، قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبي يدعوننا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا ، قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلافٍ ؟! هل لذنا بها من مُطلب ؟! والذى نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلى قط ، وإنما لحق ، فأين رأيكم كان عنكم ! انتهى .

ورواه الطبرى فى تاريخه : ٢ / ٨٤ ، وابن كثير فى سيرته : ٢ / ١٥٨ ، وحكاه فى الغدير : ٧ / ١٣٤ ، عن سيره ابن هشام : ٢ / ٣٢ ، والروض الأنف : ١ / ٢٦٤ ، وبهجه المحافل لعماد الدين العامرى ١ / ١٢٨ ، والسيره الحلبيه : ٢ / ٣ ، وسيره زينى دحلان : ١ / ٣٠٢ ، بهامش الحلبيه ، وحياه محمد لهيكل / ١٥٢ .

وأما حديث قبيله كنده ، فرواه ابن كثير فى سيرته : ٢ / ١٥٩ قال :

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثنى أبى عن أشياخ قومه ، أن كنده قالت له : إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملك لله ، يجعله حيث يشاء .

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به ! انتهى .

وأما حديث عامر بن الطفيل شيخ مشايخ قبائل غطفان ، فرواه ابن كثير أيضاً فى سيرته : ٤ / ١١٤ ، قال :

عن ابن عباس أن أربيد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب ، وعامر بن الطفيل بن مالك ، قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهاها إليه وهو جالس ، فجلسا بين يديه : فقال عامر بن الطفيل :

- يا محمد ، ما تجعل لى إن أسلمت ؟

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم .

- قال عامر : أتجعل لى الأمر إن أسلمت ، من بعدك ؟

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك لك ، ولا لقومك ، ولكن لك أعنه الخيل .

- قال : أنا الآن فى أعنه خيل نجد ، إجعل لى الوبر ، ولك المَدَر .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا .

- فلما قفل من عنده ، قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً !

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يمنعك الله .

- وفى ص ١١٢ ، قال : وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخيرك بين ثلاث خصال : يكون لك أهل السهل ويكون لى أهل الوبر ، وأكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء !

قال فَطَعَنَ (أصيب بالطاعون) فى بيت امرأه فقال : أُغَدَّةُ كغده البعير ، وموتٌ فى بيت امرأه من بنى فلان ! (وفى روايه فى بيت سلوليه) ائتونى بفرسى ، فركب ، فمات على ظهر فرسه !. انتهى .

الدليل الثانى : أن بيعه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) للأَنْصَارِ تضمنت ثلاثه شروط :

الأول : أن يحموه مما يحمون منه أنفسهم .

الثانى : أن يحموا أهل بيته وذريته مما يحمون منه أهل بيوتهم وذراريتهم .

الثالث : أن لا ينازعوا الأمر أهله .

وهذا يعنى أن يطيعوا من يختاره الله تعالى للقيادة بعد نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأن مبدأ الإختيار الالهى للأئمه بعد النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان مفروغاً عنه من أول الرساله .

وقد فت الأنصار بالشرط الأول خير وفاء ، ولكنها حثت بالشرطين الأخيرين حثاً سيئاً مع الأسف !

ففي صحيح البخارى : ٨ / ١٢٢

عن عباده بن الصامت قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى المنشط والمكروه ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا ، لا نخاف فى الله لومه لائم .

- ورواه مسلم : ١٦ / ٦ والنسائى : ١٣٧ / ٧ ، بعده روايات ، وعقد باباً بعنوان (باب البيعه على أن لا ننازع الأمر أهله)

- ورواه ابن ماجه : ٢ / ٩٥٧ ، وأحمد : ٥ / ٣١٦ ، وفى ص ٤١٥ وقال (قال سفيان : زاد بعض الناس : ما لم تروا كفراً بواحاً) . ورواه البيهقى فى سننه : ٨ / ١٤٥ .

ورروا روايات فيها الزيادة التى ذكرها سفيان ، وزيادة أخرى .. كما فى صحيح البخارى : ٨ / ٨٨ قال : دعانا النبى صلى الله عليه وسلم فبايعنا ، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرونا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثره علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم من الله فيه برهان . انتهى .

ورواه البيهقى فى سننه : ٨ / ١٤٥

- وروى أحمد فى مسنده : ٥ / ٣٢١ : عن عباده بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك السمع والطاعة ، فى عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكروهك ، وأثره عليك ، ولا تنازع الأمر أهله ، وإن رأيت أنه لك . انتهى .

وهاتان الزيادتان محل شك ، لأن البيعه كانت قبل الهجرة ، ولم يكن فيها استثناء من الطاعة ، ولم تكن مسأله إثره القرشيين على الأنصار مطروحه أبداً إلا - بعد بيعه أبى بكر ، واعتراض رئيس الأنصار صاحب السقيفه سعد بن عباده ، وما جرى له .. وهذا يوجب الاطمئنان بأن زيادتى الإستثناء والأثره نشأتا من جو علاقه الأنصار مع الخلافه القرشيه بعد وفاه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ص : ١٦

ويلاحظ أن الصحاح القرشيه أكثر من روايه شرط النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على الأنصار أن لا ينازعوا الأمر أهله ، لأجل أن تحتج عليهم بأنهم لا سهم لهم في الخلافة القرشيه .. ولكنها لم ترو شرط النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على الأنصار أن يمنعوا أهل بيته وذريته مما يمنعون منه أهليهم ، لأن ذلك في غير مصلحة الخلافة القرشيه ، التي هاجمت بيت فاطمه وعلي (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، وأشعلت فيه النار لتحرقة بمن فيه ، إن لم يخرجوا ويباعوا !

قال في مجمع الزوائد : ٤٩ / ٦

عن عباده بن الصامت أن أسعد بن زراره قال : يا أيها الناس ، هل تدرون على ما تبايعون محمداً صلى الله عليه وسلم ؟ إنكم تبايعونه أن تحاربوا العرب والعجم ، والجن والإنس ! فقالوا : نحن حرب لمن حارب ، وسلم لمن سالم . قالوا : يا رسول الله إشرط .

قال : تبايعوني على أن : تشهدوا أن لا-إله إلا-الله ، وأنى رسول الله ، وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاه ، والسمع والطاعه ، وأن لا تنازعوا الأمر أهله ، وأن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم .

وعن حسين بن علي قال : جاءت الأنصار تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبه فقال : يا علي قم فبايعهم ، فقال علي : ما أبايعهم يا رسول الله ؟

قال : على أن يطاع الله ولا يعصى ، وعلى أن تمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وذريته ، مما تمنعون منه أنفسكم وذرايركم . انتهى .

وستأتى روايته من مصادر أخرى في (مهمه نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في التبليغ) .

الدليل الثالث : حديث الدار المعروف ، الذي ورد في تفسير قوله تعالى « وأنذر عشيرتَك الأقرين » .

ولا- بد هنا من التنبيه على أمر مهم ، وهو أن مدونى السيره النبويه الشريفه طمسوا مرحله دعوه بنى هاشم من السيره ، مع أنها منصوبه فيالقرآن ، واخترعوا بدلها مرحله ما قبل بيت الأرقم ، وما بعد بيت الأرقم ... ورووا فيها الصحيح وغير

الصحيح ، والمعقول وغير المعقول !

وتدل الآيه الكريمه على أن الله تعالى أمر رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في المرحله الأولى أن يدعو بنى هاشم فقط .. فماذا فعل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في هذه المرحله ؟

وهل استمرت مدتها شهوراً ، أو سنوات ، حتى نزل الأمر بتوسيع نطاق الدعوه ؟

وما معنى الأمر الالهي : أن تكون نبوه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أولاً لبني هاشم خاصه ، وبعدها لقريش والعرب والناس عامه ؟

وما معنى أن قريشاً اتخذت قراراً بمحاصره بنى هاشم ، فالتفوا جميعاً حول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، مؤمنهم وكافرهم ، وتحملوا الحصار الشامل الذي استمر من السنه السادسه أو السابعه ، الى السنه الحاديه عشره للبعثه .. ولم يقل أحد منهم آخ !

وما معنى أنه عندما كانت تقع شدائد على المسلمين ، لا ينهض بحملها إلا بنو هاشم ؟! فقد انهزم المسلمون جميعاً في أحد ، ولم يثبت غير بنى هاشم !

ثم انهزموا في حنين وهم عشره آلاف .. فلم يثبت غير بنى هاشم !!

إن هذه الحقائق والظواهر تفسر الحديث الذي روته مصادرنا (بعثت الى أهل بيتي خاصه ، والى الناس عامه).

كما تدل آيه « أنذر عشيرتك الأقربين » على أن إنذار بنى هاشم كان مبرمجاً من الله تعالى .. ويدل حديث الدار على أن تعيين وصي النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وخليفته من بينهم ، كان عملاً مبكراً ، من ضمن ذلك البرنامج ..

فقد قال السيوطي في الدر المنثور : ٩٧ / ٥

وأخرج ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل ، من طريقٍ ، عن علي (رضي الله عنه) قال : لما نزلت هذه الآيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنذر عشيرتك الأقربين ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أنني مهما أبادؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمْتُ عليها حتى جاء

جبريل فقال : يا محمد إنك إن لم تفعل ماتؤمر به يعذبك ربك ، فاصنع لى صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاه ، واجعل لنا عساً من لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب ، حتى أكلمهم وأبلغ ما أمرت به.

ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزه والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا اليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به ، فلما وضعته تناول النبى صلى الله عليه وسلم بضعه من اللحم فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحي الصحف ، ثم قال : كلوا بسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، ما ترى إلا- آثار أصابعهم !

والله إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم.

ثم قال : إسق القوم يا على ، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً !

وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله !

فلما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بדרه أبو لهب الى الكلام ، فقال : لقد سحركم صاحبكم ! فتفرق القوم ولم يكلمهم النبى صلى الله عليه وسلم.

فلما كان الغد قال : يا على إن هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم ، فعد لنا بمثل الذى صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، ثم اجمعهم لى ، ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعانى بالطعام فقربته ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا ، ثم تكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم أحداً فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به ، إنى قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يُؤازرُنِي على أمرى هذا ؟

فقلت وأنا أحدثهم سناً : إنه أنا ، فقام القوم يضحكون.

ثم رواها السيوطى بسند آخر عن ابن مردويه عن البراء بن عازب ، قال : لما نزلت

هذه الآية : وأنذر عشيرتک الأقربین ، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبدالمطلب ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ... الخ. انتهى.

ولكن السيوطى بتر الحديث هنا ، ولم يذكر بقیه كلام النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. وهو أسلوبٌ دأب رواه خلفه قريش على ارتكابه فى حديث الدار ، لأن بقیه الحديث تقول إن الله أمر رسوله من ذلك اليوم أن يختار وزيره وخليفته من عشيرته الأقربین !

قال الأمينى فى الغدير : ٢٠٧ / ١

وها نحن نذكر لفظ الطبرى بنصه حتى يتبين الرشد من الغى قال فى تاريخه : ٢ / ٢١٧ من الطبعة الأولى : إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأیکم يوازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيکم ؟

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت وإني لأحدثهم سنأ وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً : أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي ثم قال : إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيکم ، فاسمعوا له وأطيعوا. قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرک أن تسمع لابنک وتطيع.

وقال الأمينى : ٢٧٩ / ٢

وبهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الإسكافى المتكلم المعتزلى البغدادى ، المتوفى ٢٤٠ ، فى كتابه نقض العثمانيه ، وقال : إنه روى فى الخبر الصحيح.

ورواه الفقيه برهان الدين فى (أنباء نجباء الأبناء) / ٤٦ - ٤٨

وابن الأثير فى الكامل ٢ / ٢٤

وأبو الفداء عماد الدين الدمشقى فى تاريخه ١ / ١١٦

وشهاب الدين الخفاجى فى شرح الشفا للقاضى عياض ٣ / ٣٧ (وبتراخره)

وقال : ذكر فى دلائل البيهقى وغيره بسند صحيح.

والخازن علاء الدين البغدادى فى تفسيره / ٣٩٠

والحافظ السيوطى فى جمع الجوامع ، كما فى ترتيبه ٣٩٢ / ٦

وفى / ٣٩٧ ، عن الحفاظ الستة : ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وأبى نعيم ، والبيهقى .

وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ٢٥٤ / ٣ . انتهى .

ثم شكك صاحب الغدير من الذين حرفوا الحديث لإرضاء قريش ، ومنهم الطبرى الذى رواه فى تفسيره بنفسه المتقدم فى تاريخه ، ولكنه أبهم كلام النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى حق على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال : ثم قال : إن هذا أخى ، وكذا وكذا !! .

وتبعه على ذلك ابن كثير فى البدايه والنهائيه : ٣ / ٤٠ ، وفى تفسيره : ٣ / ٣٥١ . انتهى .

- وقال فى هامش بحار الأنوار : ٣٢ / ٢٧٢ : وناهيك من ذلك مؤاخاته مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأمر من الله عز وجل فى بدء الإسلام حين نزل قوله تعالى : وأندر عشيرتك الأقربين ... راجع تاريخ الطبرى : ٢ / ٣٢١ ، كامل ابن الأثير : ٢ / ٢٤ ، تاريخ أبى الفداء : ١ / ١١٦ ، والنهج الحديدى : ٣ / ٢٥٤ ، ومسند الإمام ابن حنبل : ١ / ١٥٩ ، وجمع الجوامع ترتيبه : ٦ / ٤٠٨ ، وكنز العمال : ٦ / ٤٠١ .

وهذه المؤاخاه مع أنها كانت بأمر الله عز وجل ، إنما تحققت بصورة البيعه والمعاهده (الحلف) ولم يكن للنبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يأخذ أخاً ووزيراً وصاحباً وخليفه غيره ، ولا لعلى أن يقصر فى مؤازرته ونصرته والنصح له ولدينه ، كمؤازره هارون لموسى على ما حكاه الله عز وجل فى القرآن الكريم .

ولذلك ترى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حين يؤاخى بعد ذلك المجلس بين المهاجرين بمكة ، فىؤاخى بين كل رجل وشقيقه وشكله : يؤاخى بين عمر وأبى بكر ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود ، وبين عبيده بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص ، وبين أبى عبيده بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفه ، وبين حمزه بن عبد المطلب وزيد بن حارثه الكلبي (راجع سيره ابن هشام : ١ / ٥٠٤ المحبر / ٧١ - ٧٠ البلاذرى : ١ / ٢٧٠) يقول لعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

ص : ٢١

والذى بعثنى بالحق نبياً ما أخرجتكم إلا لنعسى ، فأنت منى بمنزله هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخى ووارثى ، وأنت معى فى قصرى فى الجنة.

ثم قال له : وإذا ذاكرت أحد فقل : أنا عبد الله وأخو رسوله ، ولا يدعيها بعدى إلا كاذب مفتر (الرياض النضره : ٢ / ١٦٨ منتخب كتز العمال : ٥ / ٤٥ و ٤٦).

ولذلك نفسه تراه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حينما عرض نفسه على القبائل فلم يرفعوا اليه رؤوسهم ، ثم عرض نفسه على بنى عامر بن صعصعه قال رجل منهم يقال له بيحره بن فراس بن عبد الله بن سلمه الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال لرسول الله : أرأيت إن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ، أياكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال : الأمر الى الله يضعه حيث يشاء.

قال فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ، لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه (راجع سيره ابن هشام : ١ / ٤٢٤ الروض الأنف : ١ / ٢٦٤ بهجه المحافل : ١ / ١٢٨ ، سيره زينى دحلان : ١ / ٣٠٢ السيره الحلبيه : ٢ / ٣). فلولا أنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان تعاهد مع على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالخلافه والوصايه بأمر من الله عز وجل قبل ذلك ، لما ردهم بهذا الكلام المؤيس ، وهو بحاجة ماسه من نصره أمثالهم. انتهى.

وفى دعائم الإسلام للقاضى النعمان المغربى : ١ / ١٥

وروينا أيضاً عن على بن أبى طالب صلى الله عليه أنه قال : لما أنزل الله عز وجل : وأنذر عشيرتكم الأقربين ، جمع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بنى عبد المطلب على فخذ شاه وقدم من لبن ، وإن فيهم يومئذ عشره ليس منهم رجل إلا- أن يأكل الجذعه ويشرب الفرق ، وهم بضع وأربعون رجلاً ، فأكلوا حتى صدروا وشربوا حتى ارتووا ، وفيهم يومئذ أبو لهب ، فقال لهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) :

يا بنى عبد المطلب أطيعونى تكونوا ملوك الأرض وحكامها ، إن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له وصياً ووزيراً ووارثاً وأخاً وولياً ، فأياكم يكون وصيى ووارثى وولى وأخى ووزيرى ؟

فسكتوا ، فجعل يعرض ذلك عليهم رجلاً رجلاً ، ليس منهم أحد يقبله ، حتى لم يبق منهم أحد غيري ، وأنا يومئذ من أحدثهم سناً ، فعرض عليّ فقلت : أنا يا رسول الله . فقال : نعم ، أنت يا علي .

فلما انصرفوا قال لهم أبو لهب : لو لم تستدلوا على سحر صاحبكم إلا بما رأيتم ، أتاكم بفخذ شاه وقدح من لبن فشبعتم ورويتم ! وجعلوا يهزؤون ويقولون لأبي طالب : قد قدم ابنك اليوم عليك . انتهى .

ولابد أن تكون حادثه دعوه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لبني هاشم قد شاعت في قريش ، ثم في العرب ، فقالوا إن النبي الجديد جمع عشيرته وأنذرهم ودعاهم الى دينه ، وإنه طلب منهم شخصاً يكون له وزيراً وخليفةً من بعده ، فأجابه ابن عمه الشاب الغلام .. فاتخذه وزيراً وخليفة !

* *

فهذه النصوص تدل على أن ولايه الأمر بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت مطروحةً ومنظورةً للناس ، من أول بعثته الى آخر حياته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. وأن كل الناس كانوا يعرفون أن مشروع النبوه ودعوه الناس اليها ، هو مشروع تكوين دوله يرأسها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وتحتاج الى خليفة له بعده . ولذلك كان ممثلو القبائل يحاولون أن يأخذوا منه وعداً بأن يكون لهم الأمر من بعده ، ومنهم ممثلون لقبائل يمانيه وعدنانيه ، وزعيم قبائل نجد المتنقله .. فكيف يصدق عاقلٌ ما زعمه زعماء قريش ، من أنهم لم يطرحوا مسأله الخلافه مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، حتى بصيغه سؤال عن الحكم الشرعى وواجب المسلمين من بعده !!

وكيف يقبل عاقل أنهم يروون عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أحاديث عن مستقبل الأمه في كل الأمور ، إلا فى أمر الخلافه والإمام الشرعى من بعده ؟!

* *

فى اعتقادنا أن ولايه الأمر بعد النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت أمراً مفروغاً عنه عنده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأن الله تعالى أمره أن يبلغ الأمه ولايه عترته من بعده ، كما هى سنته تعالى فى أنبيائه ، أن يورث عترتهم الكتاب والحكم والنبوه ..

ونبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أفضلهم ، ولا نبوه بعده ، بل إمامه ووراثه الكتاب ..

وعترته وذريته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أفضل من ذريات جميع الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وقد طهرهم الله تعالى واصطفاهم ، وأورثهم الحكم والكتاب (ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم ... ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...).

وقد كان النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طوال نبوته يبلغ ولايه عترته بالحكمه والتدريج ، والتلويح والتصريح ، لعلمه بحسد قريش لبني هاشم ، وخططها لإبعادهم عن الحكم بعده ، بل قد لمس (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مراتٍ عديده عنف قريش ضدهم ، فأجابهم بغضب نبوى !

وكانت حجه الوداع فرصه مناسبه للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لكى يبلغ الأمه ولايه الأمر لعترته رسمياً على أوسع نطاق ، حيث لم يبق بعد تبليغ الفرائض والأحكام ، واتساع الدوله الإسلاميه ، والمخاطر المحيطه بها ، وإعلان النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قرب رحيله الى ربه .. إلا أن يرتب أمر الحكم من بعده.

بل تدل النصوص ومنطق الأمور ، على أن ذلك كان هو الهم الأكبر للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حجه الوداع ، وأن قريشاً كانت تعرف جيداً ماذا يريد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وتعمل لمنع إعلان ذلك! وأنها زادت من فعاليتها في حجه الوداع لمنع تكريس ولايه على والعترة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بشكل رسمي ، وأخذ البيعه لهم من الأمة !

ولا يتسع هذا البحث للإستدلال على المفردات التي ذكرناها .. وكل مفردة منها عليها عده أدله .. بل نكتفى هنا باستطلاع خطب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حجه الوداع .. فقد ذكرت المصادر أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) خطب خمس غير خطبه الغدير ، وكان من حق هذه الخطب النبويه أن تنقلها المصادر كاملة غير منقوصه ، لأن المستمعين كانوا عشرات الألوف .. ولكنك تراها مجزأة مقتضبه ، خاصه في الصحاح المعتمده رسمياً عند الخلافة القرشيه. قال في السيره الحلبيه : ٣ / ٣٣٣ :

خطب صلى الله عليه وسلم في الحج خمس خطب : الأولى يوم السابع من ذى الحجه بمكة ، والثانيه يوم عرفه ، والثالثه يوم النحر بمنى ، والرابعه يوم القر بمنى ، والخامسه يوم النفر الأول بمنى أيضاً. انتهى.

وقد راجعنا نصوص هذه الخطب من أكثر من مئه مصدر ، فوجدنا فيها الغرائب والعجائب ، من التعارض والتضارب ، والمؤشرات والأدله على تدخلات قريش ورواتها في نصوصها !!

وكل ذنب خطب الوداع أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أمر المسلمين فيها بإطاعه أهل بيته من بعده ، وحذرهم من الإختلاف بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، وأقام عليهم الحجه ، كامله غير منقوصه !

ولكن رغم كل التعتيم القرشى ، فقد وصلنا منها في المصادر القرشيه نفسها ، ما فيه بلاغ لمن أراد معرفه أوامر نبيه ، وتأكيده على الإلتزام بقياده عترته الطاهرين من بعده .. صلى الله عليه وعليهم.

ونذكر منها فيما يلي : حديث الأئمة الإثني عشر ، حيث اتفق الجميع على أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طرح قضيتهم في خطبه على المسلمين في حجة الوداع !

ثم نستعرض أهم ما تضمنته الخطب الشريفة من محاور ، ومنها حديث الثقلين : الكتاب والعترة ، وحديث : حوض النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، والصحابه الذين يمنعون من الورد عليه ، ويؤمر بهم الى النار !

روى البخارى فى صحيحه : ٨ / ١٢٧ :

جابر بن سمره قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يكون اثنا عشر أميراً ، فقال كلمه لم أسمعها ، فقال أبى : إنه قال : كلهم من قريش !

وفى صحيح مسلم : ٦ / ٣ :

جابر بن سمره يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يزال الإسلام عزيزاً الى اثني عشر خليفه ، ثم قال كلمه لم أفهمها ، فقلت لأبى : ما قال ؟ فقال : كلهم من قريش !

ثم روى مسلم روايه ثانيه نحوها قال فيها (ثم تكلم بشيء لم أفهمه).

ثم روى ثالثه ، جاء فيها (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً الى اثني عشر خليفه ، فقال كلمه صَيَّمَنِيهَا الناس ! فقلت لأبى : ما قال ؟ قال : كلهم من قريش). انتهى .

ولم يصرح البخارى أن هذا الحديث جزءٌ من خطبه حجه الوداع فى عرفات ، وقد قلده غيره فى ذلك ، ولكن عدداً من المصادر نصت عليه !

ففى مسند أحمد : ٥ / ٩٣ و ٩٦ و ٩٩ (عن جابر بن سمره قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات ، فقال ...) وفى ص ٨٧ (يقول فى حجه الوداع). وفى ص ٩٩ منه (وقال المقدمى فى حديثه : سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يخطب بمنى). انتهى .

وستعرف أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كرر هذا الموضوع المهم فى عرفات ، وفى منى عند الجمره ، وفى مسجد الخيف .. ثم أعلنه شرعياً وصريحاً فى غدير خم !

**

فما هي قصه الأئمة الإثني عشر؟ ولماذا طرحها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على أكبر تجمع للمسلمين ، وهو يودع أمته؟!

يجيبك البخارى : إن هؤلاء ليسوا أئمة بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تجب طاعتهم ، بل هم أمراء صالحون سوف يكونون فى أمته فى زمن ما ، وأنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد أخبر أمته بما أخبره الله تعالى من أمرهم ، وأنهم جميعاً من قريش ، لا من بنى هاشم وحدهم ، بل من البضع وعشرين قبيله التى تتكون منها قريش ! وليس فيهم من الأنصار ، ولا من قبائل العرب الأخرى ، ولا من غير العرب .. وهذا كل ما فى الأمر !!

وتسأل البخارى : لماذا أخبر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أمته فى حجه الوداع فى عرفات بهؤلاء الإثني عشر؟ وما هو الأمر العملى الذى يترتب على ذلك؟!

يجيبك البخارى : بأن الموضوع مجرد إخبار فقط ، فقد أحب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يخبر أمته بذلك ، لكى تأنس به .. فكأنه مجرد خيرٍ صحفى ليس فيه أى عنصرٍ عملى !!

والنتيجة : أن البخارى لم يرو فى صحيحه فى الأئمة الإثني عشر إلا هذه الروايه اليتيمه المبهمه ، التى لا يمكنك أن تفهمها أنت ولا قومك ! بينما روى عن حيزض أم المؤمنين عائشه فى حجه الوداع روايات عديده ، واضحه مفهومه ، تبين كيف احترامها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأرسل معها من يساعدها على إحرامها وعمرتها !

* *

أما مسلم فكان أكرم من البخارى قليلاً ، لأنه اختار روايه يفهم منها أن هؤلاء الإثني عشر هم خلفاء يحكمون بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

ويفرح المسلم بحديث مسلم هذا ، لأنه يعنى أن الله تعالى قد حل مشكله الحكم فى الأمه بعد نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فهؤلاء أئمة معينون من الله تعالى على لسان نبيه ، ويستمدون شرعيتهم من هذا التعيين ، ولا يحتاج الأمر الى سقيفه واختلافات ، ثم الى صراع دموى على الحكم من صدر الإسلام الى يومنا هذا .. وملايين الضحايا .. وانقسامات فى الأمه أدت الى تراكم ضعفها .. الى أن .. انهارت خلافتها وخلفاؤها !

ولكن روايه مسلم تقول : كلا لم تحل المشكله ، لأن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أخبر عنهم إخباراً مجملاً ! ولم يخبر المسلمين عن هويتهم وأسمائهم ؟ ولم يسأله أحدٌ من عشرات الألوف الذين أخبرهم بهذا الموضوع الخطير : من هم يا رسول الله ؟!

وياليت أحدهم سأله فحددهم ، حتى تسلم قريش لهم الأمر بلا منازع !؟

يقول مسلم كما قال البخارى : كلا ، كلا .. إنهم فقط أناسٌ ربانيون ، يعز الله بهم الإسلام .. وهم من قريش .. من قريش !!

* *

وهكذا لا يمكنك أن تصل من البخارى ومسلم الى نتيجة مقنعه فى أمر هؤلاء الأئمة الإثنى عشر .. فقد أقفل الشيخان عليك الأبواب ، وقالوا لك مقوله قريش : إن نبيك تحدث فى حجه الوداع عن رائحة الأئمة الإثنى عشر فقط ، فشمها واسكت !

ولكنك لا تعدم الكشف عن عناصر مفيدة من مصادر قرشيه أخرى ، أقل مراعاة من البخارى ومسلم للسياسه وأهلها ، أو أن ظروف أصحابها أحسن من ظروفهما !

فقد روى أحمد فى مسنده : ٩٢ / ٥ ، عن نفس الراوى جابر السوائى قال : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكون (بعدى) ...

وروى فى نفس الصفحه عن نفس الراوى جابر بن سمره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون بعدى اثنا عشر خليفه ، كلهم من قريش . قال ثم رجع الى منزله ، فأتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون الهرج . انتهى .

ففى الروايتين كلمه (بعدى) والمفهوم منها أنهم يكونون بعده مباشره ، والثانيه تكشف عن اهتمام قريش بالموضوع ، وسؤالهم عن هؤلاء الأئمة الربانيين ، وأن القصه فى المدينه ، لا فى حجه الوداع ، فاحفظ ذلك لما يأتى !

وقد وردت كلمه بعدى ، ومن بعدى ، فى عدد من روايات الحديث ، منها ما رواه أحمد أيضاً فى : ٩٤ / ٥ ، عن نفس الراوى (يكون بعدى اثنا عشر أميراً ، ثم لا أدري ما قال بعد ذلك ، فسألت القوم ..)

ص : ٢٩

وفى : ٥ / ٩٩ و ١٠٨ عن السوائى أيضاً (يكون من بعدى اثنا عشر أميراً ، فتكلم فخفى على ، فسألت الذى يلينى أو الى جنبى ، فقال : كلهم من قريش).

وفى سنن الترمذى : ٣ / ٣٤٠

(يكون من بعدى اثنا عشر أميراً ، قال : ثم تكلم بشيء لم أفهمه ، فسألت الذى يلينى ، فقال قال : كلهم من قريش).

وفى تاريخ البخارى : ١ / ٤٤٦ رقم ١٤٢٦ : عن جابر بن سمره أيضاً أنه سمع النبى قال : يكون بعدى اثنا عشر خليفه .. انتهى.

وفى الصواعق المحرقة لابن حجر / ٢٠ قال :

خرَجَ أبو القاسم البغوى بسند حسن ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكون خلفى اثنا عشر خليفه. انتهى.

**

إذن ، فقد طرح النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى حجه الوداع أمر الحكم من بعده ، وأخبر عن ربه عز وجل بأن حكم الأمم الشرعى يكون لاثنى عشر !

ولكن ذلك لا يحل المشكله ، بقدر ما يفتح باب الأستله على قريش ورواتها :

السؤال الأول : لماذا نرى أن روايات هذه القضية الضخمه تكاد تكون محصوره عندهم براو واحد ، هو جابر السوائى ، الذى كان صغيراً فى حجه الوداع ، ولعله كان صبياً ابن عشر سنوات ! ألم يسمعها غيره ؟ ألم يروها غيره من كل الصحابه الذين كانوا حاضرين ؟! أم أن غيره رواها ولكن روايه جابر فازت لأنها أحسن روايه ملائمه للخلافه القرشيه ، فاعتمدها ، وسمحت بتدوينها !

السؤال الثانى : كان المسلمون يسألون النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن صغير الأمور وكبيرها ، حتى فى أثناء خطبته ، وهذه الروايات تقول إنه أخبرهم بأمر عقائدى ، عملى ، مصيرى ، مستقبلى ، وتدعى أنه أبهمه إبهاماً ، ثم لا تذكر أن أحداً من المسلمين سأله عن

ص: ٣٠

هؤلاء الأئمة الربانيين ، وما هو واجب الأمة تجاههم ؟!

وإذا كانت (قريش) قد ذهبت الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في بيته في المدينة ، كما يقول نفس الراوى ، وطرقت عليه بابه لتسأله عما يكون بعد هؤلاء الإثني عشر ، فهل يعقل أنها لم تسأله عنهم ، وعما يكون في زمانهم !

وهل تعلم أن قريشاً في المدينة تعنى عمر وأبا بكر فقط ؟!

وهل يعقل أن أحداً من المسلمين في حجة الوداع ، لم يسأل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عنهم ، ولا عما يكون قبلهم ، وبعدهم ، وعن واجب الأمة تجاههم ؟!

السؤال الثالث : لماذا خفيت على الراوى الكلمه الحساسه ، التى تحدد هويه الأئمة الإثني عشر ، حتى سأل عنها الراوى القريبين منه ؟

ثم رووها عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في المدينة أيضاً ، فخفيت نفس الكلمه !

ثم لماذا تؤكد مصادر الخلافه القرشيه على نقل الكلمه المفقوده عن سمره وعن عمر بن الخطاب فقط ؟! ... الى آخر الأسئلة التى ترد على نص هذا الحديث ، وتلج على الباحث بالسؤال.

أليس من حق الباحث أن يشك في الأمر .. وأن يبحث بنفسه عن هذه الكلمه السر المفقوده في أسواق الحديث والتاريخ ؟!

سنحاول في الملاحظات والمسائل التاليه ، تسليط الضوء على هذا السرامفقود !!

الأولى : هل أن أصل كلمهم من قريش : كلمهم من عترتى !

اشاره

ما هو السبب في غياب الكلمه على الراوى ؟ ومن الذى سأله عنها فشهد له بها ؟

- جاء في مسند أحمد : ١٠٠ / ٥ و ١٠٧ أن الراوى لم يفهم الكلمه ، وخفيت عليه قال (ثم قال كلمه لم أفهمها قلت لأبى ما قال ؟ قال : قال كلمهم من قريش)

- وفى مستدرک الحاكم : ٣ / ٦١٧ (وقال كلمه خفيت على ، وكان أبى أدنى اليه مجلساً منى فقلت ما قال ؟ فقال كلمهم من قريش).

ص: ٣١

- وفي مسند أحمد : ٥ / ٩٠ و ٩٨ أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أخفاها وخفض بها صوته ، وهمس بها همساً ! (قال كلمه خفيه لم أفهمها ، قال قلت لأبي ما قال ؟ قال قال كلهم من قريش).

- وفي مستدرک الحاكم : ٣ / ٦١٨ (ثم قال كلمه وخفض بها صوته ، فقلت لعمى وكان أمامى : ما قال يا عم ؟ قال قال يا بنى : كلهم من قريش).

وفي معجم الطبرانى الكبير : ٢ / ٢١٣ - ٢١٤ ح ١٧٩٤

عن جابر بن سمره عن النبي قال : يكون لهذه الأمه اثنا عشر قيماً ، لا يضرهم من خذلهم ، ثم همس رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بكلمه لم أسمعها ، فقلت لأبي ما الكلمه التى همس بها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبى : كلهم من قريش).

بينما تقول روايات أخرى إن الذى ضيع الكلمه هم الناس ، فالناس - المحرمون لربهم فى عرفات ، المودعون لنبيهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، المنتظرون لكل كلمه تصدر منه - صاروا كأنهم فى سوق حراج ، وصار فيهم مشاغبون يغطون عند الكلمه الحساسه ليضيعوها على المؤمنين ، فيضجون ، ويكبرون ، ويتكلمون ، ويلغظون ، ويقومون ، ويقعدون !!

- ففى سنن أبى داود : ٢ / ٣٠٩ (قال فكبر الناس ، وضجوا ، ثم قال كلمه خفيه ، قلت لأبى يا أبه ما قال ؟ قال كلهم من قريش). ومثله فى مسند أحمد : ٥ / ٩٨.

- وفي مسند أحمد : ٥ / ٩٨ (ثم قال كلمه أصمئها الناس ، فقلت لأبى ما قال ؟ قال : كلهم من قريش) وفى روايه مسلم المتقدمه (صمئها الناس).

وفى ص ٩٣ (وضج الناس).

وفى ص ٩٩ (فسمعتة يقول : لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً ، حتى يملك اثنا عشر كلهم ... ثم لغظ القوم وتكلموا ، فلم أفهم قوله بعد كلهم ، فقلت لأبى يا أبته ما بعد كلهم ؟ قال : كلهم من قريش).

وفى نفس الصفحه (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ، ينصرون على من ناوهم عليه الى اثنى عشر خليفه. قال فجعل الناس يقومون ويقعدون ...) !

أما الذين سألهم جابر بن سمره عن الكلمه ، فتقول أكثر الروايات إنه سأل أباه سمره ، فتكون الشهاده بتوسيع دائره الأئمه من هاشم الى قريش ، متوقفه على وثاقه سمره أيضاً! كما رأيت فى روايتى البخارى ومسلم ، وغيرهما.

ولكن فى روايه أحمد : ٩٢ / ٥ (بعدى اثنا عشر أميراً ، ثم لا أدري ما قال بعد ذلك ، فسألت القوم كلهم فقالوا : قال كلهم من قريش). ونحوه فى ص ٩٠ ، وفى ص ١٠٨ (يكون بعدى اثنا عشر أميراً ، قال ثم تكلم فخفى على ما قال ، قال فسألت بعض القوم ، أو الذى يلى ، ما قال؟ قال : كلهم من قريش).

- وفى : ٩٩ / ٥ (فخفى على فسألت الذى يلينى) ونحوه فى : ١٠٨ / ٥

- وفى معجم الطبرانى الكبير : ٢ / ٢٧٧ ح ٢٠٤٤ ، أن ابن سمره قال إن القوم زعموا زعماً أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال إنهم من قريش ! قال (سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يكون اثنا عشر أميراً ، ثم تكلم بشيء لم أسمعه ، فزعم القوم أنه قال : كلهم من قريش).

والواقع أنه يصعب على الإنسان أن يقبل خفاء أهم كلمه عن الأئمه الذين بشر بهم النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وفى مثل ذلك الجو الهادئ المنصت فى عرفات! ثم لايسأل أحد النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن الكلمه الخفيه التى هى لب الموضوع !

هذا وقد روى ابن سمره نفسه أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان يخطب وهو راكبٌ على ناقته ، وهذا يعنى أنه كان حريصاً على أن يوصل صوته الى الجميع !

ففى مسند أحمد : ٥ / ٨٧ (ثم خفى من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وكان أبى أقرب الى راحله رسول الله صلى الله عليه وسلم منى !

بل رووا أنه النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أمر شخصاً جهورى الصوت ، فكان يلقي خطبته جملته جملته ، ويأمره أن (يصرخ) بها لسمعها الناس !

ففى مجمع الزوائد : ٣ / ٢٧٠

عن عبد الله بن الزبير قال : كان ربيعه بن أميه بن خلف الجمحى وهو الذى كان يصرخ يوم عرفه تحت ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له رسول الله صلى

الله عليه وسلم : أصرخ - وكان صَيِّتاً - أيها الناس أتدرون أى شهر هذا ؟ فصرخ ، فقالوا : نعم الشهر الحرام ، قال فإن الله عز وجل قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمه شهركم هذا.

ثم قال : أصرخ : هل تدرون أى بلد هذا ... الخ.

وعن ابن عباس ... فلما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفه أمر ربيعه بن أميه بن خلف فقام تحت ثدى ناقتة ، وكان رجلاً صَيِّتاً فقال : أصرخ أيها الناس أتدرون أى شهر هذا ... الخ. رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات. انتهى.

والذى يزيد فى الشك أنهم رووا الحديث عن نفس هذا الراوى بعده صيغ غير متشابهه ، ولكن الكلمه المفقوده فى الجميع تبقى نفسها لا تتغير ..

بل رووا عنه أنه صدر من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى المدينه ، وليس فى حجه الوداع فى عرفات .. ولكن الكلمه المفقوده تبقى نفسها ، وهى هويه الأئمه الإثنى عشر !!

- ففى مسند أحمد : ٩٧ / ٥ و ١٠٧

عن جابر بن سمره قال : جئت أنا وأبى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً ، ثم قال كلمه لم أفهمها ، فقلت لابى : ما قال ؟ قال : كلهم من قريش. انتهى.

ثم رووه عنه ، والنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يخطب فى المسجد النبوى فى المدينه ، وهو مسجد صغير محدود ، ولكن الكلمه نفسها بقيت خفيه على جابر بن سمره حتى سأل عنها الخليفه القرشى عمر بن الخطاب فأخبره بها !

- ففى معجم الطبرانى الكبير : ٢ / ٢٨٦ ح ٢٠٧٣ عن جابر بن سمره (قال سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهو يخطب على المنبر ويقول : اثنا عشر قيماً من قريش ، لا يضرهم عداوه من عاداهم ، قال فالتفت خلفى ، فإذا أنا بعمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وأبى ، فى ناس ، فأثبتوا الى الحديث كما سمعت). انتهى.

- وقال عنه فى مجمع الزوائد : ٥ / ١٩١ : رواه البزار عن جابر بن سمره وحده ، وزاد

فيه : ثم رجع يعنى النبى صلى الله عليه وسلم الى بيته ، فأتيته فقلت : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون الهرج. ورجاله ثقات. انتهى.
فصار الحديث : اثني عشر قيماً والناس يعادونهم. وصار الذى أثبت له هويته هؤلاء القيمين على الأمة جماعه فيهم عمر وأبوه! فقد
تغيرت صيغته الحديث ومكانه والشخص الذى سأله عنه الكلمه المفقوده ، لكنها ما زالت نفسها مفقوده !!
والأعجب من الجميع أنهم رووا الحديث عن راوٍ آخر ، هو أبو جحيفه ، فخفيت عليه نفس الكلمه أيضاً !! ولكنه سأل عنها عمه ،
وليس أباه !

- ففى مستدرک الحاكم : ٣ / ٦١٨

عن عون بن أبى جحيفه عن أبيه قال : كنت مع عمى عند النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال : لا- يزال أمر أمتى صالحاً حتى
يمضى اثنا عشر خليفه ، ثم قال كلمه وخفض بها صوته ، فقلت لعمى وكان أمامى : ما قال يا عم ؟ قال قال يابنى : كلهم من
قريش. انتهى. وقال عنه فى مجمع الزوائد : ٥ / ١٩٠ : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، والبزار ، ورجال الطبرانى رجال
الصحيح. انتهى.

نجد أنفسنا هنا أمام ظاهره لا مثيل لها فى كل أحاديث النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!

مما يدل على أن أمر هذا الحديث مهمٌ جداً ، وأن نصه وظروفه ليست طبيعیه .. وأن فى الأمر سرّاً ، يكمن فى كلمه قريش !!
ويرى الباحث من حقه أن يحتمل أن الراوى الأصلى للحديث هو عمر ، وهو الذى صححه لهذا الصبى جابر بن سمره وأثبتته له ،
وأمره أن يرويه هكذا !
فقد روى هذا الحديث الخزاز القمى الرازى فى كتابه كفايه الأثر / ٩٠ ، عن عمر وحده ، بدون ابن سمره وأبيه ، وبدون أبى
جحيفه وعمه ، قال :

حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله قال : حدثنا الحسن بن على زكريا العدوى ، عن شيث بن غرقده العدوى قال : حدثنا أبو
بكر محمد بن العلا قال : حدثنا إسماعيل بن صبيح اليشكرى ، عن شريك بن عبد الله ، عن المفضل بن حصين ، عن

عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول : الأئمة بعدى اثنا عشر ، ثم أخفى صوته فسمعته يقول : كلهم من قريش .

قال أبو المفضل : هذا غريب لا أعرفه إلا عن الحسن بن علي بن زكريا البصرى بهذا الإسناد ، وكتبت عنه ببجارا يوم الأربعاء ، وكان يوم العاشور ، وكان من أصحاب الحديث إلا أنه كان ثقة في الحديث . انتهى .

التانيه : لا يصح الوعد الالهي بقياده مجهوله !

إن الوعد النبوي بالإثني عشر من بعده ، وعدُّ إلهي من لدن حكيم خبير بأئمة بعد رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، كما هي سنته تعالى في الأمم السابقة ، ورحمته بهذه الأمة لحل أصعب مشكله تواجهها الأمم بعد أنبيائها على الإطلاق !

فهل تقبل عقولنا أن الله تعالى قد أمر رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأن يدل أمته على قاده مجهولين ؟!

نحن نرى أن الله تعالى قد وعد الأمم السابقة على لسان عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) برسول يأتي من بعده بأكثر من خمس مئة سنه ، ومع ذلك سماه باسمه فقال (يأتي من بعدى اسمه أحمد) (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فكيف يعقل أن يعد خاتمه الأمم على لسان نبيها بقادتها الربانيين (القيمين على الأمة) ثم لا يسمى أولهم على الأقل ، ولا يسمى أسرتهم ، بل يكتفى بالقول إنهم من بضع وعشرين قبيله متنازعه على الأمور الصغيره التي هي أقل من السلطه وراثسه الدوله بألاف المرات ؟!

إن التصديق بذلك يعنى نسبه عدم الحكمه الى الله عز وجل ، والى ساحه رسوله الحكيم المنزه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ! وهو أمر لا يجرأ عليه مسلم ، بل حتى مستشرق منصف !!

نعم قد يكون من المصلحه فى بعض الإخبارات النبويه أن يبدأ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بإلقائها عامه تثير السؤال ، حتى إذا سأله الناس عنها بيءنها لهم ، ليكون بيانها بعد سؤالهم أوقع لها فى نفوسهم .. ولكن أين أسئلة المسلمين عن هؤلاء الأئمة ، وأجوبه نبيهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

إنك لا تجدها إلا فى مصادر أحاديث الشيعة !

اشاره

لو غضينا النظر عن كل الإشكالات على الحديث ، وقبلنا أنه صدر عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بصيغته التي صححوها في مصادرهم .. فهو إذن يقول : إن قاده الأمة الخاتمه اثنا عشر ربانياً قيماً على الأمة ، وإنهم من قريش .

ويأتى هنا السؤال : من أى قريش اختارهم الله تعالى ؟

إن بطون قريش أو قبائلها أكثر من عشرين قبيله .. وقد ثبت فى صحاحهم أن الله تعالى اختار قريشاً من العرب ، واختار هاشماً من قريش .. فهل يعقل بعد أن اختار الله تعالى معدن هاشم على غيره ، أن يختار الأئمة الإثني عشر الوارثين لنبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) القيمين على أمته ، من معدن أقل فضلاً ودرجة من بنى هاشم !!؟

- فى صحيح مسلم : ٥٨ / ٧

عن واثله بن الأسقع : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله اصطفى كنانه من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانه ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم . انتهى .

ورواه الترمذى : ٢٤٥ / ٥ (هذا حديث حسن صحيح غريب) وقال عنه فى ص ٢٤٣ (هذا حديث حسن صحيح) ثم روى عده أحاديث بمضمونه ، منها :

عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم ، فجعلوا مثلك مثل نخله فى كبوه من الأرض (والكبوه المزبله !)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم ، وخير الفريقين ، ثم خير القبائل فجعلنى من خير القبيله ، ثم خير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً ، وخيرهم بيتاً . هذا حديث حسن . وروى بعده نحوه بسند آخر ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . انتهى .

- وفى صحيح البخارى : ١٣٨ / ٤

باب قول الله تعالى : واذا كر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . وإذ

قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمه. إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، الى قوله يرزق من يشاء بغير حساب. قال ابن عباس : وآل عمران : المؤمنون من آل ابراهيم ، وآل عمران ، وآل ياسين ، وآل محمد ، صلى الله عليه وسلم.

- وفى نهج البلاغه : ١ / ٨٢ : والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم فى حيزنا ، فكانوا كما قال الأول :

أدمت لعمري شؤبك المحض صابحاً * وأكلك بالزبد المقشرة البجرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن * علياً ، وحطنا حولك الجرد والسمر

وفى صحيح البخارى : ٥ / ٦

عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومه يوم القيامة !! انتهى.

ويطول لكلام لو أردنا أن نستعرض ما ورد من القرآن والسنة فى اختيار الله تعالى لبنى هاشم ، واصطفائهم ، وتفضيلهم ، وحقهم على الأمة. وكل ذلك بسبب أن عتره النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) منهم ، لأنهم جوهره معدن هاشم ، بل جدهم وهم جوهره كل بنى آدم.

الرابعه : أحاديث النبي صلى الله عليه وآله تفسر حديث الإثني عشر

من المتفق عليه بين المسلمين أن كلامه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بمنزله القرآن يفسر بعضه بعضاً. بل ذلك أصل عقلاى عند كل الأمم فى تفسير نصوص أنبيائها ، فإن أى أمه تجد نصاً عن نبيها بالبشاره بائنى عشر إماماً من بعده ، ولا تعرفهم من هم ، تنظر فى نصوصه وأقواله وأفعاله ، لكى تعرف بواسطتها هؤلاء القاده المبشر بهم على لسانه !

وإذا نظرنا الى ما صدر عن نبينا الذى لا ينطق عن الهوى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى حق عترته : على وفاطمه والحسن والحسين وذريتهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، مما اتفق عليه المسلمون ، وحكموا بصحته .. لا يبقى عندنا شك فى أنه يقصد هؤلاء الذين مدحهم هو (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى مناسبات

عديده ، وبين للأمة أن الله تعالى مدحهم في آياته ، وطهرهم من الرجس تطهيراً ، وأوجب على المسلمين مودتهم ، وأن يصلوا عليهم معه في صلواتهم ، وحرّم عليهم الصدقه ، وجعل لهم الخمس في ميزانيه الدوله ، وجعلهم وصيته في أمته ، وسماهم مع كتاب الله الثقلين

ولا يتسع المقام لبسط الكلام فيه ، بل تكفى الإشارة الى ما هو إن المتفق عليه بين المسلمين مما صدر في حقهم من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من المديح والتعظيم ، والتحذيرهم من مخالفتهم وظلمهم .. فيه عبرة لمن كان له قلب ، وكفاية لمن ألقى السمع ، وشهادة لمن أراد الحجّه من الله تعالى ، والشهادة من رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

الخامسه : اثنا عشر إماماً واثنا عشر شهراً

ذكرت روايات الخطب الشريفه في حجه الوداع ، أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذكر الأئمه الإثني عشر ، وذكر استداره الزمن كأول ما خلق الله الأرض ، وقرأ آيه : إن عدّه الشهور عند الله اثنا عشر شهراً .. ففي صحيح البخارى : ١٢٦ / ٥ :

عن أبى بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السنه اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثه متواليات ذو القعدّه وذو الحجّه والمحرم ورجب . انتهى . ورواه أيضاً فى : ٥ / ٢٠٤ ، و : ٦ / ٢٣٥ ، وكذا أبو داود فى : ١ / ٤٣٥ ، وأحمد فى : ٥ / ٣٧

- ورواه فى مجمع الزوائد : ٣ / ٢٦٥ ، بصيغه أقرب الى أسلوب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من روايه البخارى ، جاء فيها (ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض ، ثم قرأ : إن عدّه الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ...) انتهى .

وقد ذكر المفسرون والشرح السنيون أن قصده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إلغاء النسيء الذى ابتدعته العرب للأشهر الحرم ، وأن وضع التوقيت والزمن قد رجع الى هيئته الأولى ، فلا نسيء

بعد اليوم .. ولكنه تفسير غير مقنع ، فإن نسيء العرب لم يكن مؤثراً في الزمن والفلك ، حتى يرجع الزمن الى حالته الأولى بإلغاء النسيء !

كما أنى لم أجد دليلاً على ارتباط استداره الزمان بالنسيء في كلامه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولا يبعد أن تكون استداره الزمان موضوعاً مستقلاً عن النسيء.

وبما أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في مقام توديع أمته ، وبيان مرحله مابعد من الهدى والضلال ، والعقائد والأحكام ، وطريق الجنة والنار .. فقد يقصد بإخباره باستداره الزمان : أن مرحلهً جديده بدأت من ذلك اليوم فما بعده ، من قوانين الهدايه والإضلال الالهى ، ومعالم ذلك هم الأئمة الإثنا عشر (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، الذين ينسجم وجودهم مع نظام الإثني عشر شهراً في تكوين السماوات والأرض.

ويؤيد ذلك : قداسه عدد الإثني عشر في القرآن ، وأن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طلب من الأنصار في أول بيعتهم له أن يختاروا منهم اثني عشر نقيباً ..

وأنه بشر الأمة بالأئمة الإثني عشر من بعده ..

ويؤيده : أنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أخبر الأمة بوجود أئمة مضلين من بعده ، وشدد على التحذير منهم ، وبين أن أخطرهم الإثنا عشر منافقاً من أصحابه !

فمقابل كل إمام هدىً إمامٌ ضلالٍ ، كما أن مقابل كل نبيٍّ عدوٌّ من المجرمين ، يعمل لإضلال الناس ! قال الله تعالى :

ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً.

يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً.

لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً.

وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً.

وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً. الفرقان ٢٧ - ٣١

- وفي صحيح مسلم : ١٢٢ / ٨ - ١٢٣ :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، فيهم ثمانية لا

يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيكهم الديله ، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبه فيهم !

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في أمتي - قال شعبه : وأحسبه قال حدثني حذيفه ، وقال غندر : أراه قال في أمتي - اثنا عشر منافقاً ، لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيكهم الديله ، سراج من النار يظهر في أكتافهم ، حتى ينجم من صدورهم.

حدثنا أبو الطفيل قال : كان بين رجلٍ من أهل العقبة وبين حذيفه بعض ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟!

قال فقال له القوم : أخبره إذ سألك.

قال : كنا نُحِبُّ أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. انتهى. ورواه أحمد في : ٤ / ٣٢٠ ، وغيرها ، ورواه كثيرون.

والنتيجة : أنه لا يبعد أن يكون قصد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يخبر المسلمين بأن الله تعالى أقام الحياه البشريه من يوم خلق السماوات والأرض ، وخلق الجنس البشري ، على قانون الهدايه والضلال بإتمام الحجه ، وإمهال الناس ليعملوا بالهدى أو بالضلال .. فكان لا بد من وجود عنصرى الهدى وعناصر الضلال معاً ، كعنصرى السلب والإيجاب فى الطاقه ، فألهم النفس البشريه فجورها وتقواها ، وأنزل آدم الى الأرض ومعه إبليس ، وبعث الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ومع كل نبي عدو مظلٌّ أو أكثر ، وجعل بعدهم أئمه ربانيين يهدون ، وأئمه ضلال منافقين يضلون .. وعدد كل منهم فى هذه الأمه اثنا عشر .. وأنه قد بدأت بهم دورهٌ جديده من الهدى والضلال ، كما بدأت بآدم وإبليس .. ولذلك استدار الزمن كهيئته فى أوله بانتهاء الفتره ، ووضوح الحجه.

ويؤيد ذلك ما ورد من طريق أهل البيت (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى تفسير آيه « إن عدّه الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ».

روت مصادر السنين حديث الأئمه الإثنى عشر عن عده رواه ، وهم عبد الله بن مسعود ، وأبو جحيفه ، وجابر بن سمره السوائى ، وهذا الأخير أهمهم ، لأن الصحاح اعتمدت روايته ، كما تقدم.

وهو جابر بن سمره بن جناده. وقد ذكر ابن حجر فى تهذيب التهذيب : ٢ / ٣٥ (يقالين) فى نسبه ، فقال (يقال : ابن عمرو بن جندب بن حجير ابن رئاب بن حبيب بن سواءه بن عامر بن صعصعه السوائى. ويقال : من قبيله عامر بن صعصعه).

ويؤيد هذا الشك أن الذهبى قال فى ترجمته : ٣ / ١٨٧ (وهو وأبوه من حلفاء زهره) ولو كان من بنى عامر بن صعصعه ، لم يحتج أن يكون حليفاً !

وسمره هذا من الطلقاء ، فقد قال فى تهذيب التهذيب : ٤ / ٢٠٦ (وقرأت : بخط الذهبى إنما مات فى ولايه عبد الملك ابنه جابر ، وأما سمره فقد يم. وذكر ابن سعد أنه أسلم عند الفتح ، ولم أقف على من أرخ وفاته غير من تقدم). انتهى.

لكن البخارى قال فى التاريخ الكبير : ٤ / ١٧٧ : إن لسمره هذا صحبه. انتهى.

أما جابر ابنه فهو فرخ طليق ، فقد كان صغيراً عند فتح مكه ، لأنه توفى سنه ٧٦ ، ولأنه يروى أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مسح على خد الصبيان المصلين وكان منهم (سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٨٧).

ولعل أباه سمره توفى فى حياه النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أو بعده بقليل ، فعاش جابر فى كنف خاله سعد بن أبى وقاص فى المدينه ، وقد روى أنه اشترك فى فتح المدائن ، ولعله كان شاباً حينذاك ، ثم سكن الكوفه وابتنى بها داراً (أسد الغابه : ١ / ٢٥٤).

وعلى هذا فيكون جابر فى حجه الوداع صبياً صغيراً أو مراهقاً ، ويكون الراوى الوحيد المعتمد فى الصحاح لحديث أئمه هذه الأمه بعد نبيا .. هذا الصبى الطليق من حلفاء قريش !

فاعجب لشيوخ الأئمة ، وكبار الصحابه ، حيث لم يكن عندهم ذكاء هذا الصبي الطليق ، واهتمامه بمستقبل الأئمة ، وأئمتها الربانيين !

أو فاعجب للخلافه القرشيه كيف سيطرت على مصادر الحديث النبوى عند السنيين ، فلم تسمح بتدوين حديث في الأئمه الإثنى عشر ، الذين بشر بهم نبي الأئمه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إلا حديث هذا الصبي !!

السابعه : درجات الصحه التي أعطوها للأحاديث الثلاثه

في مصادر السنيين ثلاث صيغ لحديث الأئمه الإثنى عشر ، وثلاثه رواه :

وقد اتفقوا على تصحيح حديث جابر بن سمره ، وعلى تحسين حديث أبي جحيفه المشابه له ، وبعضهم صححه. واختلفوا في تصحيح حديث ابن مسعود الذي يختلف عنهما ، بحجه أن في سنده مجالد بن سعيد ، الذي لم يوثقه إلا النسائي وبعض علماء الجرح والتعديل ، وضعفه آخرون.

ولا- بد أن نضيف الى رواه الحديث راويين آخرين هما : سمره السوائي والد جابر وعمر بن الخطاب ، لأن الروايات تقول إنه سألهما عن الكلمه الخفيه فأخبراه بها.

بل لا بد أن نعد عمر بن الخطاب راوياً مستقلاً ، كما تقدم في روايه كفايه الأثر ..

واليك جانباً من كلماتهم في حديث ابن مسعود :

- قال في مجمع الزوائد : ٥ / ١٩٠ : باب الخلفاء الإثنى عشر : عن مسروق قال : كنا جلوساً عند عبد الله وهو يقرئنا القرآن فقال رجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يملك هذه الأئمه من خليفه ؟ فقال عبد الله : ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اثنا عشر كعده نقباء بني اسرائيل. رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ، وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي وضعفه الجمهور ، وبقيه رجاله ثقات. انتهى.

- وقال الحاكم : ٤ / ٥٠١ ، بعد روايه هذا الحديث : لا يسعني التسامح في هذا الكتاب عن الروايه عن مجالد وأقرانه ، رحمهم الله. انتهى.

- ولكن ابن حجر حسنه فقال فى الصواعق المحرقة / ٢٠ ح ٣ فقال : وعن ابن مسعود بسند حسن.

وكذا السيوطى فى تاريخ الخلفاء / ١٠ حيث قال (وعند أحمد والبخارى بسند حسن عن ابن مسعود).

وكذا البوصيرى كما نقل عنه فى كنز العمال : ٨٩ / ٦ (رواه مسدد وابن راهويه وابن ابى شيبه وأبو يعلى وأحمد بسند حسن).

وقد روت مصادرهم حديث ابن مسعود مثل أحمد : ١ / ٣٩٨ و ٤٠٦ ، وكنز العمال ٨٩ / ٦ ، عن طبقات ابن سعد وابن عساكر ، وفى ٣٢ / ١٢ ، عن أحمد ، والطبرانى ، وابن حماد .. وغيرهم.

وإذا كانت عله روايه ابن مسعود عندهم وجود مجالد ، فقد روته مصادرنا بسند ليس فيه مجالد ، كما فى كتاب الإختصاص للصدوق / ٢٣٣ ، وكفايه الأثر للخزاز / ٧٣ ، والغيبه للنعمانى / ١٠٦ ، وسيأتى بعض ذلك.

ولكن ذلك لا يشفع للحديث عند إخواننا السنين ولا يجعله يستحق أكثر من لقب (حسن) ! بل يبدو أن هذه الدرجه من الصحه ثقيله عليهم ، لأن مشكله هذا الحديث الأصلية عندهم أنه لم يذكر عبارته (كلهم من قریش) وأنه يفهم منه أن هؤلاء الأئمه الربانيين يجب أن يكونوا حكام الأمه بعد نبيا ، ويضع علامه استفهام كبيره على ما تم فى السقيفه فى غياب بنى هاشم ، وانشغالهم بجنائزه النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!

الثامنه : تضارب متون الأحاديث الثلاثه

روت مصادر السنين حديث جابر بن سمره بصيغتين ، وجاء حديث أبى جحيفه بإحداهما ، وانفرد حديث ابن مسعود بصيغته .. فتكون الصيغ ثلاثاً :

الأولى : مفادها أن هؤلاء الموعودين يكونون بعد النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأنهم من قریش. وهذا مضمون أكثر روايات ابن سمره. وقد عرفت أن أنهم صححوا هذه الصيغه ، وقد صححها الألبانى فى سلسله الأحاديث الصحيحه برقم ١٠٧٥.

الثانيه : أنهم يحكمون بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأنهم من قريش ، وأن الإسلام لا يزال عزيزاً مده حكمهم ، ثم يضعف ويذل ، أو ينهار. وهي صيغه عدد من روايات جابر بن سمره ، وكل روايات أبي جحيفه أيضاً. وقد صححها كثير من علمائهم ، ومنهم الألباني في سلسلته أيضاً برقم ٣٧٦ ، عن ابن سمره ، وحسن روايه أبي جحيفه ، وجعل روايه ابن مسعود شاهداً على صحتها ، ورد زياده أبي داود وغيره التي تصف هؤلاء الأئمه بأن الأمه تجتمع عليهم ، ووصف هذه الزياده بأنها منكره.

الثالثه : أنهم يكونون بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كأوصياء موسى وعيسى (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بدون ذكر قريش. وهي صيغه أكثر روايات حديث ابن مسعود.

وأهم ملاحظه على هذه الأحاديث وصيغها : تفاوتها واضطرابها ، وهو أمر غير مقبول في حديث من هذا النوع .. فإننا لو وجدنا نصاً شبيهاً به يروونه عن شيخ قبيله صغيره ، قاله لقبيلته وهو يودعها قبل موته ، ويخبرها بفراسته عن شيوخها الذين سيحكمونها من بعده .. لقلنا بوقوع تحريف في كلامه !

فكيف نقبل بذلك لسيد الأنبياء (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وسيد البلغاء ، وهو يودع خاتمه الأمم ، ويخبرها عن ربه بأئمتها من بعده ، وعلى أوسع ملاء من جماهيرها !!

وتتوجه التهمه بالدرجه الأولى الى احتمال تحريف هويه هؤلاء الأئمه ، والمتهم به هو السلطه التي حكمت بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأنها هي المستفيدة من ذلك ، وهي التي أبعدت أهل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن الحكم ، بل بادرت الى بيعه السقيفه بدون أن تخبرهم ، مغتنمة انشغالهم بجنازه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!

ويتأكد الشك عندما نجد أن التفاوت والتعارض ، قد تركز على صفه هؤلاء الأئمه الموعودين ، ومقامهم الالهي ، وهويتهم ، ونسبهم ، ووقتهم ، ومدتهم !

وهو تعارض ليس قليلاً قابلاً للحل ، لأنه موجودٌ حتى في الصيغ والألفاظ المنقوله عن الراوى الواحد !

وهو أمرٌ يوجب تضعيف الثقة بصيغ الحديث في مصادر السنه ، ويقوى الثقه بصيغه المتوافقه ، المجمع على مضمونها ، الوارده فى مصادرنا ، والتي تقول إنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال إنهم عليّ والحسن والحسين ، وتسعه من ذريه الحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

التاسعه : الأئمه الإثنا عشر لا يحتاجون الى اختيار ولا بيعه

وهو أمرٌ واضح ، فما دام الله تعالى قد اختارهم ، فواجب الأمه أن تطيعهم « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيره من أمرهم » فهم يستمدون شرعيتهم من رب الأمه ، ورب الناس ومالكهم ، وهو الحكيم الخبير بما يصلح عباده .. واختياره للناس أفضل من اختيارهم لأنفسهم ، وألزم.

فالأئمه الإثنا عشر من هذه الناحيه مفروض الطاعه من الله تعالى شبيهاً بالأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، والنبى لا يكون بالانتخاب ، ولا يحتاج الى أن يبايعه الناس .. بل لو لم يبايعه أحد من الناس ، وآذوه وقتلوه .. فإن ذلك لا ينقص من وجوب طاعته شيئاً !

ولو بايعه كل الناس لكان معناه اعترافهم بحق الطاعه الذى جعله الله له ، وإعلان التزامهم به ، لا أكثر.

فبيعه الناس للأنبياء وأوصيائهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إنما هى بيعه اعترافٍ والتزامٍ بحقهم فى الإطاعه ، وهى تؤكد هذا الحق ، ولا تنشئه.

وهذا هو السبب فى أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان يأخذ البيعه على المسلمين فى المنعطفات الهامه فى حياه الأمه ، ليؤكد بذلك عليهم الإلتزام بإطاعته فى السراء والضراء ، والحرب والسلم ، وفيما أحبوه أو كرهوه !

وهذا هو السبب نفسه فى أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد أن بلغ الأمه ولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى غدير خم ، أمر بأن تنصب له خيمه وأن يهنئه المسلمون بولايته التى أمر الله تعالى بها .. أن يهنئوه تهنئته ، ثم يبايعوه ..

فالإختيار الالهى قد تمّ ، وهو يحتاج الى قبولٍ وتهنئه ، ولا يحتاج الى مشورتهم ولا الى بيعتهم ، لكن لو طلبها النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) منهم وجبت عليهم .. ولو طلبها على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) منهم ، وجبت عليهم أيضاً.

ولهذا لا- تنفع مناقشه المناقشين بأن ما طلبه النبى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من المسلمين فى الغدير كان مجرد التهنة لعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالولاية ، ولم يكن البيعه .. لأن صدور الأمر الالهى بولايته يُفْرِغ البيعه البشرى من القوه الإنشائى ، ويحصر قيمتها فى الاعتراف والالتزام بالأمر الالهى ، كلما طلبها منهم النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أو الولى (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

والقاعدته الكليه فى هذا الموضوع : أن الأمه إنما تملك الولاية على نفسها واختيار حكامها - فى حدود ما ثبت فى الشريعة المقدسه - فى حاله عدم اختيار الله تعالى لأحد .. أما إذا اختار عز وجل إماماً فقد قضى الأمر ، ولم يبق معنى لاختيار الأمه لحاكم آخر ، إلا أنها تتفلسف فى مقابل ربها عز وجل ، وتخالف اختيار مالكها الحكيم سبحانه ..

العاشره : قرشيه الحديث ألقاها عمر فى البحر

إشاره

ومما ينبغى تسجيله هنا : أن الذى رفع رايه (أن الخليفه من قرشيه والخلافه لا تكون إلا فى قرشيه) هو الخليفه عمر بن الخطاب ، فقد احتج على الأنصار فى السقيفه بأن قرشياً قوم النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقبيلته فهم أحق بسلطانه ! وكان هدفه من ذلك تسكيت الأنصار ، الذين يعيش القرشيون فى بلدهم وضيافتهم ، حتى لا يقولوا نحن نصرناه ونحن أولى بخلافته !!

وقد نجح عمر بهذا المنطق القبلى فى السقيفه ، بسبب تفرق كلمه الأنصار ، رغم مخالفه رئيسهم سعد بن عباده مخالفه عنيفه.

ولكن عمر نفسه عند وفاته تخلى عن مبدأ قرشيه الخليفه ، وألقى به فى البحر ، وأكد أنه لو كان سالم الفارسى مولى أبى حذيفه الأموى حياً ، لعهد اليه بالخلافه !!

- ففى تاريخ المدينة : ١٤٠ / ٣ :

عن عبد الله بن بريده : لما طعن عمر (رضى الله عنه) قيل له : لو استخلفت ؟ قال : لو شهدنى أحد رجلين استخلفته - أنى قد اجتهدت ولم آثم - أو وضعتها موضعها : أبو عبيده بن الجراح ، وسالم مولى أبى حذيفه !!

- وفى مجمع الزوائد : ٢٢٠ / ٤ :

عن أبى رافع أن عمر بن الخطاب كان مستنداً الى ابن عباس وعنده ابن عمر وسعيد بن زيد فقال : إعلموا أنى لم أقل فى الكلاله شيئاً ، ولم أستخلف من بعدى أحداً ، وأنه من أدرك وفاتى من سبى العرب فهو حر من مال الله عز وجل .

فقال سعيد بن زيد : أما إنك لو أشرت برجل من المسلمين لا تئمنك الناس ، وقد فعل ذلك أبو بكر ، وائتمنه الناس .

فقال عمر : قد رأيت من أصحابى حرصاً سيئاً ، وإنى جاعلٌ هذا الأمر الى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض .

ثم قال : لو أدركنى أحد رجلين ، ثم جعلت هذا الأمر اليه لو ثققت : سالم مولى أبى حذيفه ، وأبو عبيده بن الجراح . انتهى .

وبذلك فتح عمر الباب لأبى حنيفه وغيره ، لكى يلغوا هذا الشرط من الخلافة الإسلاميه ، وقد استفاد من فتواه السلاجقه والمماليك ، ثم تبنى العثمانيون مذهب أبى حنيفه ، ونشروا فقهه بسبب فتواه هذه ، وتسموا خلفاء النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

موقف الوهابيين من شرط القرشيه فى الحاكم

نشترط نحن الشيعه الإماميه فى الأئمه أن يكونوا من قریش من عتره النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بسبب ثبوت النص عليهم بأسمائهم وعددهم ، فالإمامه عندنا لا تثبت إلا بالنص فقط ، والنص إنما هو على هؤلاء الإثنى عشر (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

وبما أن خاتمهم الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غائب ، فالحكم فى الأمه فى عصرنا يكون

بالوكالة عنه ، والوكيل لا بد أن تتوفر فيه شروط الفقيه والعدالة وغيرها .. ولا نشترط فيه أن يكون قرشياً .. وبذلك نلتقى عملياً لا نظرياً مع الذين يسقطون شرط القرشيه في الحاكم العادل.

أما إخواننا الشيعة الزيديون ، فالإمامه عندهم غير محصوره بالائمه الإثنى عشر (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بل هي مفتوحه لكل عالم من ذريه على وفاطمه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، فهم يشترطون في الإمام الشرعي أن يكون قرشياً علوياً.

وأما المسلمون السنيون ، فمنهم من يوافقنا على إسقاط شرط القرشيه في عصرنا ، عملاً بقول الخليفه عمر ، وفتوى أبي حنيفه ..

ومنهم غير عربٍ ولكنهم متعصبون لقريش أكثر من عمر ، وملكيون أكثر من الملك .. ومن هؤلاء أئمه الوهابيه ، مثل الألباني ، حيث صحح حديث اشتراط القرشيه في الإمام في سلسله أحاديثه الصحيحه برقم ١٥٥٢ ، وقال في آخره ٧٠ / ٤ :

ولذلك فعلى المسلمين إذا كانوا صادقين في سعيهم لإعاده الدوله الإسلاميه ، أن يتوبوا الى ربهم ويرجعوا الى دينهم ، ويتبعوا أحكام شريعتهم ، ومن ذلك أن الخلافه في قريش ، بالشروط المعروفه في كتب الحديث والفقه.

أما في : ٣ / ٧ ، فقد صحح حديث الخلافه في قريش برقم ١٠٠٦ ، وقال في آخره : قلت : وفي هذه الأحاديث الصحيحه ردٌّ صريحٌ على بعض الفرق الضاله قديماً ، وبعض المؤلفين والأحزاب الإسلاميه حديثاً ، الذين لا يشترطون في الخليفه أن يكون عربياً قرشياً.

وأعجب من ذلك أن يؤلف أحد المشايخ المدعين للسلفيه رساله في (الدوله الإسلاميه) ذكر في أولها الشروط التي يجب أن تتوفر في الخليفه ، إلا هذا الشرط ، متجاهلاً كل هذه الأحاديث وغيرها مما في معناها ، ولَمَّا ذكرته بذلك تبسم صارفاً النظر عن البحث في الموضوع. ولا أدري أكان ذلك لأنه لا يرى هذا الشرط كالذين أشرنا إليهم آنفاً ، أم أنه كان غير مستعد للبحث من الناحيه العلميه.

وسواءً كان هذا أو ذاك ، فالواجب على كل مؤلف أن يتجرد للحق في كل ما يكتب ، وأن لا يتأثر فيه باتجاه حزبي أو تيار سياسي ، ولا يلتزم في ذلك موافقه الجمهور أو مخالفتهم. انتهى.

والطريف أن الألباني صحح حديثاً آخر برقم ١٨٥١ يقول :

(الخلافة في قریش والحكم في الأنصار والدعوه في الحبشه) وعلى فتواه يجب أن يكون الحاكم في عصرنا من قریش من أئى قبائلها كان ، وأن يكون الوزراء من الأنصار .. وأن يكون وزير الإرشاد والأوقاف والمفتى وكل من عمله الإعلام والدعوه من الأفرقه ، والأحوط أن يكون من أثيوبيا !!

ذلك أن الوجوب الذي استفاده من الحديث وأفتى به بوجوب القرشيه في الحاكم ، تتساوى فيه الخلافة ، والوزاره ، والدعوه !!

لقد فات هذا الشيخ أن فقه الحديث أهم من سنده ، وأنه متقدمٌ عليه رتبته ، وأن مثل هذا الحديث بعيدٌ عن منطق النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولو صح فهو يحكى عن ظرفٍ معين ، وليس تشريعاً الى يوم القيامة !

الحاديه عشره : تخبط الشراح في تفسير الأئمه الإثنى عشر

إشاره

إذا أردنا أن نكون أمناء مع النص النبوى ، يلزم أن نقول : إن كلمه (من بعدى) في الحديث الشريف تدل على أن إمامه هؤلاء الإثنى عشر تبدأ بعد وفاته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مباشرة ، ولا تدل على أنهم سيحكمون من بعده ، لأنها إخبارٌ عن وجودهم فقط ، سواءً كانوا حكاماً أو محكومين. بل تدل صيغ الحديث المتقدمه عن ابن سمره وابن مسعود ، على أن الأمه تخذل هؤلاء الأئمه الإثنى عشر وتعاديهم ، وذلك يشمل إبعادهم عن الحكم ، ولكنه ذلك لا يضرهم شيئاً.

وقد تقدم في روايه تفسير الطبرى (يكون لهذه الأمه اثنا عشر قيماً ، لا يضرهم من خذلهم ... إثنى عشر قيماً من قریش لا يضرهم عداوه من عاداهم)

وبذلك لا تجد مانعاً من انطباق الحديث على الأئمة الإثني عشر من عتره النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى لو لم يحكموا ، أو لم يحكم منهم إلا على والحسن ٨ ، وسيحكم منهم المهدي الموعود من الله تعالى على لسان رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

كما أن الأحاديث التي تذكر ما يكون بعدهم تدل على أن مدتهم طويلة ، فبعضها ذكر أنه يكون بعدهم الهرج والفوضى والنفاق ، وأشار الى انهيار الأمة .. وبعضها ذكر أن زمنهم يمتد ما دامت الأرض ، وأن مدتهم إذا تمت ساخت الأرض بأهلها .. وهذا يؤيد نظريه امتداد عصر هؤلاء الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الى آخر الدنيا ، كما نصت أحاديثنا.

- قال أبوالصلاح الحلبي المتوفى سنة ٤٣٧ في كتابه تقريب المعارف / ١٧٣ :

وروا عن عبد الله بن أبي أميه مولى مجاشع ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) : لا يزال هذا الدين قائماً الى اثني عشر من قريش ، فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها. انتهى. ونحوه في إعلام الوري / ٣٦٤ ، وهو موافق لما في مصادرنا عن أهميه وجود الحجج لله تعالى في أرضه في كل عصر ..

- ففي الكافي : ١ / ١٧٩ و ٥٣٤

عن أبي حمزه قال : قلت لأبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت.

عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : إني واثننا عشر من ولدي وأنت يا علي زراً الأرض ، يعني أوتادها وجبالها ، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها ، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ، ولم ينظروا. انتهى.

وعلى هذا التفسير الذي يساعد عليه نص الحديث ، يكون هدف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من طرح الأئمة الإثني عشر في أهم تجمع للمسلمين في حجة الوداع ، هو : توجيه الأمة اليهم لو أنها أخذت بحظها وأطاعته فيهم !

بل يمكن القول : إنه يتعين تفسير الحديث بالأئمة الإثني عشر من أهل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، لأن كل تفسير له بغيرهم لا يصح لكثرة الإشكالات التي ترد عليه.

ص: ٥١

قال بعض المحققين : إن الأحاديث الداله على كون الخلفاء بعده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيره ... فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان ، علم أن مراد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من حديثه هذا الأئمه الإثنا عشر من أهل بيته وعترته ، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر ، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأمويه لزيادتهم على اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش إلا- عمر بن عبد العزيز ، ولكونهم من غير بنى هاشم ، لأن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال كلهم من بنى هاشم في روايه عبد الملك ، عن جابر ، وإخفاء صوته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في هذا القول يرجح هذه الروايه ، لأنهم لا يحسنون خلافة بنى هاشم.

ولا- يمكن أن يحمله على الملوك العباسيه ، لزيادتهم على العدد المذكور ، ولقله رعايتهم الآيه : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا الموده في القربى ، وحديث الكساء.

فلا- بد من أن يحمل هذا الحديث على الأئمه الإثني عشر من أهل بيته وعترته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم ، وأعلاهم نسباً ، وأفضلهم حسباً ، وأكرمهم عند الله

ويؤيد هذا المعنى ، أى أن مراد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الأئمه الإثني عشر من أهل بيته ، ويشهد له ويرجحه : حديث الثقلين ، والأحاديث المتكثره المذكوره في هذا الكتاب ، وغيرها

وفى نهج البلاغه من خطبته على كرم الله وجهه : أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم .. بنا يستعطى الهدى ، وبنا يستجلى العمى.

وإنه سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شىء أخفى من الحق ، ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه ، ولا فى البلاد شىء أنكر من المعروف ، ولا أعرف من المنكر.

واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشيد حتى تعرفوا الذى تركه ، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه ، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه ، فالتمسوا ذلك من عند أهله ، فإنهم عيش العلم وموت الجهل ، هم الذين يخبركم حكمهم عن عملهم ، وصمتهم عن منطقهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدين ، ولا يختلفون فيه ، وهو بينهم شاهد صادق ، وصامت ناطق. انتهى.

**

ولكن عامه الشراح السنين لا يقبلون هذا التفسير ، ويحذرون أتباعهم من أن يقنعهم الشيعة بأن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد نص على الأئمة الإثني عشر من عترته !!

ويقولون لأتباعهم : إن حديث الأئمة الإثني عشر صحيحٌ مئة بالمئة ، لكن لا تقبلوا تفسير الشيعة ، ونحن إن شاء الله نفسره لكم تفسيراً صحيحاً ..

ولكنهم الى يومنا هذا لم يستطيعوا أن يقدموا لهم تفسيراً مقنعاً للحديث ، ولن يستطيعوا .. لأنهم يريدون تطبيق هؤلاء الإثني عشر على الخلفاء الذين حكموا بعد النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن الزبير ، وسلسله خلفاء بنى سفيان وبنى مروان ، ثم بنى العباس .. وربما غيرهم من أموي الأندلس ، والسلاجقة ، والمماليك ، والأتراك !!

وعندما يجدونهم أضعاف العدد المطلوب ، يلجؤون الى الفرضيات ، فيختارون أحسن الخلفاء الأمويين ، والعباسيين ويخلعون عليهم صفة الأئمة الربانيين ، فيثبتون هذا ويحذفون ذاك ! اختياراً وحذفاً (كيفياً) لمجرد تكميل العدد !

وبعضهم لا يكمل معه العدد ممن اختارهم فيقول : إن الباقي سوف يأتون !

ومن الواضح أنها تطبيقات لا تقف عند حد ، ولا تستند الى أساس ، وأن الذى يسلكها يكلف نفسه شططاً ، كمن يكلف نفسه بأن يختار اثني عشر شخصاً من رؤساء المسلمين وملوكهم المعاصرين ، ويقول عنهم إنهم قادة ربانيون اختارهم الله تعالى ، ووعد الأمة بهم على لسان رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

ص: ٥٣

ولو أن العلماء السنين فكروا أكثر لما جشموا أنفسهم هذه العقبة :

أولاً:- لأن هؤلاء الأئمة الربانيين الموعودين مختارون من الله تعالى ، فلا بد أن يكونوا متفقيين ، لأنهم جميعاً على خط واحد وهدى من ربهم ونبیهم.

بينما خلفاء السنين وأئمتهم مختلفون متقاتلون ..

فهل سمعتم بالحرب والقتال بين الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حتى تقنعونا بإمكانها بين الأئمة الربانيين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وأن بعضهم يكيد للآخر ويفسقه ويكفره ، ويذبحه ذبح الخروف ، أو يسمل عينيه ويقطع لسانه ويديه ورجليه !!

وثانياً : لأنهم بإعطاء صفه الإمام من الله تعالى للخليفة الذى يحبونه ، ابتداءً من الخليفة عمر بن الخطاب .. الى السلطان سليم العثمانى ، يصيرون ملكيين أكثر من الملك ، وخليفين أكثر من الخليفة ، ويثبتون لهم ما لم يدعه أحد منهم لنفسه !

فلو كان أحدهم إماماً ربانياً مختاراً من الله تعالى مبشراً به من رسوله .. لعرف نفسه وادعى هو ذلك ! حيث لا يمكن أن يكون شخص إماماً وحجه لله على عباده وحاكماً باسمه .. ثم لا يعرف هو نفسه مقامه الالهى العظيم !!

ولا نجد أحداً من هؤلاء الخلفاء ادعى أنه إمامٌ من الله تعالى غير الأئمة من أهل بيت النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وثالثاً : ذكرنا أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال إنهم يكونون من بعده ، ولم يقل إنهم يحكمون .. فلماذا يلزمون أنفسهم بالعثور على الأئمة الاثنى عشر الموعودين فى الحكام فقط .. وإذا ألزم الباحث نفسه فى مسأله بما لا يلزم فيها ، فقد تورط فيها وأقام فى ورطته !

ورابعاً : إن الذين يعدونهم أئمة ربانيين ، مبشراً بهم من رب العالمين ، قد ثبت أن أكثرهم قد لعنهم الله تعالى على لسان نبیه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!

فهل رأيتم أمةً يحكمها بأمر الله تعالى الملعونون على لسان نبیها !!؟

وكيف يلعن الله تعالى أشخاصاً ويحكم عليهم بالطرد من رحمته لخبتهم ، ثم يختارهم أو يختار من أولادهم أئمةً ربانيين ، هداةً لعباده ، وحكاماً لبلادده !!

فقد ثبت في مصادر السنين أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد لعن الحكم وابنه مروان ، ونفاهما من المدينة حتى أعادهما عثمان ، وأنه رأى أبا سفيان راكباً على جمل يجره معاوية ويقوده ولده الآخر ، فلعن الراكب والقائد والسائق (راجع مجمع الزوائد : ١ / ١١٣) الى آخر هذا البحث الذي لا يتسع له موضوعنا ، ولا تتسع له صدور أتباع الأمويين !

**

ولهذه الأسباب كثرت أقوالهم واحتمالاتهم في تفسير الأئمة المبشر بهم ، ولعلها زادت عن الثلاثين قولاً ..! وكلها معلولة ينقضها الحديث الشريف ، وينقض بعضها بعضاً :

- ولعل أقدمها قول ابن حبان الذي نقله عنه في عون المعبود في شرح سنن أبي داود : ١١ / ٣٦١ ، قال :

وأما : الخلفاء اثنا عشر ، فقد قال جماعه منهم أبو حاتم بن حبان وغيره : إن آخرهم عمر بن عبد العزيز ، فذكروا الخلفاء الأربعة ، ثم معاوية ، ثم يزيد ابنه ، ثم معاوية بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم عبد الملك ابنه ، ثم الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، ثم عمر بن العزيز. وكانت وفاته على رأس المائة. انتهى.

ولكن هذا التفسير الأموي لابن حبان وجماعته ، قد نسخه العلماء الذين جاؤوا من بعدهم وأحبوا العباسيين ، فأدخلوا بعضهم في بشاره النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وخذفوا بنى أمية ، كلاً أو بعضاً !

ويلاحظ أن هذا التفسير حذف اسم الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مع أنه مبشّر به بأحاديث صحيحة عندهم ، ويشمله قول جده (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (من بعدى اثنا عشر إماماً).

كما حذفوا اسم الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مع أنه بايعه المسلمون ما عدا أهل الشام وحكم سته أشهر ، وقد أثبتته السنيون المتأخرون عنهم.

بل كان يجب أن يثبتوا اسمه واسم أخيه الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) لأن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) شهد بأنهما إمامان قاما أم قعدا ، وشهد بأنهما سيدا شباب أهل الجنة.

ص: ٥٥

بينما أثبت هذا التفسير اسم يزيد بن معاوية ، وجعله من الأئمة الربانيين الذين بشر بهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وهي درجة لا يطمع فيها يزيد ولا محبوبه العقلاء ، لأنهم الى اليوم يكافحون لإثبات إسلام يزيد ، وعدم ارتداده بسبب تصريحاته ، وعدم فسقه بسبب جرائمه التي ارتكبها في كربلاء ، وفي استباحه المدينة ، وفي هدم الكعبة !

كما عدوا منهم على هذا التفسير معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) الذى ولوه الخلفه بعد أبيه يزيد ، فخطب خطبته الأولى والأخيره ، وتبرأ فيها من ظلم أبيه يزيد وجده معاوية ! وشهد بأن الخلفه حق شرعى لعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وأن معاوية ظلمه وغضبها منه ، ثم عزل نفسه عنها ، فقتله بنو أميه !

فلو كان هذا الشخص من الأئمة الإثنى عشر الربانيين لعرف هو ذلك ، وما خلع نفسه وعرضها لغضب أسرته الحاكمه الباطشه !

كما أن هذا التفسير تجاهل حديث (سفينه) الثابت عندهم القائل إن الخلفه ثلاثون سنه ، وبعدها الملك العضوض ، وقد صححه المحدثون ، وأخذ به المفسرون الآخرون .. الى آخر الإشكالات عليه !

ويطول الكلام لو أردنا أن نستقصى محاولات كبار علمائهم تفسير الحديث الشريف ، ولكن الذى يسهل الأمر أن كلامهم فى ذلك متشابه ، وأنه ما زال الى اليوم يدور فى محور التفسير الأموى !!

وفيما يلي نماذج من تفاسيرهم وما يرد عليها :

- قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء / ١٠ :

قال القاضى عياض : لعل المراد بالإثنى عشر فى هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون فى مده عزه الخلفه وقوه الإسلام واستقامه أموره والاجتماع على من يقوم بالخلفه ، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس الى أن اضطرب أمر بنى أميه ووقعت بينهم الفتنة ، زمن الوليد بن يزيد ، فاتصلت بينهم ، الى أن قامت الدوله العباسيه ، فاستأصلوا أمرهم .

ص: ٥٦

قال شيخ الإسلام ابن حجر فى شرح البخارى : كلام القاضى عياض أحسن ما قيل فى الحديث وأرجحه ، لتأييده بقوله فى بعض طرق الحديث الصحيحه : كلهم يجتمع عليه الناس.

قلت : وعلى هذا فقد وجد من الإثنا عشر خليفه : الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاويه ، وابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، هؤلاء ثمانية.

ويحتمل أن يضم اليهم المهتدى من العباسيين ، لأنه فىهم كعمر بن عبد العزيز فى بنى أميه ، وكذلك الظاهر ، لما أوتيه من العدل ، وبقي الإثنان المنتظران : أحدهما المهتدى ، لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم. انتهى.

* *

ولكن السيوطى وابن حجر أخذوا بزياده (وكلهم تجتمع عليهم الأمه) التى تقدم أنها لم تثبت ، وأن الألبانى الوهابى وغيره قالوا إنها منكروه.

كما أنهما تجاوزا حديث سفينه الذى صح عندهم ، والذى يحدد المده الزمنية للخلافه الراشده بثلاثين سنه ! وبذلك يصير المطلوب لهم أحد عشر حاكماً فى ثلاثين سنه ، ويبطل انتقاء أحد من الحكام الأمويين والعباسيين !

مضافاً الى أن نقل السيوطى لكلام عياض وابن حجر لم يكن دقيقاً مع الأسف ! فقد تجاهل كلام ابن حجر الذى عددهم الى الثانى عشر من بنى أميه ، فقال (والثانى عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك) بينما أوصلهم السيوطى فى بنى أميه الى ثمانية ، ووضع فىهم اثنين من خلفاء بنى العباس !! .. واليك فقرات من كلام ابن حجر فى فتح البارى لتعرف الخلل فى نقل السيوطى عنه ! قال :

قال ابن بطال عن المهلب : لم ألق أحداً يقطع فى هذا الحديث يعنى بشيء معين ! فقوم قالوا : يكونون بتوالى إمارتهم.

وقوم قالوا : يكونون فى زمن واحد كلهم يدعى الإمارة !

ص : ٥٧

قال : والذى يغلب على الظن أنه عليه الصلاه والسلام أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن ، حتى يفترق الناس فى وقت واحد على اثنى عشر أميراً !

قال : ولو أراد غير هذا لقال : يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا ، فلما أعراهم من الخبر ، عرفنا أنه أراد أنهم يكونون فى زمن واحد. انتهى (أى كلام ابن بطال). وهو كلام من لم يقف على شىء من طرق الحديث غير الروايه التى وقعت فى البخارى هكذا مختصره ، وقد عرفت من الروايات التى ذكرتها من عند مسلم وغيره أنه ذكر الصفه التى تختص بولايتهم ، وهو كون الإسلام عزيزاً منيعاً.

وفى الروايه الأخرى صفه أخرى وهو أن كلهم يجتمع عليه الناس ، كما وقع عند أبى داود ، فإنه أخرج هذا الحديث من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن أبيه عن جابر بن سمره بلفظ : لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفه كلهم تجتمع عليه الأمة. وأخرجه الطبرانى من وجه آخر عن الأسود بن سعيد عن جابر بن سمره بلفظ : لا تضرهم عداوه من عاداهم.

وقد لخص القاضى عياض ذلك فقال : توجه على هذا العدد سؤالان :

أحدهما : أنه يعارضه ظاهر قوله فى حديث سفينه ، يعنى الذى أخرجه أصحاب السنن وصححه بن حبان وغيره : الخلافه بعدى ثلاثون سنه ثم تكون ملكاً. الثلاثون سنه لم يكن فيها إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن على.

والثانى : أنه ولى الخلافه أكثر من هذا العدد.

قال والجواب عن الأول : أنه أراد فى حديث سفينه : خلافه النبوه ، ولم يقيده فى حديث جابر بن سمره بذلك.

وعن الثانى : أنه لم يقل لا يلى إلا اثنا عشر ، وإنما قال يكون اثنا عشر ، وقد ولى هذا العدد ، ولا يمنع ذلك الزيادة عليهم.

قال : وهذا إن جعل اللفظ واقعاً على كل من ولى ، وإلا فيحتمل أن يكون المراد من يستحق الخلافه من أئمه العدل ، وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ، ولا بد من تمام العده قبل قيام الساعه.

وقد قيل : إنهم يكونون في زمن واحد يفترق الناس عليهم ، وقد وقع في المائة الخامسة في الأندلس وحدها سته أنفس كلهم يتسمى بالخلافه ، ومعهم صاحب مصر ، والعباسيه ببغداد ، الى من كان يدعى الخلافه في أقطار الأرض ، من العلويه والخوارج.

قال : ويعضد هذا التأويل قوله في حديث آخر في مسلم : ستكون خلفاء فيكثرون.

قال : ويحتمل أن يكون المراد أن يكون الإثنا عشر في مده عزه الخلافه وقوه الإسلام واستقامه أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافه ، ويؤيده قوله في بعض الطرق : كلهم تجتمع عليه الأمه ، وهذا قد وجد فيما اجتمع عليه الناس الى أن اضطرب أمر بني أميه ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد ، فاتصلت بينهم الى أن قامت الدوله العباسيه فاستأصلوا أمرهم. وهذا العدد موجود صحيح إذا اعتبر.

قال : وقد يحتمل وجوهاً آخر .. والله أعلم بمراد نبيه. انتهى. (أى كلام عياض)

والإحتمال الذى قبل هذا ، وهو اجتماع اثني عشر في عصر واحد كلهم يطلب الخلافه ، هو الذى اختاره المهلب كما تقدم. وقد ذكرت وجه الرد عليه ، ولو لم يرد إلا قوله كلهم يجتمع عليه الناس ، فإن فى وجودهم فى عصر واحد يوجد عين الافتراق ، فلا يصح أن يكون المراد.

ويؤيد ما وقع عند أبى داود : ما أخرجه أحمد والبخاري من حديث بن مسعود بسند حسن ، أنه سئل كم يملك هذه الأمه من خليفه ؟ فقال : سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اثنا عشر كعده نقيباء بنى إسرائيل.

وقال ابن الجوزى فى كشف المشكل : قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه ، وسألت عنه فلم أقع على المقصود به ، لأن ألفاظه مختلفه ، ولا أشك أن التخليط فيها من الرواه ، ثم وقع لى فيه شىء وجدت الخطابى بعد ذلك قد أشار اليه ، ثم وجدت كلاماً لأبى الحسين بن المنادى وكلاماً لغيره.

فأما الوجه الأول ، فإنه أشار الى ما يكون بعده وبعده أصحابه ، وأن حكم أصحابه مرتبط بحكمه ، فأخبر عن الولايات الواقعه بعدهم ، فكأنه أشار بذلك الى عدد الخلفاء من بنى أميه ، وكأن قوله : لا يزال الدين أى الولاية الى أن يلى اثنا عشر خليفه ، ثم ينتقل الى صفه أخرى أشد من الأولى.

وأول بنى أميه يزيد بن معاويه ، وآخرهم مروان الحمار ، وعدتهم ثلاثه عشر ، ولا يعد عثمان ومعاويه ولا ابن الزبير ، لكونهم صحابه ! فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف فى صحبته ، أو لأنه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير ، صحت العده.

وعند خروج الخلافة من بنى أميه وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيره ، حتى استقرت دوله بنى العباس ، فتغيرت الأحوال عما كانت عليه تغيراً بيناً.

قال : ويؤيد هذا ما أخرجه أبو داود من حديث بن مسعود رفعه : تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فإن هلكوا فسييل من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً. (لا أعرف من صححه غير الألبانى)

قلت : لكن يعكر عليه أن من استقرار الملك لبنى أميه عند اجتماع الناس على معاويه سنه إحدى وأربعين ، الى أن زالت دوله بنى أميه فقتل مروان بن محمد فى أوائل سنه اثنتين وثلاثين ومائه ، أزيد من تسعين سنه ...

قال : وأما الوجه الثانى فقال أبو الحسين بن المنادى فى الجزء الذى جمعه فى المهدي : يحتمل فى معنى حديث : يكون اثنا عشر خليفه ، أن يكون هذا بعد المهدي الذى يخرج فى آخر الزمان ، فقد وجدت فى كتاب دانيال : إذا مات المهدي ملك بعده خمسه رجال من ولد السبط الأكبر ، ثم خمسه من ولد السبط الأصغر ، ثم يوصى آخرهم بالخلافه لرجل من ولد السبط الأكبر ، ثم يملك بعده ولده ، فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً ، كل واحد منهم إمام مهدي.

قال ابن المنادى : وفى روايه أبى صالح عن بن عباس : المهدي اسمه محمد بن

عبد الله ، وهو رجل ربه مشرب بحمره ، يفرج الله به عن هذه الأمة كل كرب ويصرف بعدله كل جور ، ثم يلي الأمر بعده اثنا عشر رجلاً ، سته من ولد الحسن وخمسه من ولد الحسين ، وآخر من غيرهم ، ثم يموت فيفسد الزمان.

وعن كعب الأحبار : يكون اثنا عشر مهدياً ، ثم ينزل روح الله فيقتل الدجال.

قال : والوجه الثالث : أن المراد وجود اثني عشر خليفه في جميع مده الإسلام الى يوم القيامة ، يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم.

ويؤيده ما أخرجه مسدد في مسنده الكبير ، من طريق أبي بحر أن أبا الجلد حدثه أنه لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفه كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل بيت محمد ، يعيش أحدهما أربعين سنة والآخر ثلاثين سنة. وعلى هذا فالمراد بقوله : ثم يكون الهرج ، أى الفتن المؤذنه بقيام الساعه ، من خروج الدجال ثم يأجوج ومأجوج الى أن تنقضى الدنيا. انتهى كلام بن الجوزى ملخصاً بزيادات سيره. (وتابع ابن حجر :)

والوجهان الأول والآخر قد اشتمل عليهما كلام القاضى عياض ، فكأنه ما وقف عليه ، بدليل أن فى كلامه زياده لم يشتمل عليها كلامه.

وينتظم من مجموع ما ذكره أوجه ، أرجحها الثالث من أوجه القاضى لتأييده بقوله فى بعض طرق الحديث الصحيحه : كلهم يجتمع عليه الناس.

وإيضاح ذلك أن المراد بالإجتماع انقيادهم لبيعته. والذى وقع أن الناس اجتمعوا على أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، الى أن وقع أمر الحكمين فى صفتين فسمى معاويه يومئذ بالخلافه ، ثم اجتمع الناس على معاويه عند صلح الحسن ، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ، ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك ، ثم لما مات يزيد وقع الإختلاف ، الى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل بن الزبير ، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة : الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام ، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز ، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين. والثانى

عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، واجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام فولى نحو أربع سنين ، ثم قاموا عليه فقتلوه ، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفه بعد ذلك ، لأن يزيد بن الوليد الذى قام على بن عمه الوليد بن يزيد لم تطل مدته ، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان ، ولما مات يزيد ولى أخوه إبراهيم فغلبه مروان ، ثم ثار على مروان بنو العباس ، الى أن قتل.

ثم كان أول خلفاء بنى العباس أبو العباس السفاح ، ولم تطل مدته ، مع كثره من ثار عليه ، ثم ولى أخوه المنصور فطالت مدته ، لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس ، واستمرت فى أيديهم متغلبين عليها الى أن تسموا بالخلافه بعد ذلك ، وانفرط الأمر فى جميع أقطار الأرض ، الى أن لم يبق من الخلافه إلا الإسم فى بعض البلاد ، بعد أن كانوا فى أيام بنى عبد الملك بن مروان يخطب للخليفه فى جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً ويميناً مما غلب عليه المسلمون ، ولا يتولى أحد فى بلد من البلاد كلها الإمارة على شىء منها إلا بأمر الخليفه. ومن نظر فى أخبارهم عرف صحه ذلك.

فعلى هذا يكون المراد بقوله : ثم يكون الهرج ، يعنى القتل الناشىء عن الفتن وقوعاً فاشياً يفسو ويستمر ويزداد على مدى الأيام ، وكذا كان. والله المستعان.

والوجه الذى ذكره بن المنادى ليس بواضح ، ويعكر عليه ما أخرجه الطبرانى من طريق قيس بن جابر الصدفى عن أبيه عن جده رفعه : سيكون من بعدى خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابره ، ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم يؤمر القطحانى فوالذى بعثنى بالحق ما هو دونه. فهذا يرد على ما نقله بن المنادى من كتاب دانيال.

وأما ما ذكره عن أبى صالح فواهٍ جداً ، وكذا عن كعب

فالأولى أن يحمل قوله : يكون بعدى اثنا عشر خليفه ، على حقيقه البعديه فإن

جميع من ولى الخلافة من الصديق الى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً ، منهم اثنان لم تصح ولايتهما ، ولم تطل مدتهما ، وهما معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم ، والباقيون اثنا عشر نفساً على الولاء ، كما أخبر صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاه عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة ، وتغيرت الأحوال بعده ، وانقضى القرن الأول الذى هو خير القرون .

ولا يقدح فى ذلك قوله : يجتمع عليهم الناس ، لأنه يحمل على الأكثر الأغلب ، لأن هذه الصفه لم تفقد منهم إلا فى الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ، مع صحه ولايتهما ، والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلا بعد تسليم الحسن ، وبعد قتل بن الزبير . والله أعلم .

وكانت الأمور فى غالب أزمته هؤلاء الإثنى عشر منتظمه ، وإن وجد فى بعض مدتهم خلاف ذلك فهو بالنسبه الى الإستقامه نادر . والله أعلم .

وقد تكلم ابن حبان على معنى حديث تدور رحى الإسلام ، فقال : المراد بقوله : تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين ، انتقال أمر الخلافة الى بنى أميه وذلك أن قيام معاوية عن على بصفين حتى وقع التحكيم ، هو مبدأ مشاركته بنى أميه ثم استمر الأمر فى بنى أميه من يومئذ سبعين سنة ، فكان أول ما ظهرت دعاه بنى العباس بخراسان سنة ست ومائة ، وساق ذلك بعباره طويله ، عليه فيها مؤاخذات كثيره ، أولها دعواه أن قصه الحكيم كانت فى أواخر سنة ست وثلاثين ، وهو خلاف ما اتفق عليه أصحاب الأخبار ، فإنها كانت بعد وقعه صفين بعده أشهر ، وكانت سنة سبع وثلاثين . والذى قدمته أولى بأن يحمل الحديث عليه . والله أعلم . انتهى .

**

وقد رأيت أن ما اختاره ابن حجر غير ما نسبه اليه السيوطى ..

ورأيت تحيرهم جميعاً وكثره احتمالاتهم ، وتضاربها ! وأن أكثرهم أخذوا زياده

ص : ٦٣

(تجتمع عليه الأمة) محوراً لتفسيرهم ، مع أنها لم تثبت واستنكرها عدد منهم ورأيت أن القاضى عياض لم يجزم بشيء ، بل ذكر وجوهاً عديدة بكلمه قيل ويحتمل .. وأن ابن حجر رجح الإحتمال الثالث منها ، فقال (وينتظم من مجموع ما ذكره أوجه أرجحها الثالث من أوجه القاضى).

والنتيجة التى يخرج منها القارئ لتفاسيرهم : أنهم يضيعون عليه الحديث الذى أرادوا أن يفسروه ، وهو حديث صحيح عندهم صريح بالبشاره النبويه باثنى عشر إماماً ربانيين ، هداة مهديين ، قيمين على الأمة ، ولكنهم يصرون على تلبس الحديث لحكام بنى أميه ، وعلى خلطه بزياده وأحاديث غير ثابتة ، لا يستقيم لها معنى ، ولا أثر فيها للبلاغه النبويه !!

* *

وإذا أردت مزيداً من الأمثلة على ضياعهم فاقراً عون المعبود ١١ / ٣٦٢ - ٣٦٤ :

قال : بعض المحققين : قد مضى منهم الخلفاء الأربعة ، ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة. وقيل : إنهم يكونون فى زمان واحد يفترق الناس عليهم.

وقال التوربشتى : السبيل فى هذا الحديث وما يعتقه فى هذا المعنى ، أن يحمل على المقسطين منهم ، فإنهم المستحقون لاسم الخليفه على الحقيقه ، ولا يلزم أن يكونوا على الولاء.

وإن قدر أنهم على الولاء ، فإن المراد منه المسمون على المجاز ! كذا فى المرقاه.

وقال الشيخ الأجل ولى الله المحدث فى قره العينين فى تفضيل الشيخين : وقد استشكل فى حديث : لا يزال هذا الدين ظاهراً الى أن يبعث الله اثنى عشر خليفه كلهم من قريش ، ووجه الإستشكال : أن هذا الحديث ناظرٌ الى مذهب الإثنى عشرية الذين أثبتوا اثنى عشر إماماً.

والأصل أن كلامه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بمنزله القرآن يفسر بعضه بعضاً ، فقد ثبت من حديث عبد

ص : ٦٤

الله بن مسعود : تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة ، أو ست وثلاثين سنة ، أو سبع وثلاثين سنة ، فإن يهلكوا فسييل من قد هلك ، وإن يقيم لهم دينهم ، يقيم سبعين سنة مما مضى .

وقد وقعت أغلاطٌ كثيرةٌ في بيان معنى هذا الحديث ، ونحن نقول ما فهمناه على وجه التحقيق :

إن ابتداء هذه المدة من ابتداء الجهاد في السنة الثانية من الهجره ...!!

وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ففي سنة خمس وثلاثين من ابتداء الجهاد وقعت حادثه قتل ذى النورين وتفرق المسلمين

ولكن الله تعالى بعد ذلك جعل أمر الخلافة منتظماً ، وأمضى الجهاد الى ظهور بنى العباس ، وتلاشى دوله بنى أميه ...

فتارةً أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن خلافة النبوه ، وخصصه بثلاثين سنة ، والتي بعدهم عبرها بملكٍ عضوضٍ ، وتاره عن خلافة النبوه ، والتي تتصل بها كليهما معاً ، وعبرها باثنى عشر خليفه ...

فالتحقيق في هذه المسأله : أن يُعتبروا بمعاويه وعبد الملك وبنيه الأربع (كذا) وعمر بن عبد العزيز ، ووليد بن يزيد بن عبد الملك ، بعد الخلفاء الأربعة الراشدين .

وقد نقل عن الإمام مالك أن عبد الله بن الزبير أحق بالخلافة من مخالفه ، ولنا فيه نظر ، فإن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما قد ذكرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن تسلط ابن الزبير واستحلال الحرم به مصيبةٌ من مصائب الأمة ، أخرج حديثهما أحمد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء ابن الزبير الى عمر بن الخطاب يستأذنه فى الغزو ، فقال عمر : أجلس فى بيتك فقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فرد ذلك عليه ، فقال له عمر : فى الثالثه أو التى تليها : أقعد فى بيتك ، والله إنى لأجد بطرف المدينة منك وأصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وأخرجه الحاكم .

فمن لفظه بطرف المدينة ، يفهم أن واقعه الجمل غير مراد ها هنا ، بل المراد خروجه للخلافه ، والى هذا المعنى قد أشار على (رضى الله عنه) فى قصه جواب الحسن (رضى الله عنه) ، ولم ينتظم أمر الخلافه عليه.

ويزيد بن معاويه ساقطٌ من هذا البين ، لعدم استقراره مده يعتد بها ، وسوء سيرته. والله أعلم. انتهى.

وأنت ترى أن صاحب قره العينين اعترف بأن ملك بنى أميه ملكٌ عضوٌ ، وأن خلافتهم ليست خلافه نبوه .. ومع ذلك فسر بهم الحديث ، وطبق عليهم البشاره النبويه بالأئمه الإثنى عشر الربانيين القيمين بأمر الله تعالى على أمه نبيه !

كما ترى أنه حذف منهم الإمام الحسن والإمام المهدي (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، وحذف ابن الزبير الذى أثبتته الإمام مالك وآخرون ... الخ. !

وهو مع ذلك ينتقد الذين غلطوا فى تفسيره فيقول (وقد وقعت أغلاطٌ كثيرةٌ فى بيان معنى هذا الحديث) ووعده الناس بأن يرفع المعضله ، ويحل المشكله !!

ثم اقرأ ما قاله ابن كثير فى البدايه والنهايه : ٢٤٨ / ٣ :

ذكر الأخبار عن الأئمه الإثنى عشر الذين كلهم من قريش. وليسوا بالإثنى عشر الذين يدعون إمامتهم الرافضه ، فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يل أمور الناس منهم إلا- على بن أبى طالب وابنه الحسن ، وآخرهم فى زعمهم المهدي المنتظر بسرداب سامرا ، وليس له وجودٌ ولا عين ولا أثر.

بل هؤلاء الأئمه الإثنا عشر المخبر عنهم فى الحديث : الأئمه الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، وعمر بن عبد العزيز بلا خلاف بين الأئمه على كلا القولين لأهل السنه فى تفسير الإثنى عشر. انتهى.

ولعله يقصد بالقولين القول بتتابعهم زمنياً ، وعدمه ، ولكنهما وجهان فى كل واحد منهما عددٌ من الأقوال .. وقد ذكر هو جملته منها ، ثم أشار ابن كثير الى

الإحتمالات ، وركز منها على مناقشه البيهقي فقال : فهذا الذى سلكه البيهقي وقد وافقه عليه جماعه من أن المراد بالخلفاء الإثنى عشر المذكورين فى هذا الحديث ، هم المتتابعون الى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، الذى قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد ، فإنه مسلكٌ فيه نظر ، وبيان ذلك : أن الخلفاء الى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثنى عشر على كل تقدير ، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى خلافتهم محققه بنص حديث سفينه :

الخلافه بعدى ثلاثون سنه. ثم بعدهم الحسن بن على كما وقع ، لأن علياً أوصى اليه وبايعه أهل العراق ، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام ، حتى اصطلح هو ومعاويه كما دل عليه حديث أبى بكره ، فى صحيح البخارى. ثم معاويه ، ثم ابنه يزيد بن معاويه ، ثم ابنه معاويه بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم ابنه عبد الملك بن مروان ثم ابنه الوليد بن عبد الملك ، فهؤلاء خمس عشر ، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

فإن اعتبرنا ولايه الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر ، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز ، فهذا الذى سلكه على هذا التقدير يدخل فى الإثنى عشر يزيد بن معاويه ، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز ، الذى أطبق الأئمه على شكره وعلى مدحه ، وعدوه من الخلفاء الراشدين ، وأجمع الناس قاطباً على عدله وأن أيامه كانت من أعدل الأيام ، حتى الرفضه يعترفون بذلك.

فإن قال : أنا لا- أعتبر إلا- من اجتمعت الأئمه عليه ، لزمه على هذا القول أن لا- يعد على بن أبى طالب ولا ابنه ، لأن الناس لم يجتمعوا عليهما ، وذلك أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما ، وعد معاويه وابنه يزيد وابن ابنه معاويه بن يزيد ، ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير ، فإن الأئمه لم تجتمع على واحد منهما.

فعلى هذا نقول فى مسلكه هذا عاداً للخلفاء أبى بكر وعمر وعثمان ثم معاويه ثم يزيد بن معاويه ثم عبد الملك ثم الوليد بن سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ، فهؤلاء عشره ، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، ولكن

هذا لا يمكن أن يسلك ، لأنه يلزم منه إخراج علي وابنه الحسن من هؤلاء الإثني عشر ، وهو خلاف ما نص عليه أئمة السنه ، بل والشيعة ، ثم هو خلاف ما دل عليه نصاً حديث سفينه عن رسول الله أنه قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنه ، ثم تكون ملكاً عضوضاً. وقد ذكر سفينه تفصيل هذه الثلاثين سنه فجمعها من خلفه الأربعة ، وقد بينا دخول خلفه الحسن ، وكانت نحواً من ستة أشهر فيها أيضاً ، ثم صار الملك الى معاويه لما سلم الأمر اليه الحسن بن علي.

وهذا الحديث فيه المنع من تسميه معاويه خليفه ، وبيان أن الخلافة قط انقطعت بعد الثلاثين سنه لا مطلقاً ، بل انقطع متابعتها ، ولا ينفي وجود خلفاء راشدين بعد ذلك ، كما دل عليه حديث جابر بن سمره.

وقال نعيم بن حماد : حدثنا راشد بن سعد ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حذيفه بن اليمان قال : يكون بعد عثمان اثنا عشر ملكاً من بنى أميه ، قيل له : خلفاء ؟ قال : لا ، بل ملوك.

وقد روى البيهقي من حديث حاتم بن صفره ، عن أبي بحر قال : كان أبو الجلد جاراً لي ، فسمعتة يقول يحلف عليه : إن هذه الأمه لن تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفه كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، منهم رجلا من أهل البيت ، أحدهما يعيش أربعين سنه ، والآخر ثلاثين سنه.

ثم شرع البيهقي في رد ما قاله أبو الجلد بما لا يحصل به الرد ، وهذا عجيب منه !

وقد وافق أبا الجلد طائفة من العلماء ، ولعل قوله أرجح لما ذكرنا.

وقد كان ينظر في شيء من الكتب المتقدمه ، وفي التوراه التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه : إن الله تعالى بشر ابراهيم ياسماعيل ، وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً. انتهى.

ويقصد ابن كثير ما هو موجود في التوراه الفعلية - العهد القديم والجديد ١ / ٢٥ - طبعه مجمع الكنائس الشرقيه - في سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر ، قال :

١٨ - وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك.

١٩ - فقال الله : بل ساره امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً ، لنسله من بعده.

٢٠ - وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمه كبيره.

٢١ - ولكن عهدي أقيمه مع اسحق ، الذي تلده لك ساره في هذا الوقت ، في السنه الآتية. انتهى.

وقد وردت ترجمتها عن كعب الأخبار (قيماً) وترجمها بعضهم (إماماً) ..

فالنص موجودٌ في التوراه ، وفي مصادر السنه ، والشيعه ، وهو مؤيدٌ لبشاره نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولكنه لا يحل مشكله المفسرين السنيين ، بل يزيدها !

**

ومن أعقل هؤلاء الشراح وأكثرهم إنصافاً في هذا الموضوع : ابن العربي المالكي المتوفى سنه ٥٤٣ ، فقد اعترف في عارضه الأحوذى بشرح صحيح الترمذى بأن تطبيق الحديث على هؤلاء يصل الى طريق مسدود ، ورجح أن يكون الحديث ناقصاً لأن الموجود منه لا يفهم له معنى .. قال :

روى أبو عيسى عن جابر بن سمره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون بعدى اثنا عشر أميراً كلهم من قريش. صحيح.

فعددنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر أميراً فوجدنا : أبا بكر ، عمر ، عثمان ، على ، الحسن ، معاويه ، يزيد ، معاويه بن يزيد ، مروان ، عبد الملك ، مروان بن محمد بن مروان ، السفاح ، المنصور ، المهدي ، الهادي ، الرشيد ، الامين ، المأمون ، المعتصم ، الواثق ، المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهدي ، المعتضد ، المكتفى ، المقتدر ، القاهر ، الراضى ، المتقى ، المستكفى

ص : ٦٩

المطيع ، الطائع ، القادر ، القائم ، المقتدى ، أدركته سنة أربع وثمانين وأربعمائة وعهد الى المستظهر أحمد ابنه ، وتوفى فى المحرم سنة ست وثمانين ، ثم بايع المستظهر لابنه أبى منصور الفضل ، وخرجت عنهم سنة خمس وتسعين .

وإذا عددنا منهم اثنى عشر انتهى العدد بالصورة الى سليمان بن عبد الملك .

وإذا عددناهم بالمعنى ، كان معنا منهم خمسة : الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز ، ولم أعلم للحديث معنى ، ولعله بعض حديث !! انتهى .

* *

وقد اتضح أن المفسرين السنيين بذلوا كل جهدهم لتفسير هؤلاء الأئمة الإثنى عشر الموعودين فى التوراه على لسان ابراهيم ، ثم على لسان نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، على ملوك بنى أمية ، ولكنهم واجهوا ثلاثة مشاكل أساسيه لا حل لها :

الأولى : زياده عدد هؤلاء (الخلفاء) الذين يعترفون بأنهم ليسوا خلفاء النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بل خلفاء الهواء ! على الإثنى عشر ، الأمر الذى يدخلهم فى بوابه الحذف والإثبات التى لا ضابط لها ، ولا آخر !

والثانيه : أنهم يشعرون أن هذا الثوب الالهى لا يمكن إلباسه لجماعتهم .. وأنهم مهما دافعوا عن سيره هؤلاء (الخلفاء غير الخلفاء) وتستروا على تاريخهم ، ففيهم مفضوحون ، لا بد من الاعتراف بسوئهم ، ولا يمكن أن يكون أحدهم إماماً ربانياً ، وقيماً عظيماً على الأمة ، موعوداً من الله تعالى على لسان أعظم الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

والثالثه : أنهم بهذا التفسير يدعون لهؤلاء الملوك منصباً ربانياً لم يدعوه هم لأنفسهم ! فيصيرون بذلك كمن يدعى نبوه لنبى ، والنبي المزعوم ينكرها !!

وأخيراً ، فقد نصح المفسرون السنيون أتباعهم أن لا يأخذوا بتفسير الشيعة ، ووعدهم بأن يفسروا لهم الحديث الشريف بأصح من تفسير الشيعة ، وقد رأينا أنهم داروا فى تفسيره كثيراً ، وراوحوا مكانهم ..

ص: ٧٠

فمن حق السننى أن يعود على بدء ، ويسألهم عن تفسير حديث نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الصحيح وبشارته القطعيه باثنى عشر إماماً ، ربانياً ، ملهماً ، مميزاً بعلمه وشخصيته وسلوكه ، قيماً من ربه على الأمة .. يكونون جميعاً على هدىً واحد ، وخطٍ واحد ..

ومن حقنا أن نقول لهم : إذا لم تفسروه ، فاعذرونا أن نفسره بالأئمة من أهل بيت النبى وعترته الطاهرين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأولهم على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وآخرهم المهدي الموعود (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وقد قال النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : بنا بدأ الله وبنا يختم.

تورط الشراح فى حديث سفينه

سفينه مولى أم سلمه ، وثقه علماء الجرح والتعديل السنيون ، وروى عنه البخارى وغيره من أصحاب الصحاح حديثاً يتعلق بالموضوع وصححوه.

- قال الترمذى : ٣ / ٣٤١

عن سعيد بن جمهان قال حدثنى سفينه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلافة فى أمتى ثلاثون سنه ، ثم ملكك بعد ذلك (عضوضٌ).

ثم قال لى سفينه : أمسك عليك خلافة أبى بكر ، ثم قال وخلافه عمر ، وخلافه عثمان ، ثم قال أمسك خلافة على ، فوجدناها ثلاثين سنه.

قال سعيد : فقلت له : إن بنى أميه يزعمون أن الخلافة فيهم ؟

قال : كذب بنو الزرقاء ، بل هم ملوكٌ من شر الملوك.

وفى الباب عن عمر وعلى قالاً : لم يعهد النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلافة شيئاً. هذا حديث حسن ، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ، لا نعرفه إلا من حديثه. انتهى. ورواه أحمد فى مسنده : ٥ / ٢٢٠ ، و ٢٢١ ، بدون كلام سفينه عن ملوك بنى أميه. وقال عنه الحاكم : ٣ / ٧١ وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعاً الى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). انتهى.

- ورواه ابن كثير فى البدايه والنهايه : ٣ / ١٩٨ ثم روى بعده عن عبد الرحمن أبى بكره قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خلافة نبوه ثلاثون عاماً ، ثم

ص : ٧١

يؤتى الله ملكه من يشاء ، فقال معاوية : رضينا بالملك !! انتهى.

وإذا صح حديث سفينه فهو إخبارٌ نبويٌّ عن انحراف الأمة بعد الثلاثين سنة ، وعدم شرعيه الحكم فيها.

وبما أن عدد الحكام فى هذه الفترة لم يزيدوا عن خمسة ، فلا بد أن يكون الأئمة الإثنا عشر من غير الحاكمين ، أو تكون تكملتهم من غيرهم !

فحديث سفينه يحكم بخطأ جعل الأئمة الإثنى عشر من الحكام ، كما هو واضح.

ولكن أكثر الشراح أشربوا فى قلوبهم حب بنى أميه ، وارتكبوا كل تناقض لجعل ملكهم العضوض إمامه ربانيه ، وجعل حكامهم المعروفين بسلو كهم وبطشهم ، أئمة ربانيين ، مبشراً بهم على لسان رسول رب العالمين !!

والذى يزيدك اطمئناناً بما قلناه ، أنهم قبلوا حديث سفينه (الخلفه ثلاثون سنة) وقد فسره راويه ونفى الخلفه عن بنى أميه ، وقال إنهم ملوك شر ملوك !

ومع ذلك جعلوهم أئمة ربانيين ، اختارهم الله تعالى لقياده هذه الأمة !

ومنهم من حاول نفي تفسير سفينه وقال إنه زياده لم تثبت ، مثل الألبانى ! وكذلك لم يثبت عندهم كل ما فى تاريخ بنى أميه من ظلمٍ عضوضٍ للناس !!

- قال العيني فى عمده القارى : ٧٤ / ١٦

فإن قلت : يعارض حديث سفينه ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمره : لا يزال هذا الدين قائماً ما كان اثنا عشر خليفه كلهم من قريش ، الحديث.

قلت : قيل إن الدين لم يزل قائماً حتى ولى اثنا عشر خليفه كلهم من قريش ، وأراد بهذا خلفه النبوه ، ولم يرد أنه لا يوجد غيرهم.

وقيل : هذا الحديث فيه إشاره بوجود اثنى عشر خليفه عادلين من قريش ، وإن لم يوجدوا على الولاء ، وإنما اتفق وقوع الخلفه المتتابعه بعد النبوه فى ثلاثين سنة ، ثم قد كان بعد ذلك خلفاء راشدون منهم عمر بن عبد العزيز ، ومنهم المهتدى بأمر الله العباسى ، ومنهم المهتدى المبشر بوجوده فى آخر الزمان. انتهى.

فانظر الى هذا التصرف بالألفاظ من أجل مصلحة الأمويين ، حيث جعل الخلافة الشرعيه نوعين : خلافة نبوه وهى التى كانت لمدته ثلاثين سنه ، وخلافة شرعيه ليست خلافة عن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ! بل هى خلافة عن بنى تبع وبنى حَمِير مثلاً ، وهى التى امتدت بعد الثلاثين ، وهى التى بشر بها النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقوله : اثنا عشر خليفه أو إماماً !!.

وقد تمسك الشراح المحبون لبنى أميه بهذا الإبتكار وفرحوا به ، لأنه يبقى لهم إمكانيه التلاعب بالحديث ، وتفسيره بأئمتهم الربانيين من بنى أميه !!

- قال ابن كثير فى البدايه والنهائيه : ٣ / ١٩٨

فإن قيل : فما وجه الجمع بين حديث سفينه هذا ، وبين حديث جابر بن سمره ، المتقدم فى صحيح مسلم ؟...

فالجواب : أن من الناس من قال : إن الدين لم يزل قائماً حتى ولى اثنا عشر خليفه ثم وقع تخييط بعدهم فى زمان بنى أميه.

وقال آخرون : بل هذا الحديث فيه بشاره بوجود اثني عشر خليفه عادلاً من قريش ، وإن لم يوجدوا على الولاء (التتابع) وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعه بعد النبوه فى ثلاثين سنه ، ثم كانت بعد ذلك خلفاء راشدون فيهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى (رضى الله عنه) وقد نص على خلافته وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين غير واحد من الأئمه ، حتى قال أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) : ليس قول أحد من التابعين حجه إلا قول عمر بن عبد العزيز !

ومنهم من ذكر من هؤلاء المهدي بأمر الله العباسى.

والمهدي المبشر بوجوده فى آخر الزمان منهم أيضاً بالنص على كونه من أهل البيت ، واسمه محمد بن عبد الله ، وليس بالمنتظر فى سرداب سامرا ، فإن ذاك ليس بموجود بالكلية ، وإنما ينتظره الجهله من الروافض. انتهى.

فترى أن ابن كثير لا جواب عنده على إشكال حديث سفينه ، ولذلك قال : من الناس من قال .. وقال آخرون .. ومنهم من ذكر ! وليته أكمل الروايه عن سفينه كما

وردت في مصادرهم !

أما مدحه لعمر بن عبد العزيز أو المهدي العباسي ، فلا- يصير دليلاً على أنه أحد الأئمة الربانيين المبشر بهم مهما كثر ! وإلا لاستحق كل ممدوح مثلهما أن يكون منهم ! فإن دخول أحدٍ في عداد أشخاصٍ بشر بهم أنبياء الله تعالى يحتاج الى دليل على أنه مقصودٌ بهذا النص ، وأنه واحدٌ من هؤلاء الربانيين الذين أختارهم الله تعالى وأعطاهم مقاماً فوق مدح المادحين من البشر !

وأما تكراره اتهام الشيعة بانتظار ظهور المهدي من سرداب سامرا ، من المكذوبات علينا ، فنحن ننتظر ظهور المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من مكة كما ينتظره هو ، وسرداب سامرا بيته وبيت أبيه وجده (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وهو مكانٌ مباركٌ ، نصلي فيه ونتبرك به .

- وقال في هامش عون المعبود : ١١ / ٣٦١

ذكر الشيخ ابن القيم (رحمه الله) ... حديث : الخلافة بعد ثلاثون سنة ، وحديث اثنا عشر خليفة ، ثم قال : فإن قيل : فكيف الجمع ؟

قيل : لا تعارض بين الحديثين ، فإن الخلافة المقدره بثلاثين سنة هي خلافة النبوه كما في حديث أبي بكره . انتهى .

ولم يقل ابن قيم ولا غيره إذا لم تكن خلافة بنى أميه خلافة نبوه فهي خلافة ماذا يا ترى ؟؟ وهل تبقى لها صفة إسلامية وربانية ، بعد أن وصفها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنها ملكٌ عضوضٌ ، كما اعترف صاحب قره العينين وغيره !

وهل يعنى إقرارهم بأنها ملك عضوض ، ونفيهم عنها صفة الخلافة الإسلامية ، إلا أنها خلافة جاهلية عضوضه ؟ فهل يتصور عاقلٌ أن الله تعالى ورسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يبشران الأمة بأئمه جاهليين ، يعضونها بظلمهم ؟!

ولو أن ابن حبان وابن حجر وابن قيم وصاحب قره العينين وأمثالهم .. اكتفوا بتعصبهم لبنى أميه ، لكان خطبهم أسهل ، ولكنهم مع الأسف أصروا على تسخير الأحاديث النبويه لنصرتهم ، وتطبيق بشائر الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) على ملوكهم !!

ص: ٧٤

ومن طريف عمل الألباني في الحديث ، أنه صحح عدة أحاديث عن الإنحراف والأئمة المضلين ، الذين سيحكمون بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ومنها حديث برقم ٢٩٨٢ (إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه !) .

وحديث برقم ٢٨٦٤ (إنه سيلى أموركم من بعدى رجالٌ يطفئون السنه ويحدثون بدعه) .

وحديث برقم ٢٨٦٥ (إنى ممسكٌ بحجزتكم عن النار ، وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب ، ويوشك أن أرسل حجزتكم ...) الخ .

وحديث برقم ١٧٤٩ أول من يغير سنتى رجلٌ من بنى أميه . وجعل هذا الحديث الأخير تحت عنوان من أعلام نبوته الغيبه ، وقال بعده : ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفه وجعله وراثه . والله أعلم .

وحديث برقم ٧٤٤ (إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً عباد الله خولاً ومال الله دولاً) .

كما صحح حديث سفينه برقم ٤٥٩ ، ولكنه جعله تحت عنوان : خلافه النبوه !

ومع كل هذه الأحاديث التى صححها ، قال مدافعاً عن الأميين : فلا ينافى مجيء خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوه . فهؤلاء هم المعنيون فى الحديث لا غيرهم ! كما هو واضح !! ويزيده وضوحاً قول شيخ الإسلام فى رسالته المذكوره : ويجوز تسميه من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء ، وإن كانوا ملوكاً ولم يكونوا خلفاء الأنبياء .. الخ . انتهى .

فقد أفتى تبعاً لإمامه ابن تيميه ، بأن الأئمة الإثني عشر المبشر بهم على لسان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) القيمين على الأمة بتعيين رب العالمين هم .. معاويه ويزيد وبنو الحكم بن أبى العاص ، الذين صحت فيهم أحاديث ذم قاصعه !!

وكأنه لا يعرف أنه بسبب غلوه فى بنى أميه يعطى الحججه على ربه سبحانه ، وعلى نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!

فماذا يقول إذا قال له مستشرقٌ مثلاً: إنكم أيها المسلمون تقولون إن ربكم مزاجي ونييكم مزاجي أيضاً، لأنهما يلعبان أشخاصاً
ويذمانهم ويتبرآن منهم .. ثم يتغير مزاجهما فيرضيان عنهم ، ويعلمان للمسلمين : إنا نبشركم بهم وبأولادهم ، إنهم صفوه البشر ،
أئمة ، ربانيون ، معصومون ، قيمون على الأمة !!

وهل دخل المستشرقون الخبثاء ، وهل دخل سلمان رشدي وأمثاله ، وطعنوا في الإسلام ، إلا من أبواب أحاديث التعصب لقريش
وبني أميه ، وكعب الأخبار ؟!

الثانيه عشره : نماذج من أحاديثنا في الأئمة الإثني عشر :

- روى الصدوق في الخصال / ٤٦٦ - ٤٦٧ ، حديث ابن مسعود المتقدم بعده أسانيد فيها مجالد بن سعيد ، وأسانيد أخرى ليس
فيهما مجالد ، قال :

حدثنا أبو علي أحمد بن الحسن القطان قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال البغدادي قال : حدثنا
محمد بن عبدوس الحراني قال : حدثنا عبد الغفار بن الحكم قال : حدثنا منصور بن أبي الأسود ، عن مطرف ، عن الشعبي ، عن
عمه قيس بن عبد قال : كنا جلوساً في حلقة فيها عبد الله بن مسعود فجاء أعرابي فقال : أيكم عبد الله بن مسعود ؟

فقال عبد الله : أنا عبد الله بن مسعود.

قال : هل حدثكم نبيكم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كم يكون بعده من الخلفاء ؟

قال : نعم ، اثنا عشر ، عدد نساء بني إسرائيل.

حدثنا أبو القاسم عتاب بن محمد الوراميني الحافظ قال : حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن
الفضل ، ومحمد بن عبيد الله بن سوار قالوا : حدثنا عبد الغفار بن الحكم قال : حدثنا منصور بن أبي الأسود ، عن مطرف عن
الشعبي .

قال : عتاب بن محمد : وحدثنا إسحاق بن محمد الأنماطي قال : حدثنا يوسف بن موسى قال : حدثنا جرير ، عن أشعث بن
سوار عن الشعبي . قال عتاب بن محمد :

وحدثنا الحسين بن محمد الحراني قال : حدثنا أيوب بن محمد الوزان قال : حدثنا سعيد بن مسلمة قال : حدثنا أشعث بن سوار ، عن الشعبي ، كلهم قالوا عن عمه قيس بن عبد .

قال أبو القاسم عتاب : وهذا حديث مطرف قال : كنا جلوساً في المسجد ، ومعنا عبد الله بن مسعود ، ف جاء أعرابي فقال : فيكم عبد الله ؟

قال : نعم أنا عبد الله ، فما حاجتك ؟

قال : يا عبد الله أخبركم نبيكم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كم يكون فيكم من خليفه ؟

قال : لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد منذ قدمت العراق ، نعم ، اثنا عشر عده نقباء بني إسرائيل .

قال : أبو عروبه في حديثه : نعم عده نقباء بني إسرائيل . وقال جرير عن الأشعث بن مسعود عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال : الخلفاء بعدى اثنا عشر ، كعدد نقباء بني إسرائيل . انتهى . (ورواهما في كمال الدين وتمام النعمه / ٢٧١ ، بنفس السند)

وأكبر عملٍ حديثي قام به قدماء علمائنا في هذا الموضوع ، بل هو أجلُّ ما وجدته في الموضوع من الأعمال العلميه المقارنه ، تأليف المحدث الخبير على بن محمد بن على الخزاز القمي الرازي ، من علماء أوائل القرن الرابع وكتابه القيم (كفايه الأثر في النص على الأئمه الإثني عشر) وقد ذكر منهجه في مقدمته فقال في ص ٧ :

أما بعد : فإن الذي دعاني الى جمع هذه الأخبار ، عن الصحابه والعترة الأخيار ، في النصوص على الأئمه الأبرار ، أنى وجدت قوماً من ضعفاء الشيعة ومتوسطيهم في العلم ، متحيرين في ذلك ومتعجزين ، يشكون فرط اعتراض المشبهه عليهم ، وزمرات المعتزله ، تليساً وتمويهاً عاصدتهم عليه ، حتى آل الأمر بهم الى أن جحدوا أمر النصوص عليهم ، من جهه لا يقطع بمثلها العذر ، حتى أفرط بعضهم وزعم أن ليس لها من الصحابه أثر فلما رأيت ذلك كذلك ، ألزمت نفسى الإستقصاء في هذا الباب موضعاً ما عندى من البيئات ، ومبطلاً ما أورده المخالفون من الشبهات ، تحريماً لمرضاه الله ، وتقرباً الى رسوله والأئمه من بعده .

وأبتدئ بذكر الروايات فى النصوص عليهم من جهة أصحاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) المعروفين مثل عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، وجابر بن سمره ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وأبى هريره ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وأبى أمامه ، ووائله بن الأسقع ، وأبى أيوب الأنصارى ، وعمار بن ياسر ، وحذيفه بن أسيد ، وعمران بن الحصين ، وسعد بن مالك ، وحذيفه بن اليمان ، وأبى قتاده الأنصارى ، وعلى بن أبى طالب ، وابنيه الحسن والحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

ومن النساء : أم سلمه ، وعائشه ، وفاطمه بنت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ثم أعقبه بذكر الأخبار التى وردت عن الأئمه صلوات الله عليهم ، مما يوافق حديث الصحابه ، فى النصوص على الأئمه ، ونص كل واحد منهم على الذى من بعده ، ليعلموا إن أنصفوا ويدينوا به ، ولا يكونوا كما قال الله سبحانه « فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » إذ مثل هذه الأخبار تزيل الشك والريب ، ويقطع بها العذر ، وإن الأمر أوكد مما ذهبوا اليه. انتهى.

ثم عقد قدس الله نفسه باباً لما روى عن كل واحد من الصحابه الذين ذكرهم ، وأورد فيه حديثه أو أحاديثه ، بسند متصل منه اليه ، الى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فحفظ بذلك عدداً من النصوص التى ضاعت فى مصادر إخواننا السنيين ، أو تشتتت فى مصنفاتهم ، أو بقى منها أجزاء مجزأه ، وأحياناً بقى الحديث بكامله !

ونورد فيما يلى نماذج منها :

- قال فى ص ٢٣ فى باب ما جاء عن عبد الله بن مسعود :

أخبرنا محمد بن عبد الله (رحمه الله) قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن عماره الثقفى قال : حدثنى أحمد بن عبد الجبار العطاردى قال : حدثنا محمد بن الحسان الضرير التومنى قال : حدثنا على بن محمد الأنصارى ، عن عبد الله بن عبد الكريم ، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن حبش بن المعتمر ، عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول : الأئمه بعدى اثنا عشر كلهم من قريش.

وهذا عبد الله بن مسعود روى عنه السائب ، ومسروق ، وقيس بن سعد ، وحبش بن المعتمر.

أخبرنا أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني (رحمه الله) قال حدثنا أبو علي محمد بن زهير بن الفضل الأبلبي قال : حدثنا أبو الحسين عمر بن الحسين بن علي بن رستم قال : حدثني ابراهيم بن يسار الرمادي قال : حدثني سفیان بن عتبه ، عن عطا بن السائب ، عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وسلم يقول : الأئمة بعدى اثنا عشر ، تسعه من صلب الحسين ، والتاسع مهديهم .

وقال في ص ٧٣ في باب ما جاء عن أنس بن مالك :

حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهري قال : حدثنا محمد بن أحمد الصفواني قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا عبد الله بن مسلمة قال : حدثنا محمد بن عبد الله الحمصي قال : حدثنا بن حماد ، عن أنس بن مالك قال : صلى بنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال : معاشر أصحابي من أحب أهل بيتي حشر معنا ، ومن استمسك بأوصيائي من بعدى فقد استمسك بالعروة الوثقى . فقام إليه أبو ذر الغفاري فقال : يا رسول الله كم الأئمة بعدك ؟

قال : عدد نساء بني اسرائيل .

فقال : كلهم من أهل بيتك ؟

قال : كلهم من أهل بيتي ، تسعه من صلب الحسين ، والمهدي منهم .

وقال في ص ١١٣ في باب ما جاء عن أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد :

أخبرنا أبو المفضل الشيباني قال : حدثني حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي قال : حدثنا محمد بن مسعود ، عن يوسف بن السخت ، عن سفیان الثوري ، عن موسى بن عبيده أياس بن مسلمة بن الأكوع ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول : أنا سيد الأنبياء ، وعلي سيد الأوصياء ، وسبطاي خير الأسباب ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين ، ومنا مهدي هذه الأمة .

فقام إليه أعرابي فقال : يا رسول الله كم الأئمة بعدك ؟

ص : ٧٩

قال : عدد الأسباب ، وحوارى عيسى ، ونقباء بنى إسرائيل .

وقال فى ص ١٢٠ فى باب ما جاء عن عمار بن ياسر :

أخبرنا محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني قال : حدثنا محمد بن الحسين بن حفص الحثعمي الكوفي قال : حدثنا عباد ابن يعقوب قال : حدثنا علي بن هاشم ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عبيده بن محمد بن عمار ، عن أبيه ، عن جده عمار قال : كنت مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى بعض غزواته ، وقتل على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أصحاب الألويه و فرقتهم ، وقتل عمراً بن عبد الله الجمحمي ، وقتل شيبه بن نافع ، أتيت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وسلم فقلت له : يا رسول الله صلى الله عليك إن علياً قد جاهد فى الله حق جهاده. فقال : لأنه منى وأنا منه ، وارث علمى وقاضى دينى ، ومنجز وعدى ، والخليفه بعدى ، ولولاه لم يعرف المؤمن المحض ، حربته حربى وحربى حرب الله ، وسلمه سلمى وسلمى سلم الله ، ألا إنه أبو سبطى ، والأئمه من صلبه ، يخرج الله تعالى الأئمه الراشدين ، ومنهم مهدي هذه الأمه .

فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما هذا المهدي ؟

قال : يا عمار إن الله تبارك وتعالى عهد اللى أنه يخرج من صلب الحسين تسعه ، والتاسع من ولده يغيب عنهم ، وذلك قوله عز وجل : قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتكم بماء معين ، يكون له غيبه طويله يرجع عنها قوم ، ويثبت عليها آخرون ، فإذا كان فى آخر الزمان يخرج فيملاً الدنيا قسطاً وعدلاً ، ويقا تل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، وهو سمى ، وأشبه الناس بى .

يا عمار ستكون بعدى فتنه ، فإذا كان ذلك فاتبع علياً وحزبه ، فإنه مع الحق والحق معه . يا عمار إنك ستقاتل بعدى مع على صنفين : الناكثين والقاسطين ثم تقتلك الفئه الباغيه .

قلت : يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك ؟

قال : نعم على رضا الله ورضاي ، ويكون آخر زادك من الدنيا شربه من لبن تشربه .

فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر الى أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له : يا أخا رسول الله ، أتأذن لي في القتال ؟

قال مهلاً- رحمك الله ، فلما كان بعد ساعه أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله ، فأعاد عليه ثالثاً فبكى أمير المؤمنين وقال : إنه اليوم الذى وصفه لى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فنزول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن بغلته وعانق عماراً وودعه ، ثم قال :

يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيك خيراً ، فنعمة الأخ كنت ، ونعمه الصاحب كنت. ثم بكى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبكى عمار.

ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلا- ببصيره ، فإنى سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول يوم خيبر : يا عمار ستكون بعدى فنته ، فإذا كان ذلك فاتبع علياً وحزبه ، فإنه مع الحق والحق معه ، وستقاتل الناكثين والقاسطين ، فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الإسلام أفضل الجزاء ، فلقد أديت وأبلغت ونصحت.

ثم ركب وركب أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثم برز الى القتال ، ثم دعا بشربه من ماء فقيل له ما معنا ماء ، فقام اليه رجل من الأنصار فأسقاها شربة من لبن ، فشربه ثم قال : هكذا عهد الى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يكون آخر زادى من الدنيا شربة من لبن.

ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً ، فخرج اليه رجلا من أهل الشام قطعناه وقتل (رحمه الله).

فلما كان فى الليل طاف أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى القتلى ، فوجد عماراً ملقى بين القتلى ، فجعل رأسه على فخذه ، ثم بكى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأنشأ يقول :

ألا أيها الموت الذى لست تاركى

أرحنى فقد أفنيت كل خليلٍ

أراك بصيراً بالذين أحبهم

كأنك تمضى نحوهم بدليلٍ

- وقال فى ص ١٨٠ فى باب ما جاء عن أم سلمه :

حدثنا على بن الحسن بن محمد بن منده قال : حدثنا أبو الحسين زيد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز بالكوفة فى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال : حدثنا العباس بن الجوهري ببغداد فى دار عميره قال : حدثنى عفان بن مسلم قال :

حدثني حماد بن سلمه ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن سداد بن أوس قال : لما كان يوم الجمل قلت : لا أكون مع علي ولا أكون عليه ، وتوقفت عن القتال الى انتصاف النهار ، فلما كان قرب الليل ألقى الله في قلبي أن أقاتل مع علي ، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان ، ثم إنى أتيت المدينة فدخلت على أم سلمه ، قالت : من أين أقيمت ؟

قلت : من البصره .

قالت : مع أي الفريقين كنت ؟

قلت : يا أم المؤمنين إنى توقفت عن القتال الى انتصاف النهار ، وألقى الله عز وجل أن أقاتل مع علي .

قالت : نعم ما عملت ، لقد سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول : من حارب علياً فقد حاربني ، ومن حاربني فقد حارب الله .

قلت : فترين أن الحق مع علي ؟

قالت : إي والله ، عليٌّ مع الحق والحق معه ، والله ما أنصف أمه محمد نبيهم ، إذ قدموا من أخره الله عز وجل ورسوله ، وأخروا من قدمه الله تعالى ورسوله ! وأنهم صانوا حلائلهم في بيوتهم ، وأبرزوا حليله رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى الفناء ! والله سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول : لأمتي فرقه وجعله ، فجامعوها إذا اجتمعت ، وإذا افترقت فكونوا من النمط الأوسط ، ثم ارقبوا أهل بيتي فإن حاربوا فحاربوا ، وإن سالموا فسالموا ، وإن زالوا فزالوا معهم ، فإن الحق معهم حيث كانوا .

قلت : فمن أهل بيته ؟

قالت : أهل بيته الذين أمرنا بالتمسك بهم ؟

قالت : هم الأئمه بعده كما قال : عدد نساء بنى إسرائيل : علي وسبطاه ، وتسعه من صلب الحسين ، هم أهل بيته هم المطهرون ، والأئمه المعصومون .

قلت : إنا لله هللك الناس إذأ ؟!

قالت : كل حزب بما لديهم فرحون . انتهى .

**

اتضح مما تقدم أن خطبه عرفات في حجة الوداع تضمنت بشاره النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالأئمة الإثني عشر من بعده ، ووصيته بهم ..

فماذا قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في الخطب الخمس الباقية ؟ في مكة يوم الترويه ، وفي منى يوم العيد ، ووسط أيام التشريق ، وفي مسجد الخيف يوم النفر. وفي غدير خم ؟.

مع أن المصادر نقلت القليل من هذه الخطب وخلطت بين مضامينها .. لكنك تجد في رواياتها المتعدده أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طرح كل الأمور المهمه التي تحتاج إليها الأمة من بعده .. فقد تضمنت الخطب فقرات نبويه في المحاور أو الأسس الخمس التاليه :

١ - أساس المساواه الإنسانية

- مبدأ الوحده الإنسانية بين البشر ، وإلغاء التمايز القومى .

- مبدأ حسن معاملة النساء ، وعدم ظلمهن .

٢ - أساس وحده الأمة الإسلاميه

- مبدأ إلغاء آثار الجاهليه وما أثرها وتشريعاتها المخالفه للإسلام .

- مبدأ الأخوه والتكافؤ بين المسلمين .

- مبدأ احترام الملكيه الشخصيه - تحريم أموال المسلمين على بعضهم .

- مبدأ احترام حياة المسلم - تحريم دمائهم على بعضهم.
- مبدأ احترام عرض المسلم وكرامته - تحريم أعراضهم على بعضهم.
- مبدأ: من قال لا إله إلا الله ، فقد عصم ماله ودمه.
- مبدأ ختام النبوه به ٩ وختام الأمم بأتمته.
- مبدأ شهادة النبي على الأمة في الآخرة ، وموافاتها له على الحوض.
- مبدأ ضروره الدقه والحذر من محقرات الأعمال ، التي تجر الى الإنحراف.
- مبدأ التحذير من الكذب على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، والتحقيق فيما ينقل عنه.

٣ - أساس ووحده الشريعه ووحده ثقافه المسلمين

- مبدأ أداء الأمانه
- قوانين الإرث
- قوانين الديات والقصاص
- تشريعات مناسك الحج (خذوا عنى مناسككم)
- ٤ - مبادئ مسيره الدوله والحكم بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)
- مبدأ البشاره بالأئمه الإثني عشر من عترته.
- مبدأ التأكيد على الثقيلين القرآن والعتره.
- مبدأ إعلان أن علياً ولي الأمة من بعده ، والإمام الأول من الإثني عشر.
- مبدأ أداء الفرائض ، وإطاعه ولاه الأمر.

- مبدأ تخليد تعاهد قريش وكنانه على حصار بنى هاشم.
- مبدأ تحذير قريش أن تطغى من بعده (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)
- مبدأ تحذيره الصحابه من الارتداد بعده والصراع على السلطه

٥ - أساس عقوبه المخالفين للخط النبوى

- مبدأ لعن من ادعى الى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه.

ص: ٨٤

ولا يتسع المجال لبحث هذه الأسس والمبادئ الإلهيه بالتفصيل ، لذا نكتفى بذكر نماذج من الخطب الشريفه ، ثم نذكر فقرات الخطب المتعلقة بالمبادئ المذكوره ، مع التوضيحات الضروريه.

ولا بد أن نشير أولاً الى أن للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) له في كل واحده من هذه المبادئ بياناتٌ متعددهٌ في غير حجه الوداع ، وأنها تشكل مع ما جاء منها في خطب الوداع الستة كلاماً موحداً ، لا يمكن فصل بعضه عن بعض .. فكلامه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إن هو إلا وحيٌّ يوحى يكمل بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً ، ويشكل في كل موضوع وحدهً عقيديه وتشريعيه متكامله البناء ، في صرح الإسلام الرباني الشامل.

نماذج من نصوص خطب الوداع

- تحف العقول ص ٣٠ لابن شعبه الحراني المتوفى حدود سنه ٣٥٠

خطبته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حجه الوداع :

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على العمل بطاعته ، وأستفتح الله بالذي هو خير.

أما بعد : أيها الناس ! إسمعوا مني ما أبين لكم ، فإنني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام ، الى أن تلقوا ربكم ، كحرمه يومكم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد.

فمن كانت عنده أمانه فليؤدها الى من ائتمنه عليها.

ص : ٨٥

وإن ربا الجاهليه موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب.

وإن دماء الجاهليه موضوعه ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعه بن الحارث بن عبدالمطلب.

وإن مآثر الجاهليه موضوعه ، غير السدانه والسقايه.

والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائه بعير ، فمن ازداد فهو من الجاهليه.

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضى بأن يطاع فيما سوى ذلك ، فيما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس : إنما النسي زياده فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونهم عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطؤوا عده ما حرم الله.

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض ، وإن عده الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليه ، وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجه والمحرم ورجب بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد.

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقاً ، حقكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فرشكم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم ، إلا- بإذنكم ، وألا- يأتين بفاحشه ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. أخذتموهن بأمانه الله ، واستحللتم فروجهن بكتاب الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً.

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوه ، ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد.

فلا ترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتى أهل بيتى.

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت؟

قالوا: نعم.

قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز لوارثٍ وصيه في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر.

من ادعى إلى غير أبيه، ومن تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. والسلام عليكم ورحمة الله.

- وقال الكليني في الكافي: ١ / ٤٠٣ -

عن الحكم بن مسكين، عن رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفیان الثوري: إذهب بنا إلى جعفر بن محمد، قال فذهبت معه إليه، فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفیان: يا أبا عبد الله حدثنا بحديثٍ خطبه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في مسجد الخيف.

قال: دعني حتى أذهب في حاجتي فإني قد ركبته، فإذا جئت حدثتك.

فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لما حدثتني.

قال: فنزل، فقال له سفیان: مر لي بدواه وقرطاس حتى أثبته، فدعا به ثم قال:

أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. خطبه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في مسجد الخيف:

نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يبلغه.

يا أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب، فرب حامل فقهٍ ليس بفقيه، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه.

ثلاثٌ لا يغفلن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطَةٌ من ورائهم.

المؤمنون إخوةٌ تتكافى دماؤهم ، وهم يدٌ على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه ، وركب أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وجئت أنا وسفيان ، فلما كنا فى بعض الطريق قال لى : كما أنت ، حتى أنظر فى هذا الحديث.

قلت له : قد والله ألزم أبو عبد الله رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً !

فقال : وأى شىء ذلك ؟

فقلت له : ثلاثٌ لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، قد عرفناه. والنصيحة لأئمة المسلمين ، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم ؟ معاوية بن أبى سفيان ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم ، وكل من لا تجوز الصلاة خلفهم ؟

وقوله : واللزوم لجماعتهم ، فأى الجماعه ؟ مرجئ يقول : من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنبه وهدم الكعبه ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل ؟!

أو قدرى يقول : لا يكون ما شاء الله عز وجل ، ويكون ما شاء إبليس ؟!

أو حرورى يتبرأ من على بن أبى طالب ، ويشهد عليه بالكفر ؟!

أو جهمى يقول : إنما هى معرفه الله وحده ، ليس الإيمان شىء غيرها ؟!

قال : ويحك ، وأى شىء يقولون ؟!

فقلت : يقولون : إن على بن أبى طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والله الإمام الذى وجب علينا نصيحته. ولزوم جماعتهم : أهل بيته.

قال : فأخذ الكتاب فخرقه ، ثم قال : لا تخبر بها أحداً. انتهى.

- وفى تفسير على بن ابراهيم : ١ / ١٧١

وحج رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حجه الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينه ، فكان من قوله بمنى أن حمد الله واثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس : إسمعوا قولى واعقلوه عنى ، فإنى لا أدرى لا ألقاكم بعد عامى هذا.

ثم قال : هل تعلمون أى يوم أعظم حرمة ؟

قال الناس : هذا اليوم.

قال : فأى شهر؟

قال الناس : هذا.

قال : وأى بلد أعظم حرمة؟

قالوا : بلدنا هذا.

قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، الى يوم تلقون ربكم ، فيسألکم عن أعمالکم .

ألا هل بلغت أيها الناس؟

قالوا : نعم.

قال : اللهم اشهد.

ثم قال : ألا- وكل مأثره أو بدعه كانت فى الجاهليه ، أو دمٍ أو مالٍ ، فهو تحت قدميَّ هاتين ، ليس أحدٌ أكرم من أحدٍ إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت؟

قالوا : نعم.

قال : اللهم اشهد.

ثم قال : ألا وكل رباً كان فى الجاهليه فهو موضوع ، وأول موضوع منه ربا العباس بن عبد المطلب.

ألا وكل دمٍ كان فى الجاهليه فهو موضوع ، وأول موضوع دم ربيعه.

ألا هل بلغت؟

قالوا : نعم.

قال : اللهم اشهد.

ثم قال : ألا وإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم ، ألا وإنه إذا أطيع فقد عبد !

ألا أيها الناس : إن المسلم أخ المسلم حقاً ، لا يحل لامرئ مسلم دم امرئ مسلم وماله إلا ما أعطاه بطيبه نفس منه. وإني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله.

ألا هل بلغت أيها الناس ؟

قالوا : نعم.

قال : اللهم اشهد.

ثم قال : أيها الناس : إحفظوا قولي تنتفعوا به بعدى ، وافهموه تنعشوا. ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا ، فإن فعلتم ذلك - ولتفعلن - لتجدوني فى كتبي بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف ثم التفت عن يمينه فسكت ساعه ثم قال - إن شاء الله أو على بن أبى طالب -

ثم قال : ألا وإني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتى أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ، ومن خالفهما فقد هلك.

ألا هل بلغت ؟

قالوا : نعم.

قال : اللهم اشهد.

ثم قال : ألا وإنه سيرد عليّ الحوض منكم رجالٌ فيدفعون عني ، فأقول : رب أصحابي ؟ فيقول : يا محمد إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك ، فأقول : سحقاً سحقاً.

فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله : إذا جاء نصر الله والفتح ، فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : نُعِيْتُ الَى نَفْسِي ، ثم نادى الصلاة جامعه فى مسجد الخيف ، فاجتمع الناس فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

نصر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه.

ص : ٩٠

ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لائمه المسلمين ، ولزم جماعتهم ، فإن دعوتهم محيطه من ورائهم.

المؤمنون إخوه تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يدُ على من سواهم. أيها الناس : إنى تارك فيكم الثقلين.

قالوا : يا رسول الله وما الثقلان ؟

قال : كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يفتريا حتى يردا على الحوض ، كإصبعى هاتين - وجمع بين سبائيه - ولا أقول كهاتين وجمع سبائيه والوسطى ، فتفضل هذه على هذه.

فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامه فى أهل بيته ، فخرج أربعة نفر منهم الى مكه ودخلوا الكعبه ، وتعاهدوا وتعاهدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً : إن مات محمد أو قتل أن لا يردوا هذا الأمر فى أهل بيته أبداً !

فأنزل الله على نبيه فى ذلك : أم أبرموا أمراً فإننا مبرمون. أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون ... انتهى.

**

- وفى صحيح البخارى : ١٢٦ / ٥

عن أبى بكره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

الزمان قد استدار كهيئه يوم خلق الله السموات والأرض ، السنه اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثه متواليات ذو القعدة وذو الحجه والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان.

أى شهر هذا.

قلنا : الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال :

ص : ٩١

أليس ذو الحجه ؟

قلنا : بلى .

قال : فأى بلد هذا ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال :

أليس البلده ؟

قلنا : بلى .

قال : فأى يوم هذا ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال :

أليس يوم النحر ؟

قلنا : بلى .

قال : فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فسيألكم عن أعمالكم .

ألا فلا ترجعوا بعدي ضاللاً يضرب بعضكم رقاب بعض .

ألا ليلغ الشاهد الغائب ، ففعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه . انتهى . ويلاحظ أن فيه كلمة ضاللاً بدل كفاراً في غيره .

- وفي صحيح البخارى : ٢٤ / ١

عن عبد الرحمن بن أبى بكره ، عن أبيه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه ، ثم قال :

أى يوم هذا ؟

فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه .

قال : أليس يوم النحر ؟

قلنا : بلى.

ص: ٩٢

قال : فأى شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

فقال : أليس بذي الحجة ؟

قلنا : بلى .

قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه .

- وفى صحيح مسلم : ٤ / ٤١

فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفه فوجد القبه قد ضربت له بنمره ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس ، أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادى فخطب الناس ، وقال :

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا- كل شىء من أمر الجاهليه تحت قدمى موضوع ، ودماء الجاهليه موضوعه وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعه بن الحارث ، كان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل . وربا الجاهليه موضوع ، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله .

فاتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمه الله ، ولكم عليهن أن لا- يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن كسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله .

وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأدیت ونصحت .

فقال بإصبعه السبابه يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات .

ص : ٩٣

- ورواه ابن ماجه : ٢ / ١٠٢٤ ، وفيه :

ثم أذن بلال ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً.

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف ..

- وفي مستدرک الحاكم : ١ / ٧٧

وخطب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال :

يا أيها الناس إني فرط لكم على الحوض ، وإن سعته ما بين الكوفة الى الحجر الأسود ، وآنيته كعدد النجوم ، وإني رأيت أناساً من أمتي لما دنوا مني ، خرج عليهم رجلٌ فمال بهم عنى ، ثم أقبلت زمرةً أخرى ففعل بهم كذلك ، فلم يفلت إلا كمثل النعم !!

فقال أبو بكر : لعلي منهم يا نبي الله !؟

قال لا ، ولكنهم قوم يخرجون بعدكم ويمشون القهقري !. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقد حدث به الحجاج بن محمد أيضاً عن الليث ولم يخرجاه.

- وفي سنن ابن ماجه : ٢ / ١٠١٦

حدثنا إسماعيل بن توبه ، ثنا زافر بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مره ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته المخضرمه بعرفات ، فقال :

أتدرون أى يوم هذا وأى شهر هذا وأى بلد هذا ؟

قالوا : هذا بلدٌ حرام وشهر حرم ويوم حرام.

قال : ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمه شهركم هذا فى بلدكم هذا فى يومكم هذا.

ألا وإنى فرطكم على الحوض ، وأكثر بكم الأمم ، فلا تسودوا وجهي.

ألا وإنى مستنقذٌ أناساً ، ومستنقذٌ منى أناس ، فأقول : يا رب أصحابي ؟ فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ! فى الزوائد :
إسناده صحيح.

- وفي سنن ابن ماجه : ٢ / ١٣٠٠

باب لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض :

عن جرير بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فى حجه الوداع استنصت الناس ، فقال : لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ويحكم أو ويلكم ، لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

عن الصنايح الأحمسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا- إني فرطكم على الحوض وإني مكائرٌ بكم الأمم ، فلا تقتلن بعدى .

فى الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

- وفى سنن الترمذى : ٢ / ٦١

سليم بن عامر قال : سمعت أبا أمامه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخطب فى حجه الوداع فقال : إتقوا الله ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاه أموالكم ، وأطيعوا إذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم .

قال : قلت لأبى أمامه : منذ كم سمعت هذا الحديث ؟

قال : سمعت وأنا ابن ثلاثين سنه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

- وفى مسند أحمد : ٥ / ٤١٢

عن مره قال حدثنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : قام فىنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه حمراء مخضرمه ، فقال :

أتدرون أى يومكم هذا ؟

قال قلنا يوم النحر .

قال : صدقتم يوم الحج الأكبر . أتدرون أى شهركم هذا ؟

قلنا ذو الحجه .

قال : صدقتم شهر الله الأصم. أتدرون أى بلد بلدكم هذا ؟

ص: ٩٥

قال قلنا : المشعر الحرام.

فقال : صدقتم ، قال فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحرمه يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، أو قال كحرمه يومكم هذا وشهركم هذا وبلدكم هذا ، ألا وإنى فرطكم على الحوض أنظركم وإنى مكاثرتكم الأمم ، فلا تسودوا وجهى ! ألا وقد رأيتمنى وسمعتمنى وستسألون عنى ، فمن كذب على فليتبوا مقعده من النار ألا وإنى مستنقذٌ رجالاً أو أناساً ، ومستنقذٌ منى آخرون ، فأقول : يا رب أصحابى ! فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك !!

- وفى مجمع الزوائد : ٢٦٥ / ٣

(باب الخطب فى الحج) عن أبى حره الرقاشى عن عمه قال : كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وسط أيام التشريق أذود عنه الناس ، فقال : يا أيها الناس هل تدرون فى أى شهر أنتم ، وفى أى يوم أنتم ، وفى أى بلد أنتم ؟ قالوا : فى يوم حرام وبلد حرام وشهر حرام.

قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمه يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، الى يوم تلقونه . ثم قال : إسمعوا منى تعيشوا ، ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه .

ألا وإن كل دم وماء ومال كانت فى الجاهليه تحت قدمى هذه الى يوم القيامة ، وإن أول دم يوضع دم ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب ، كان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هذيل .

ألا- وإن كل رباً فى الجاهليه موضوعٌ ، وإن الله عز وجل قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب . لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .

ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض ، ثم قرأ : إن عده الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة

ص : ٩٦

حرم ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم.

ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون ، ولكنه في التحريش بينكم.

واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوانٌ لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإن لهن عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقاً أن لا يوطئن فرشكم أحداً غيركم ، ولا يأذنن في بيوتكم لأحد تكرهونه ، فإن خفتن نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح - قال حميد قلت للحسن ما المبرح ؟ قال : المؤثر - ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما أخذتموهن بأمانه بالله ، واستحللتم فروجهن بكلمه الله عز وجل.

ألا ومن كانت عنده أمانه فليؤدها الى من ائتمنه عليها.

وبسط يده وقال ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت ؟

ثم قال ليبلغ الشاهد الغائب ، فإنه رب مبلغ أسعد من سامع.

قال حميد قال الحسن حين بلغ هذه الكلمه : قد والله بلغوا أقواما كانوا أسعد به.

قلت : روى أبو داود منه ضرب النساء فقط رواه أحمد وأبو حره الرقاشى وثقه أبو داود وضعفه ابن معين. وفيه على بن زيد وفيه كلام.

وعن أبي نصره قال حدثني من سمع خطبه النبي صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال :

يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود ، إلا بالتقوى.

أبلغت ؟

قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال : أى يوم هذا ؟

قالوا : يوم حرام.

ثم قال : أى بلد هذا ؟

قالوا : بلد حرام.

قال فإن الله عز وجل قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم - قال ولا أدري قال وأعراضكم أم لا - كحرمه يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا.

أبلغت ؟

قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال : ليبلغ الشاهد الغائب. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (أحمد : ٧٢ / ٥)

وعن ابن عمر قال نزلت هذه السوره على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمنى فى أوسط أيام التشريق فعرف أنه الموت ، فأمر براحلته القصواء فرحلت له فركب فوقف للناس بالعقبه ، واجتمع له ما شاء الله من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، فإن كل دم كان فى الجاهليه فهو هدر ، وإن أول دمائكم أهدر دم ربيعه بن الحارث ، كان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هذيل . وكل رباً كان فى الجاهليه فهو موضوع ، وإن أول رباكم أضع ربا العباس بن عبد المطلب .

أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عده الشهور اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجه والمحرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، إنما النسيء زياده فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عده ما حرم الله . كانوا يحلون صفر عاماً ويحرمون المحرم عاماً فذلك النسيء .

يا أيها الناس : من كانت عنده وديعه فليؤدها الى من ائتمنه عليها.

أيها الناس : إن الشيطان أيس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان ، وقد رضى منكم بمحقرات الأعمال ، فاحذروا على دينكم محقرات الأعمال .

أيها الناس : إن النساء عندكم عوان ، أخذتموهن بأمانه الله ، واستحلتم فروجهن

بكلمه الله ، لكم عليهن حق ولهن عليكم حق ، ومن حققم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يعصينكم في معروف ، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فإن ضربتم فاضربوا ضرباً غير مبرح.

لا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه.

أيها الناس : إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله فاعملوا به.

أيها الناس : أى يوم هذا ؟

قالوا : يوم حرام.

قال : فأى بلد هذا ؟

قالوا : بلد حرام.

قال : فأى شهر هذا ؟

قالوا : شهر حرام.

قال : فإن الله تبارك وتعالى حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمه هذا اليوم وهذا الشهر وهذا البلد. ألا ليبلغ شاهدكم غائبكم ، لا- نبى بعدى ولا- أمه بعدكم. ثم رفع يديه فقال : اللهم اشهد. قلت فى الصحيح وغيره طرف منه - رواه البزار وفيه موسى بن عبيده وهو ضعيف.

- وفى مجمع الزوائد : ٣ / ٢٧٢

وعن فهد بن البحيرى بن شعيب بن عمرو بن الأزرق قال : خرجت الى مكه فلما صرت بالصحريه ، قال لى بعض إخوانى : هل لك فى رجلٍ له صحبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ، قال صاحب القبه المضروبه فى موضع كذا وكذا ، فقلت لأصحابى : قوموا بنا إليه ، فقمنا فانتبهنا الى صاحب القبه ، فسلمنا فرد السلام فقال : من القوم ؟

قلنا : قومٌ من أهل البصره بلغنا أن لك صحبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : نعم ، صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت تحت منبره يوم حجه

الوداع ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله يقول :

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثنى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، فليس لعربي على عجمي فضل ، ولا لعجمي على عربي فضل ، ولا لأسود على أحمر فضل ، ولا لأحمر على أسود فضل ، إلا بالتقوى.

يا معشر قريش لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم وتجيئ الناس بالآخرة ، فإنني لا أغني عنكم من الله شيئاً.

قلنا : ما اسمك ؟ قال : أنا العداء بن خالد بن عمرو بن عامر ، فارس الضحياء في الجاهلية. رواه الطبراني في الكبير بأسانيد هذا ضعيف. وتقدم له إسناد صحيح في الخطبه يوم عرفه.

وعن أبي قبيله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في الناس في حجة الوداع فقال : لا نبي بعدي ، ولا أمه بعدكم ، فاعبدوا ربكم ، وأقيموا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ولاة أمركم ، ثم ادخلوا جنه ربكم. رواه الطبراني في الكبير ، وفيه بقيه وهو ثقه ولكنه مدلس ، وبقية رجاله ثقات.

- وفي سنن الدارمي : ٢ / ٤٧

فلما كان يوم الترويه وجه الى منى فأهللنا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ثم مكث قليلاً حتى إذا طلعت الشمس ، أمر بقبه من الشعر تضرب له بنمره ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار ، لا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية في المزدلفه ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفه ، فوجد القبه قد ضربت بنمره فنزلها ، حتى إذا زاغت يعني الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادي فخطب الناس ، وقال :

إن دماءكم وأموالكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وأول

ص: ١٠٠

دم وضع دماؤنا دم ربيعه بن الحارث كان مسترضعاً في بنى سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهليه موضوع ، وأول ربا أضعه ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء ، فإنما أخذتموهن بأمانه الله ، واستحلتم فروجهن بكلمه الله ، وإن لكم عليهن أن لا- يؤطين فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وأنتم مسؤولون عنى فما أنتم قائلون ؟

قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

فقال بإصبعه السبابه فرفعها الى السماء وينكتها الى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد.

ثم أذن بلال بنداء واحد وإقامه فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، لم يصل بينهما شيئاً ، ثم ركب حتى وقف ، فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخيرات ...

- وفى سنن الدارمى : ٢ / ٦٧

عن عبد الرحمن بن أبى بكره عن أبيه قال : لما كان ذلك اليوم قعد النبى صلى الله عليه وسلم على بعير ، لا أدرى جمل أو ناقه ، وأخذ إنسان بخطامه ، أو قال بزمامه

فقال : أى يوم هذا ؟

قال فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه.

فقال : أليس يوم النحر ؟

قلنا : بلى.

قال فأى شهر هذا الخ.

الأساس الأول : المساواه الإنسانيه

لا نطيل فى هذا الأساس لوضوحه ، وقد تقدمت عدده فقرات تتعلق به فى نماذج النصوص من خطبه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ص: ١٠١

وقد روى المسلمون فقرات الخطب التي تتعلق بالمبادئ الخمس الأولى من هذا الأساس بكثرة وحفظوها وكرروها ، حتى ليتصور الإنسان لأول وهله أنها الموضوع الوحيد في خطب حجة الوداع !

والسبب في ذلك : أن المجتمع العالمي كان في عصره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مجتمع تمييز حاد على أساس قومي وقبلي وطبقي .. كما أنه كان مجتمع (قانون الغلبة والقوه) فالغالب على حق دائماً ، سواء كان حاكماً ، أو قبيله ، أو فارساً ، أو صعلوكاً .. لأنه استطاع أن يقهر الآخرين ، أو يغزوهم ويقتلهم ويسرق أموالهم ، أو يغصبها منهم عنوةً ، أو يحتال عليهم بحيله !

فجاءت تشريعات الإسلام لتلغى ذلك كله ، وتعلن تساوى الناس أمام الشرع ، وتحرم كل أنواع الإعتداء على الحقوق الشخصية ، وتركز احترام الإنسان وملكيته وكرامته .

فالأمر الذى جعلهم يحفظونها أكثر من غيرها من كلمات النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، هو إعجاب المسلمين المؤمنين بها ، وكونها تمثل الحل لمشكلة الغزو والقتل التي كانوا يعانون منها في الجاهلية القريبه .

وقد كان لهذه التوجيهات بصيغها الإلهيه والنبويه البليغه ، تأثيرٌ كبيرٌ على مجرى احترام الإنسان وماله وعرضه ورأيه بعد وفاه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، إذ لولاها لساء وضع مجتمع المسلمين أضعافاً مضاعفه عما وصل اليه من سوء ، ولعادت النظره الى الإنسان والتصرف معه الى الحاله الجاهليه منه بالمئه !!

والملاحظ بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن أكثر الناس احتراماً للإنسان وحرياته المشروعه ، هم عترته وأهل بيته الطاهرون ، فعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هو الحاكم الوحيد بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذى لم يستعمل قانون الطوارئ أو الأحكام العرفيه ، ولا أى قانون استثنائى ، حتى مع

خصومه والممتنعين عن بيعته ، بل حتى فى حالات الحرب .. مع أنه ابتلى بثلاثه حروب استوعبت مده خلافته كلها !

بينما استعمل أبو بكر وعمر منطق القوه والقهر فى السقيفه ضد الأنصار ، وهموا بقتل سعد بن عباده ، ثم هاجموا الممتنعين عن بيعتهم وهم مجتمعون فى بيت على وفاطمه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، وكانوا فى تعزیه بوفاه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ! بل روى أن جنازته كانت مسجاةً لم تدفن بعد ! وهددوهم بإحراق البيت عليهم إن لم يخرجوا ويبيعوا ! ولما تأخروا عن الخروج أشعلوا النار فى الحطب وأحرقوا الباب .. الخ. !!

**

وأما المبدأ السادس من هذا الأساس (من قال : لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه) فقد جاء فى روايه تفسير على بن ابراهيم القمى بصيغه (وإنى أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله). وهو مبدأ له ثلاثه أبعاد :

الأول : أن من أعلن الشهادتين من أى دين أو قبيله كان فهو مسلم ، يحرم ماله ودمه وعرضه ، إلا- إذا انطبقت عليه مواد الفئه الباغيه ، أو المفسد فى الأرض ، أو قتل أحداً عمداً ، أو ارتد عن الإسلام ، أو زنى وهو محصن ...

الثانى : أن أهل الكتاب مستثنون من هذه القاعده ، والموقف منهم فى الحرب والسلم حسب أحكام التعايش الإسلاميه الخاصه بهم.

الثالث : أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أشهد أمته أنه تقيد فى الجهاد بأمر ربه عز وجل ، ولم يتعداه .. فمهمته فى الجهاد إنما كانت على تنزيل القرآن ، وتحقيق إعلان الشهادتين فقط ، أى لتكوين الشكل الكلى للأمة ، ولم يؤمر بقتال المنحرفين ، أو الذين يريدون أن ينحرفوا من المسلمين ، لأن ذلك قتالٌ على التأويل ، يكون من بعده ، لا فى عهده.

**

وأما المبدأ السابع (ختام النبوه به (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وختام الأمم بأمته) فقد ورد في روايه مجمع الزوائد المتقدمه وغيرها (فقال لا نبى بعدى ، ولا أمه بعدكم ، فاعبدوا ربكم ، وأقيموا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ولاة أمركم ، ثم ادخلوا جنه ربكم).

وهو مبدأ هيمنه شريعته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على شرائع الأنبياء السابقين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) .. وردُّ مدعى النبوه الكذابين ، الذين ظهر بعضهم فى زمنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وظهر عددٌ منهم بعده.

كما أنه يعطى الأئمه الإسلاميه شرف ختام أمم الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، ويلقى عليها مسؤوليه هذه الخاتميه فى هدايه الأمم الأخرى.

وقد حدد النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لهم الخطوط العامه بعباده الله تعالى والصلاه والصوم وإطاعه ولى الأمر .. ولكن لا يبعد أن الراوى نقل ما حفظه من كلامه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ونسى بعضه كالزكاه والحج.

ومن الملاحظ فى هذه المبدأ وجود فريضه إطاعه ولى الأمر على لسان النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وإذا أوجب الله تعالى إطاعه أحدٍ بدون شروط ، فمعناه أنه معصومٌ لا يظلم ولا يأمر ولا ينهى إلا بالحق .. وبما أن النص النبوى لم يذكر شروطاً لإطاعه أولى الأمر ، فيكون مقصوده الإثنى عشر إماماً المعينين من الله تعالى ، الذين بشر الأئمه بهم.

**

وأما المبدأ الثامن (شهاده النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على الأئمه فى الآخره ، وموافاتها له على الحوض) فقد ورد فى مصادر متعدده كما مر ، وفى بعضها (ألا وإنى فرطكم على الحوض وأكاثركم الأمم ، فلا تسودوا وجهى) وفى بعضها (وإنى مكاثرتكم الأمم ، فلا- تقتتلن بعدى) وهو أسلوبٌ نبوى فريدٌ فى التأكيد على الأئمه فى وداعها ، بأنها ستوفى نبيها بين يدي ربها ، ويكون كل فردٍ منها بحاجه ماسه الى أن يسقى من حوض الكوثر ، شربه لا يظماً الإنسان بعدها أبداً ، ويصلح بها بدنه لدخول الجنه.

فهذا التوجيه منه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كمثل أبٍ يقول لأولاده : إعملوا بوصيتى ، فإنى مسافرٌ عنكم ، وسوف أرجع اليكم وآتى بأموالٍ كثيره ، وتكونون فى حاله فقرٍ شديد ، وسأعرف من يعمل بوصيتى منكم ، ومن يخالفنى !

ص: ١٠٤

وأما المبدأ التاسع (تحذير الأمة من محقرات الأعمال) ففيه إلفاتٌ الى قاعده مهمه فى السلوك الفردى والإجتماعى ، وهى أن الإنحراف يبدأ بأمر صغير ، أو أمور تبدو بسيطه ، يحتقرها الإنسان ولا يراها مهمه فى ميزان التقوى .. وإذا بها تستتبع أموراً أخرى ، وتجره الى هاويه الهلاك الأخرى ، أو الدنيوى !

وهو أمرٌ مشاهد سواءً فى حالات الهلاك الفردى أو الإجتماعى ..

فقد يتسامح المسلم فى النظر الى امرأه أجنبيه تعجبه ، ويتسامح فى الحديث معها ، ثم فى التصرف .. حتى ينجر أمره الى الفاحشه !

وقد يتسامح فى اتخاذ صديق سوء ، ولا ينصت الى صوت ضميره الدينى ، ونصح ناصحيه .. حتى يغرق معه فى بحر ظلمه للناس ، أو بحر انحرافه ورذيلته !

وقد تتسامح الأمة فى اعتداء الأجانب عليها ، أو فى نفوذهم السياسى ، أو الإقتصادى أو الثقافى فى بلادها .. فينجر الأمر الى تسلطهم على مقدراتها ، وسيطرتهم عليها !

أو يتسامح المجتمع فى مظهر من مظاهر الفساد والمنكر أول ما يحدث فى محله أو منطقه منه ، أو فى فئه من فئاته ..

أو يتسامح المجتمع فى شروط حاكمه ، ووزرائه وقضاة ، أو فى ظلمهم وسوء سيرتهم .. فينجر ذلك الى شمول الفساد فى المجتمع ، وتسارع هلاكه !

فالمحقرات من الذنوب هى المواقف أو التصرفات الصغيره ، التى تكون فى منطق الأحداث والتاريخ بذوراً غير منظوره ، لشجره شرٌّ كبيره ، على المستوى الفردى أو الإجتماعى !!

وبهذا ورد تفسيرها عن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى مصادر الطرفين ..

- فى الكافى ٢ / ٢٨٨ ، عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : إن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نزل بأرض قرعاء ، فقال لأصحابه : إئتوا بحطب ، فقالوا : يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب ! قال : فليات كل إنسان بما قدر عليه ، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه ، بعضه على بعض ، فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : هكذا تجتمع الذنوب ، ثم قال : إياكم والمحقرات

من الذنوب ، فإن لكل شيء طالباً ، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه فى إمام مبین . انتهى .

- وفى سنن البيهقى : ١٠ / ١٨٨

عن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إياكم ومحقرات الأعمال ، إنهن ليجمعن على الرجل حتى يهلكنه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً ، كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل يجئ بالعويد ، والرجل يجئ بالعويد ، حتى جمعوا من ذلك سواداً ، ثم أجبوا ناراً ، فأنضجت ما قذف فيها . انتهى .

وهذان الحديتان الشريفان ناظران الى التراكم الكمى للذنوب والأخطاء المحقره ، وكيف تتحول الى خطر نوعى فى حياه الفرد والمجتمع .

وقد يكون الحديتان التالين ناظرين الى التراكم الكيفى فى نفس الإنسان والمجتمع ، وشخصيتهما ..

- ففى الكافى : ٢ / ٢٨٧

عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : اتقوا المحقرات من الذنوب ، فإنها لا تغفر ! قلت : وما المحقرات ؟ قال : الرجل يذنب الذنب فيقول : طوبى لى لو لم يكن لى غير ذلك !

- وفى سنن ابن ماجه : ٢ / ١٤١٧

عن عائشه قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشه إياك ومحقرات الأعمال ، فإن لها من الله طالباً . فى الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . انتهى . ورواه الدارمى : ٢ / ٣٠٣ ، وأحمد : ٦ / ٧٠ و ١٥١

ومن القواعد الهامه التى نفهمها من هذا التوجيه النبوى : أن الشيطان عندما ييأس من السيطرة على أمه فى قضاياها الكبيره ، يتجه الى التخريب والإضلال عن طريق المحقرات ! (ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد فى بلدكم هذا أبداً ، ولكن سيكون له طاعه فى بعض ما تحتقرون من أعمالكم ، فيرضى بها) (سنن ابن ماجه : ٢ / ١٠١٥)

ص : ١٠٦

فقد كان الإسلام الذي أنزله الله تعالى ، وبناه رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صرحاً كبيراً وقلعه محكمه ، يئس الشيطان من قدرته على هدمها ، فاتجه الى إقناع شخص من أهلها بسحب حجر واحدٍ صغير من جنب الجدار ، ثم حجرٍ آخر .. وآخر .. حتى يفرغ تحت الأساس فينهار الصرح على من فيه !

ومن الأمور الملفته التي وردت في التوجيه النبوي في روايه على بن ابراهيم أن إطاعه الشيطان في محقرات الذنوب عبادة له ، فالذين يبدؤون بالانحراف في مجتمع ، إنما يعبدون الشيطان ولا يعبدون الله تعالى ، وهم بدعوتهم الى انحرافهم يدعون الأمة العابده لله تعالى الى عباده الشيطان .. (ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم ، ألا وإنه إذا أطيع فقد عبد !) .

كما أن شهادته النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأن الشيطان راض بما تحتقرون من أعمالكم ، شهادة خطيرة يخبر بها عن ارتياح الشيطان من نجاحه في مشروعه في إضلال الأمة ، وهدم صرحها عن طريق المحقرات .. وهو ينفع في تفسير قوله تعالى : ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين. سبأ - ٢٠

أما أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فقد اعتبروا أن طمع الأمة بالسلطه بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وصراعها عليها ، كان أعظم المحقرات التي ارتكبتها بعد نبينا .. ففي بحار الأنوار : ٢٨ / ٢١٧ عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال في تفسير قوله تعالى : ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس قال : ذلك والله يوم قالت الأنصار : منا أميرٌ ومنكم أمير ! انتهى.

**

وأما المبدأ العاشر (تحذير النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الكذب عليه) فقد ورد في روايتي أحمد المتقدمتين وغيرهما ، ووردت فيه أحاديث كثيره مشدده في مصادر الشيعة والسنه ، تدل على أن هذه المشكله كانت موجوده في حياه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأنه أخبر بأنها ستزداد من بعده ، ويكثر الكذابون عليه !

ص: ١٠٧

والمتمأمل فى هذه المشكله ينفر من هؤلاء الكذابين ، لأن عملهم عمل شيطانى من شأنه أن يشوه الإسلام ويزوره ، ويمنع وصوله الى الأجيال .. خاصه أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يكن مأموراً بفتح جبهه داخلية مع أصحابه أبداً ، ولم يؤمر بفضح هؤلاء الكذابين ولا بمعاقتهم على كذبهم الماضى أو الآتى !!

فهل يكفى فى معالجه المشكله تحذير الكذابين ، وتحذير الأمة منهم ؟!

من الواضح أن ذلك العلاج لا يؤثر إلا تقليل حجم المشكله الكمى ، ولذا فإن تصريح النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بوجودها ، وإخباره باستمرارها وتفاقمها بعده ، دليل على أنه وضع لها بأمر ربه الحكيم ، علاجاً كافياً ..

وقد كان العلاج وجوب عرض أحاديته التى تروى عنه على الثقلين اللذين تركهما فى الأمة وأوصاها بهما .. فكل حديث خالف كتاب الله تعالى فهو زخرف باطل ، يستحيل أن يكون صادراً من النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، لأنه لا يقول ما يخالف القرآن .. وكل حديث يخالف ما ثبت عن عترته الذين هم مع القرآن ، فهو باطل أيضاً لأنهم مع القرآن دائماً ، ولأنهم ورثه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والمبينون علومه للأمة من بعده.

الأساس الثالث : وحده شريعه المسلمين وثقافتهم

وقد وردت مبادئ هذا الأساس فى فقرات متعددة من خطب حجه الوداع ، ذكرنا منها أداء الأمانه وتشريعات الإرث والديات والحج .. ويوجد فى الخطب الشريفه تشريعات أخرى أيضاً.

ومن الواضح أن العامل الأساسى فى وحده ثقافه الأمة الإسلاميه على اختلاف بلادها وقومياتها ، هو وحده عقيدتها وشريعتها .. وأن كل الدول والحضارات لم تستطع أن تحقق بين الشعوب التى شملتها ماحققه الإسلام من وحده فى التصور والسلوك ، ما زالت قائمه الى اليوم بين شعوبه ، رغم كل العوامل المضاده !

الأساس الرابع : مبادئ مسيره الدوله والحكم بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

- مبدأ البشاره بالأئمه الإثني عشر من عترته.

- مبدأ التأكيد على الثقلين : القرآن والعتره.

- مبدأ إعلان على ولياً للأمه من بعده ، والإمام الأول من الإثني عشر.

- مبدأ أداء الفرائض ، وإطاعه ولاة الأمر.

- مبدأ تخليد تعاهد قريش على حصار بنى هاصم.

- مبدأ تحذير قريش أن تطغى من بعده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

- مبدأ تحذيره الصحابه من الإرتداد والصراع على السلطه.

وقد تقدم البحث فى حديث الأئمه الإثني عشر ، الذى شهدت رواياته بأنه صدر فى خطب حجه الوداع.

والعاقل لا يمكنه أن يقبل أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد أخفى هويه هؤلاء الأئمه الإثني عشر المعينين من الله تعالى .. أو أنه طرح موضوعهم وهو يودع الأمه لمجرد إخبارها بوجودهم ، كما تدعى قريش ورواتها !

وأما المبدأ الثانى من هذا الأساس (التأكيد على الثقلين : القرآن والعتره) فقد روتها مصادرنا فى خطبه الغدير ، وفى خطبه مسجد الخيف أيضاً ، وربما فى غيرها من خطب حجه الوداع ، كما تقدم فى روايه تفسير على بن ابراهيم.

أما مصادر السنيين فقد روت بشكل واسع تأكيد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على الثقلين القرآن والعتره فى خطبه غدير خم فقط ، وصححو روايتها ، وقد تقدم أن الطبرى المعروف قد ألف كتاباً من مجلدين جمع فيه أحاديث الغدير وطرقها وأسانيدها.

أما فى بقيه خطب حجه الوداع ، فقد رواها من صحاحهم المعروفه الترمذى فى سننه : ٥ / ٣٢٨ عن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته يوم عرفه وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول :

يا أيها الناس ، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتى أهل

بيتي. وفي الباب عن أبي ذر ، وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم ، وحذيفه بن أسيد. هذا حديث غريب حسن ، من هذا الوجه. وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان ، وغير واحد من أهل العلم. انتهى.

ومن الملاحظ أن عدداً من المصادر السنية روت وصيه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حجه الوداع بالكتاب وحده ، بدون العتره !

ففي صحيح مسلم : ٤ / ٤١ (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله) ومثله في أبي داود : ١ / ٤٢٧ ، وسنن البيهقي : ٥ / ٨ ، ونحوه في ابن ماجه : ٢ / ١٠٢٥ ، وفي مجمع الزوائد : ٣ / ٢٦٥ : بصيغه (أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله فاعملوا به).

والمتتبع لأحاديث الباب يطمئن بأن الذي حصل هو إسقاط العتره من الروايه التي رواها هؤلاء ، إما لنسيان الراوى ، أو بسبب رقابه قريش على خطب نبيها (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

والدليل على ذلك : أن نفس المصادر التي روت هذا الحديث ناقصاً في حجه الوداع ، روته تماماً في غيرها ، فيحمل الناقص على التام !

فقد روى مسلم والبيهقي وابن ماجه والهيثمي بروايات متعدده ، وصيه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالقرآن والعتره معاً ، وتأكيده المتكرره على ذلك ..

- ففي صحيح مسلم : ٧ / ١٢٢ :

عن زيد بن أرقم (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمأً ، بين مكه والمدينه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال :

أما بعد ، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال :

وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي .

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ، أليس نساؤه من أهل بيته ؟

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقه بعده.

قال : ومن هم ؟

قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس.

قال : كل هؤلاء حرم الصدقه ؟

قال : نعم. انتهى.

ورواه البيهقي في سننه ٣٠ / ٧ و ١١٤ / ١٠.

وفي مجمع الزوائد : ١ / ١٧٠ : عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني تركت فيكم خليفتين : كتاب الله ، وأهل بيتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض. رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . ورواه بنحوه : ٩ / ١٦٢ وقال : رواه أحمد وإسناده جيد.

وأما أبو داود فلم يرو حديثاً صريحاً في الثقلين ، ولكنه عقد في سننه : ٢ / ٣٠٩ كتاباً باسم (كتاب المهدي) وروى فيه حديث الأئمة الإثني عشر وبشاره النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالإمام المهدي وأنه من ذرية علي وفاطمة (عَلِيَّهِمَا السَّلَامُ) ، وروى عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قوله (لو لم يبق من الدهر إلا- يوم لبعث الله رجلاً- من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً). انتهى.

والذي يؤكد ما ذكرناه من أن الوصيه بالعترة حذفت من خطب حجة الوداع : أن الكلام النبوي الذي هو جوامع الكلم ، له خصائص عديدة يتفرد بها .. ومن خصائصه أنه يستعمل تراكيب معينة لمعان معينة ، لا- يستعملها غيرها ، فهو بذلك يشبه القرآن. وتركيب (ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى) خاصٌ لوصيته للأمة بالقرآن والعترة ، لم يستعمله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في غيرهما أبداً .. كما أن تعبير : إني تارك فيكم الثقلين لم يستعمله في غيرهما أبداً.

ولذلك عندما قال لهم في مرض وفاته : إيتوني بدواه وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً .. فهمت قريش أنه يريد أن يلزم المسلمين بإطاعه الأئمة من عترته

بشكل مكتوب ، فرفضت ذلك بصراحه ووقاحه ! وقد روى البخارى هذه الحادته فى ست أماكن من صحيحه !! وروت المصادر أن عمر افتخر فى خلافته ، بأنه بمساعدة قريش حال دون كتابه ذلك الكتاب !!

وغيرنا هنا أن نلفت الى أن ورود هذا التركيب فى أكثر رواياتهم لخطب حجه الوداع للقرآن وحده دون العتره ، يخالف الأسلوب النبوى ، وتعبيره المبتكر فى الوصيه بهما معاً .. خاصه وأن الترمذى رواهما معاً !

والنتيجه أن بشاره النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأمته فى حجه الوداع باللائمه الإثني عشر ، ووصيته بالثقلين ، وجعله عترته الطاهرين علياً وفاطمه والحسن والحسين عدلاً للقرآن فى وجوب الإتياع ، أمرٌ ثابتٌ فى مصادر جميع المسلمين .. لا ينكره إلا من يريد أن يتعصب لقبيله قريش ، فى مقابل الله تعالى ورسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وأما المبدأ الثالث من هذا الأساس (إعلان على ولياً للأمة من بعده) فهو صريح حديث الغدير ، ولا يتسع موضوعنا لذكر أسانيده ونصوصه ، ودلالاتها على ذلك .. وقد تكفلت بذلك المصادر الحديثيه والكلاميه ، ومن أقدمها كتاب (الولاية) للطبرى السنى ، ومن أواخرها كتاب الغدير للعلامه الأمينى .

وأما المبدأ الرابع من هذا الأساس (تأكيد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على أداء الفرائض وإطاعه ولاة الأمر) فقد تقدم ذكره فى فقرات الأساس الثانى ، وقد اعترف الفخر الرازى وغيره فى تفسير قوله تعالى « أطيعوا وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » بأن غير المعصوم لا يمكن أن يأمرنا الله تعالى بطاعته بدون شرط ، لأنه يكون بذلك أمرٌ بالمعصيه ! فلا بد أن يكون أولوا الأمر فى الآيه معصومين .. وكذلك الحديث النبوى الشريف فى حجه الوداع ، وغيرها .

وأما المبدأ الخامس من هذا الأساس (تخليده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مكان تعاهد قريش على حصار بنى هاشم) فقد رواه البخارى فى صحيحه : ٩٢ / ٥ قال :

عن أبي هريره (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله ، الخيف ، حيث تقاسموا على الكفر. انتهى.

ورواه فى : ٢٤٦ / ٤ و : ١٩٤ / ٨ ورواه فى : ١٥٨ / ٢ ، بنص أوضح ، فقال :

عن أبي هريره (رضى الله عنه) قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من الغد يوم النحر وهو بمنى : نحن نازلون غداً بخيف بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر. يعنى بذلك المحصب ، وذلك أن قريشاً وكنانه تحالفت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أو بنى المطلب ، أن لا يناكحهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم !! انتهى.

ورواه مسلم : ٨٦ / ٤ ، وأحمد : ٣٢٢ / ٢ و ٢٣٧ و ٢٦٣ و ٣٥٣ و ٥٤٠

ورواه البيهقى فى سننه : ١٦٠ / ٥ ، بتفاوت وقال (أخرجه البخارى ومسلم فى الصحيح من حديث الأوزاعى) وقد رواه مسلم عن الأوزاعى ، ولكن البخارى لم يروه عنه ، بل عن أبي هريره ، ولم نجد فى طريقه الأوزاعى ، فهو اشتباه من البيهقى ، أو سقط من نسخه البخارى التى بأيدينا.

وفى روايه البيهقى عن الأوزاعى زياده (أن لا يناكحهم ، ولا يكون بينهم شىء حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم).

كما أن فى رواياتهم تفاوتاً فى وقت إعلان النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) للمسلمين عن مكان نزوله فى منى ، فروايه البخارى تذكر أنه أعلن ذلك فى منى بعد عرفات ، بينما تذكر روايه الطبرانى أنه أعلن ذلك فى مكة قبل توجهه الى الحج .. وهذا أقرب الى اهتمامه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالموضوع ، وحرصه على تركيزه فى أذهان المسلمين ، خاصة أنه نزل فى هذا المنزل ، وبات فيه ليله عرفات ، وهو فى طريقه إليها ، وقد تقدم ذلك فى روايه الدارمى ، ثم نزل فيه طيله أيام التشريق ! قال فى مجمع الزوائد : ٢٥٠ / ٣ :

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل يوم الترويه بيوم : منزلنا غداً إن شاء الله بالخيف الأيمن ، حيث استقسم المشركون. رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات. انتهى.

ص: ١١٣

والمسأله المهمه هنا : هي هدف الرسول أن يذكر قريشاً والمسلمين بحادثه عظيمه وقعت في هذا المكان ، قبل نحو أربع عشره سنه من ذلك اليوم فقط ! هذه الحادته التي تريد قريش أن تدفنها وأن ينساها الناس ، ويريد الله ورسوله أن تخلد في ذاكره المسلمين والتاريخ ، وكلها عاراً على قريش ، وفخرٌ للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وبنى هاشم .. وهي صورهُ عن جهود فراعنه قريش ، حيث استطاعوا أن يحققوا إجماع قبائلهم ، ويقنعوا قبائل كنانه القريبه من الحرم بتنفيذ مقاطعه تامه على بنى هاشم !!

وقد نفذوها لسنين طويله وضيقوا عليهم اقتصادياً واجتماعياً تضييقاً تاماً ، حتى يتراجع محمد عن نبوته ، أو يسلمه بنو هاشم الى قريش ليقتلوه !!

وقد اعتبر الفراعنه يومذاك أنهم نجحوا نجاحاً كبيراً وحققوا إجماع قريش وكنانه على هذا الهدف الشيطاني ، وكان مؤتمرمهم لذلك في المحصب في خيف بنى كنانه حيث تقاسموا باللات والعزى على هدفهم ، وبدؤوا من اليوم الثاني بتنفيذه ، واستمر حصارهم ومقاطعتهم نحو أربع سنوات الى قبيل هجرته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من مكه !!

وقد تضامن بنو هاشم مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مسلمهم وكافرهم وتحملوا سنوات الحصار والفقر والأذى والإهانه ، في شعب أبي طالب ، ولم يشاركهم في ذلك أحد من المسلمين .. حتى فرج الله عنهم بمعجزه !

لقد أراد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يوعى المسلمين الجدد على تاريخ الإسلام ، وتكاليف الوحي ، ليعرفوا قيمته .. ويوعىهم على معدن الإسلام ومعدن الكفر ليعرفوهما !

كما أراد أن يبعث بذلك رساله الى بقيه الفراعنه ، الذين ما زالوا أحياء من زعماء قريش ، بأنهم قد تحملوا وزر هذا الكفر والعار ، ثم ارتكبوا بعده ما هو أعظم منه ، ولم يتراجعوا إلا عندما جمعهم في فتح مكه تحت سيوف الأنصار وسيوف بنى هاشم ، فأعلنوا إسلامهم خوفاً من القتل .. وها هم اليوم يخططون لوراثه دوله الإسلام التي بناها الله تعالى ورسوله ، وهم كارهون !!

لقد أهلك الله تعالى عدداً قليلاً من أبطال ذلك الحلف الشيطاني ، من ساده

مؤتمر خيف المحصب ، بالموت ، وبسيف على بن أبي طالب .. ولكن العديد مثل سهيل بن عمرو ، وأبي سفيان ، وعكرمه بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية بن خلف ، وحكيم بن حزام ، وصهيب بن سنان ، وأبا الأعور السلمي ، وغيرهم من زعماء قريش وكنانه .. مازالوا أحياءً ينظرون ، وكانوا حاضرين مع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حجة الوداع يسمعون كلامه ويذكرون ماضيهم بالأمس القريب جيداً ، ويتعجبون من عفوه عنهم واكتفائه بإقامه الحجة الدامغة عليهم !

وكانت تصرفاتهم الظاهره والخفيه ، ومنطق الأمور ، وشهاده أهل البيت ، ومجرى التاريخ .. تدل على فرحهم بأن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يعلن قرب موته ورحيله عنهم ، وأنهم يعدون العده لما بعده لحصار بنى هاشم الجديد !!

فأراد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يذكرهم بخطتهم في حصارهم القديم ، وكيف أحبطه الله تعالى ! وأنه سيحبط حصارهم الجديد أيضاً !!

وأما المبدأ السابع من هذا الأساس (تحذيره قريشاً أن تطغى من بعده وتفسد) فقد ذكرته أحاديث مصادرنا ، وذكرته روايه الهيثمي المتقدمه في مجمع الزوائد عن فهد بن البحيري ، الذي استمع على ما يبدو الى خطبه يوم عرفه ونقل عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قوله (يا معشر قريش لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم وتجيئ الناس بالآخره ، فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً) انتهى.

ونشكر الله تعالى أن فهدا البحيري هذا كان بدوياً ، ولم يكن قرشياً ولا- كنانياً ، وإلا لوضع هذه الروايه فى رقبه بنى هاشم ، وأبعدها عن قريش ، كما فعل الرواه القرشيون ! فجعلونا نقرأ فى مصادر إخواننا السنين عشرات الأحاديث (الصحيحه) فى تحذير النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لبنى هاشم وبنى عبد المطلب وذمهم !! وعشرات الأحاديث فى مدح قريش ووجوب أن تكون القياده فيهم !! ولا تجد فيها حديثاً فى ذم قريش إلا وقد أحبطوا معناه بحديث آخر ، أو حولوه الى مدح لقريش !!

وحدیث ابن البحیری فی حجه الوداع تحذیر نبوی لقریش فی محله تماماً .. لأن قریشاً ذات موقع ممیز فی العرب .. وهی المتصدیه لقیاده عرب الجزیره فی حیاہ النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ومن بعده .. فالخطر على أهل بيته من قريش وحدها .. والتحريف الذى يخشى على الإسلام .. والظلم الذى يخشى على المسلمين إنما هو من قريش وحدها .. وبقية الناس تبع لها !

والنبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إنما هو مبلغ عن ربه ، ومقيم لحجه ربه ، وعليه أن يحذر وينذر ، ليحى من حى عن بينه ، ويهلك من هلك عن بينه .

وأما المبدأ الثامن من هذا الأساس (تحذيره الصحابه من الإرتداد والصراع على السلطه) فقد روته مصادر الجميع بصيغتين : مباشره ، وغير مباشره ..

أما غير المباشره فهى قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وقد تقدم فى نصوص الخطب أن ابن ماجه عقد فى سننه : ٢ / ١٣٠٠ باباً تحت هذا العنوان وقال فيه إن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (استنصت الناس فقال ... ويحكم أو ويلكم ، لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ... فلا تقتلن بعدى) .

وهذا يعنى أن ذلك سوف يقع منهم ، وقد أخبرهم أنهم سيفعلون ، ولكنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) استعمل كل بلاغته وكل عاطفته ، وكل موجبات الخوف والحذر .. ليقوم الحجه عليهم لربه عز وجل ، حتى إذا وافوه يوم القيامه لا- يقولوا : لماذا لم تحذرننا !

والذين يحذرنهم من الإقتتال ليسوا إلا- الصحابه لا- غير .. لا- اليهود ولا القبائل العربيه ، ولا حتى زعماء قريش بدون شركائهم من الصحابه ..

فالدوله الإسلاميه كانت قائمه ، وقد حققت مركزيتها على كل الجزيره ، والخوف من الإقتتال بعد النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليس من القبائل التى خضعت للإسلام طوعاً أو كرهاً ، مهما كانت كبيره وموحده مثل هوازن وعطفان .. فهى لا تستطيع أن تطمح الى قياده هذه الدوله ، وإن طمحت فلا حظ لها فى النجاح ، إلا بواسطة الصحابه ..

واليهود قد انكسروا وأجلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قسماً منهم من الجزيره ، ولم تبق لهم قوه عسكريه تذكر .. ومكائدهم وخططهم مهما كانت قويه وخبيثه ، فلا حظ لها فى النجاح إلا .. بواسطة الصحابه ..

وزعماء قريش ، مع أنهم يملكون جمهور قبائل قريش ، فهم لا يستطيعون أن يدعوا حقاً فى قياده الدوله بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأنهم كلهم طلقاءه ، يعنى كان للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الحق فى أن يقتلهم ، أو يتخذهم عبيداً ، فاتخذهم عبيداً وأطلقهم .. فلا طريق لهم للقياده إلا بواسطة العدد الضئيل من الصحابه ، من القرشيين المهاجرين ..

وبذلك يتضح أن تحذيره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الصراع بعده على السلطه ، ينحصر بالصحابه المهاجرين ، ثم بالأنصار فقط .. فقط !!

وهنا يأتى دور التحذير المباشر ، الذى لا ينقصه إلا الأسماء الصريحه .. وقد جاء هذا الإعلان النبوى على شكل لوحه من الغيب ، عن النتيجة والمصير الذى يمشى اليه هؤلاء الصحابه المنحرفون المحرفون !

لوحه أخبره بها جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الله تعالى ، يوم يجعل الله محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) رئيس المحشر ، ويعطيه جبرئيل لواء الحمد ، فيدفعه النبي الى على بن أبى طالب ، فهو حامل لوائه فى الدنيا والآخره ، ويكون جميع أهل المحشر تحت قياده محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. ويفتخر به آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، حتى يدعى أبا محمد .. (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ويعطى الله تعالى رسوله الشفاعه وحوض الكوثر ، فيفد عليه الوافدون من الأمم فيشفع لهم ويعطيهم بطاقه للشرب من حوض الكوثر ، ليتغير بذلك الكأس تركيبهم الفيزيائى ، وتصلح أجسادهم لدخول الجنه ، والخلود فى نعيمها ..

وعندما يفد عليه أصحابه تحدث المفاجأه :

يأتى النداء الالهى بمنع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الشفاعه لهم ، ومنعهم من ورود الحوض ، ويؤمر ملائكه العذاب بأخذهم الى جهنم !!

هذا هو مستقبل هؤلاء الصحابه على لسان أصدق الخلق !!

إنه صورة رهيبة ، جاء بها جبرئيل الأمين ، لكي يبلغها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى الأمة في حجة الوداع !!

إنها أعظم كارثة على صحابه أعظم رسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. ولا بد أن سببها أنهم سوف يوقعون في أمتهم من بعده أعظم ... كارثة !!

ولا ينجو من هؤلاء الصحابه إلا مثل (همل النعم) كما في روايات محييهم الصحيحه بأشد شروط الصحه .. وهو تعبير نبوي عجيب ، لأن همل النعم هي الغنم أو الإبل الفالته من القطيع ، الخارجه على راعيه ! وهو يدل على أن قطع الصحابه في النار ، وهملمهم الذي يفلت منهم ، يفلت من النار الى الجنة !!

بل ذكر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن الصحابه الجهنميين زمردان ، مما يدل على أنهم خيطان من صحابته لاخط واحد ، وتقدم قول الحاكم عن حديثه : صحيح على شرط الشيخين ، وفيه (ثم أقلت زمرة أخرى ، ففعل بهم كذلك ، فلم يفلت إلا كمثل النعم !!)

إنها مسألة مذهلة .. صعبه التصور والتصديق ، خاصة على المسلم الذي تربى على حب كل الصحابه ، وخير القرون ، والجيل الفريد ، وحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .. وعلى الصور واللوحات الرائعة للصحابه ، التي كبر معها وكبرت معه .. فإذا به يفاجأ بهذه الصورة الشيطانية المخيفه عنهم !!

لو كان المتكلم عن الصحابه غير الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لقالوا عنه إنه عدو للإسلام ولرسوله يريد أن يكيد للإسلام عن طريق الطعن في صحابه الرسول .. (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ولكن المتكلم هو .. الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. بعينه .. بنفسه .. وكلامه ليس اجتهاداً منه ولا رأياً رآه ، حتى تقول قريش إنه يتكلم في الرضا والغضب ، وكلامه في الغضب ليس حجه .. بل هو وحى نزل عليه من رب العالمين !!

إنها حقيقة مرة .. ولكن هل يجب أن تكون الحقيقة دائماً حلوة كما نشتهي .. وأن يكون الحق دائماً مفصلاً على مزاجنا ، مطابقاً لموروثاتنا؟!

وماذا نضع إذا كانت أحاديث الصحابه المطرودين ، المرفوضين ، الممنوعين من

ورود الحوض مستفيضه في الصباح ، وهي في غير الصباح أكثر .. وهي تصرح بأنه لا ينجو منهم إلا مثل الهمل !!

- قال الجوهرى في الصباح : ١٨٥٤ / ٥

والهمل بالتحريك : الإبل التي ترعى بلا- راع ، مثل النفس ، إلا أن النفس لا يكون إلا ليلاً ، والهمل يكون ليلاً ونهاراً. يقال :
إبلٌ همْلٌ وهامله وهمال وهوامل.

وتركتها هملاً أى سدى ، إذا أرسلتها ترعى ليلاً ونهاراً بلا راع.

وفي المثل : اختلط المرعى بالهمل . والمرعى الذى له راع . انتهى.

ولكن السؤال هو : لماذا طرح الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) موضوعهم في حجه الوداع ؟!

الجواب : لأن الله تعالى أمره بذلك ، فهو لا ينطق عن الهوى ، ولا علم له من نفسه بما سيفعله أصحابه من بعده ، ولا بما سيجرى له معهم يوم القيامة !!

والسؤال الآخر : وماذا فعل الصحابه بعد الرسول ؟ هل كفروا وارتدوا كما يقول الحديث ؟ هل حرفوا الدين ؟ هل اقتتلوا على السلطه والحكم ؟!

والجواب : إقبل ما يقوله لك نبيك (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، واسكت ، ولا تصر رافضياً !

والسؤال الآخر : لماذا اختار الله تعالى هذا الأسلوب في التحذير ، ولم يهلك هؤلاء الصحابه ، الذين سينحرفون ، أو يأمر رسوله بقتلهم ، أو يكشفهم للمسلمين ليحذروهم !

والجواب : هذه سياسته سبحانه وتعالى في إقامه الحجه كامله على العباد ، وترك الحريه لهم .. ليحيى من حى عن بينه ، ويهلك من هلك عن بينه .. ولا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون .. فهو سبحانه مالكهم له حق سؤالهم ، وهو لا يفعل الخطأ حتى يحاسب عليه .. وهو أعلم ، وغير الأعم لا يمكنه أن يحاسب الأعم ويسأله !

والسؤال الآخر : ماذا كان وقع ذلك على الصحابه والمسلمين ؟! ألم يهرعوا الى الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليحدد لهم الطريق أكثر ، ويعين لهم من يتبعونه بعده ، حتى لا يضلهم هؤلاء الصحابه الخطرون ؟!

والجواب : لقد عين لهم الثقلين من بعده : كتاب الله وعترته ، وبشرهم باثني عشر إماماً يكونون منهم بعده ..

وقبل حجه الوداع وبعدها ، طالما حدد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لهم عترته وأهل بيته بأسمائهم : علي وفاطمه والحسن والحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، حتى أن الأحاديث الصحاح تقول إنه حددهم حسياً فأدار عليهم كساءً يمانياً ، وقال للمسلمين : هؤلاء عترتي أهل بيتي !!

ولم يكتف بذلك حتى أوقف المسلمين في رمضاء الجحفة بغدير خم ، وأخذ بيد علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبلغ الأمة إمامته من بعده ، ونصب له خيمه ، وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بإمره المؤمنين ، وباركوا له ولايته عليهم التي أمر بها الله تعالى .. فهنؤوه جميعاً وباركوا له ، وأمر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نساءه وكن معه في حجه الوداع ، أن يهنئن علياً فجئن الى باب خيمته وهنأته وباركن له .. معلناتٍ رضاهن بولايته على الأمة.

ثم أراد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في مرض وفاته أن يؤكد الحجة على الأمة بوثيقه مكتوبه ، فطلب منهم أن يأتوه بدواه وقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً .. ولكنهم رفضوا ذلك بشده ! وقالوا له : شكراً أيها الرسول ، لقد قررنا أن نضل ، عالمين عامدين مختارين !! لأننا لانريد أن تكتب لنا أطيعوا بعدى عترتي علياً ، ثم حسناً ، ثم حسيناً ، ثم تسعه من ذرية الحسين !

فهل تريد من نبيك (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يقيم الحجة أكثر من هذا !؟

الأساس الخامس : عقوبه المخالفين للوصيه النبويه بأهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

وهي عقوبهٌ أخرويه ، تتناسب مع مسؤوليه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في التبليغ ، والشهاده على الأمة .. وقد جاءت شديده قاطعه ، بصيغه قرارٍ من الله تعالى بلعن المخالفين لرسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في أهل بيته ، وطردهم من الرحمه الإلهيه ، وحكماً بعدم قبول توبتهم نهائياً واستحقاقهم العذاب في النار.

وربما يزيد من شدتها ، أنها كانت آخر فقره من خطبته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!

وقد تقدم نص هذه اللعنه النبويه فى روايه تحف العقول من مصادرها ، وقد نصت مصادر السنين على أنها صدرت من النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى حجه الوداع.

- فى سنن ابن ماجه : ٢ / ٩٠٥

عن عمرو بن خارجه أن النبى صلى الله عليه وسلم خطبهم وهو على راحلته ، وإن راحلته لتقصع بجرتها ، وإن لغامها ليسيل بين كتفى ، قال ... ومن ادعى الى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ. أو قال : عدلٌ ولا صرفٌ.

- وفى سنن الترمذى : ٣ / ٢٩٣

عن أبى أمامه الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته عام حجه الوداع ومن ادعى الى غير أبيه ، أو اتسمى الى غير مواليه ، فعليه لعنه الله التابعه الى يوم القيامة.

- وفى مسند أحمد : ٤ / ٢٣٩

عن عمرو بن خارجه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمنى على راحلته ، وإنى لتحت جران ناقته ، وهى تقصع بجرتها ، ولعابها يسيل بين كتفى ، فقال : ألا- ومن ادعى الى غير مواليه رغبه عنهم ، فعليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين. ورواه أحمد : ٤ / ١٨٧ بلفظ : ألا ومن ادعى الى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أو عدلاً ولا صرفاً. انتهى. ورواه بعده روايات فى نفس الصفحه والتى قبلها ، وفى ص ٢٣٨ و ١٨٦ ، ورواه الدارمى فى سننه : ٢ / ٢٤٤ و ٣٤٤ ، ومجمع الزوائد : ٥ / ١٤ ، عن أبى مسعود ، ورواه البخارى فى صحيحه : ٢ / ٢٢١ ، و : ٤ /

٦٧

ولعلك تسأل : ما علاقته هذه اللعنه المشدده المذكوره فى خطب حجه الوداع وغيرها بوصيه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأهل بيته؟! فهى تنصب على الذى ينكر نسبه من أبيه وينسب نفسه الى شخص آخر ، وعلى العبد الذى ينكر مالكة ويدعى أنه عبد

ص: ١٢١

لشخص آخر ، أو ينكر ولاءه وسيدته الذي أعتقه ، ويدعى أن ولاءه لشخص آخر !

فهذا هو معنى (من ادعى لغير أبيه أو تولى غير مواليه) !

والجواب : أن مقصود النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالأبوه في هذه الأحاديث الشريفه : أبوته هو المعنويه للأمه ، وبالولاء : ولايته وولايه أهل بيته عليها ، وليس مراده الأبوه النسبيه وولاء المالك لعبده !

والدليل على ذلك : لو أن ولداً هرب من أبيه ، وسجل نفسه باسم والدٍ آخر ، ثم تاب من فعلته وصحح هويته ، واستغفر الله تعالى .. فإن الفقهاء جميعاً يفتون بأن توبته تقبل !

ولو أن عبداً مملوكاً هرب من سيده ولجأ الى شخص ، وادعى أنه سيده ، وبعد مده رجع الى سيده واستغفر الله تعالى .. فإن الفقهاء يفتون بأن توبته تقبل .

بينما الشخص الملعون في كلام النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مصبوبٌ عليه الغضب الالهى الى الأبد ! (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) . والصراف هو التوبه ، والعدل الفديه ، وقد فسرتهما الأحاديث الشريفه بذلك .

فهذه العقوبه الإلهيه المذكوره فى خطب حجه الوداع ، إنما تصح لحالات الخيانه العظمى ، مثل الإرتداد وشبهه ، ولا يعقل أن تكون لولدٍ جاهلٍ يدعو نفسه لغير أبيه ، أو لعبدٍ مملوكٍ أو مظلومٍ يدعو نفسه لغير سيده !

ويؤيد ذلك أن بعض رواياتها صرحت بكفر من يفعل ذلك ، وخروجه من الإسلام ! كما فى سنن البيهقى : ٨ / ٢٦ ، ومجمع الزوائد : ١ / ٩٧ ، وكنز العمال : ٥ / ٨٧٢ . وفى كنز العمال : ١٠ / ٣٢٤ (من تولى غير مواليه فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه . أحمد عن جابر) .

- وفى / ٣٢٦ (من تولى غير مواليه فليتبوأ بيتاً فى النار . ابن جرير عن عائشه)

- وفى / ٣٢٧ (من تولى غير مواليه فقد كفر . ابن جرير عن أنس) .

- وفى : ١٦ / ٢٥٥ (ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على رسوله . ش)

ولا نحتاج الى تتبع هذه الأحاديث فى مصادرهما وأسانيدهما ، لأنها مؤيداتٌ لحكم العقل القطعى بأن مقصوده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لا يمكن أن يكون الأب النسبى ، ومالك العبد.

ويؤيد ذلك أيضاً : أن بعض رواياته كالتى مرت آنفاً وغيرها من روايات أحمد ، ليس فيها ذكر للولد والوالد ، بل اقتصر على ذكر العبد الذى هو أقل جرمًا من الولد ومع ذلك زادت العقوبه واللعنه عليه ، ولم تخففها !

ويؤيد ذلك أيضاً : أن هذه اللعنه وردت فى بعض روايات الخطب الشريفه ، بعد ذكر ما ميز به الله تعالى رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) من ماله خاصه هى الخمس ، وحرّم عليهم الصدقات والزكوات !

- ففى مسند أحمد : ١٨٦ / ٤

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فقال : ألا إن الصدقه لا تحل لى ولا لأهل بيتى ، وأخذ وبره من كاهل ناقته ، فقال : ولا ما يساوى هذه ، أو ما يزن هذه. لعن الله من ادعى الى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه. انتهى.

ورواه فى كنز العمال : ٢٩٣ / ٥ ، وفى كنز العمال : ٢٣٥ / ١٠ (ومن تولى غير مواليه ، فليتبوأ بيتاً فى النار. ابن عساكر عن عائشه) انتهى.

أما فى مصادر أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فالحديث ثابتٌ عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى خطب حجه الوداع فى المناسك .. وهو أيضاً جزءٌ من حديث الغدير ..

- ففى بحار الأنوار : ١٢٣ / ٣٧

عن أمالى المفيد ، عن على بن أحمد القلانسى ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الرحمان بن صالح ، عن موسى بن عمران ، عن أبى إسحاق السبيعى ، عن زيد بن أرقم قال : سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بغدير خم يقول : إن الصدقه لا تحل لى ولا لأهل بيتى ، لعن الله من ادعى الى غير أبيه ، لعن من تولى الى غير مواليه ، الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر ، وليس لوارث وصيه.

ص : ١٢٣

ألا وقد سمعتم منى ، ورأيتمنى .. ألا من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

ألا وإنى فرطكم على الحوض ومكاثرتكم بالأمم يوم القيامة ، فلا تسودوا وجهى.

ألا لأستنقذن رجالاً من النار ، وليستنقذن من يدي أقواماً.

إن الله مولاي ، وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة.

ألا من كنت مولاه فهذا على مولاه. انتهى.

وروى نحوه فى / ١٨٦ ، عن بشاره الإسلام.

- وقال ابن البطريق الشيعى فى كتابه العمده / ٣٤٤

وأما الأخبار التى تكررت من الصحاح من قول النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : لعن الله من انتمى الى غير أبيه ، أو توالى غير مواليه ، فهى من أدل على الحث على اتباع أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والأمر بولائه دون غيره ، يريد بقوله : من تولى غير مواليه يعنى نفسه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وعلياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعده ، بدليل ما تقدم من الصحاح من غير طريق ، فى فصل مفرد مستوفى ، وهو قول النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : من كنت مولاه فعلى مولاه ، ثم قال مؤكداً لذلك : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله.

فمن كان النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مولاه فعلى مولاه ، ومن كان مؤمناً فعلى مولاه أيضاً ، بدليل ما تقدم من قول عمر بن الخطاب لعلى لما قال له النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فقال له عمر : بخٍ بخٍ لك يا على ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. وفى روايه : مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمن.

وهذه منزله لم تكن إلا لله سبحانه وتعالى ، ثم جعلها الله لرسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وللعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بدليل قوله تعالى :
إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راعون ...

وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : من انتمى الى غير أبيه فالمراد به : من انتمى الى غير أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى الولاء ، مأخوذاً من قول النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : أنا وأنت أبوا هذه الأمة ، فعلى عاق والديه لعنه الله. انتهى.

كما ورد في مصادر الفريقين أن هذا الحديث جزء مما كان مكتوباً في صحيفه صغيره معلقه في ذؤابه سيف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذي ورثه لعلی (عَلَيْهِ السَّلَامُ).. فقد رواه البخارى في صحيحه : ٤ / ٦٧ ، ومسلم : ٤ / ١١٥ ، و ٢١٦ ، بعده روايات ، والترمذى : ٣ / ٢٩٧ .. ورواه غيرهم أيضاً ، وأكثروا من روايته ، لأن الراوى ادعى فيه على لسان على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يورث أهل بيته شيئاً من العلم ، إلا القرآن وتلك الصحيفه المعلقه في ذؤابه السيف !!

وقد وجدنا أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أطلق هذه اللعنه في مناسبه رابعه ، عندما كثر طلقاء قريش في المدينه ، وتصاعد عملهم مع المنافقين ضد أهل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقالوا : (إنما مثل محمد في بنى هاشم كمثل نخله نبتت في كبا ، أى مزبله) فبلغ ذلك النبي فغضب ، وأمر علياً أن يصعد المنبر ويجيهم !!

- فقد روى في بحار الأنوار : ٣٨ / ٢٠٤

عن أمالى المفيد ، عن محمد بن عمر الجعابى ، عن ابن عقده ، عن موسى بن يوسف القطان ، عن محمد بن سليمان المقرئ ، عن عبد الصمد بن على النوفلى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، عن الأصبغ بن نباته قال :

لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، غدونا نفر من أصحابنا أنا والحارث وسويد بن غفله ، وجماعه معنا ، فقعدا على الباب ، فسمعنا البكاء فبكينا ، فخرج إلينا الحسن بن على فقال : يقول لكم أمير المؤمنين : انصرفوا الى منازلكم ، فانصرف القوم غيرى فاشتد البكاء من منزله فبكيت ، وخرج الحسن وقال : ألم أقل لكم : انصرفوا ؟ فقلت : لا والله يا ابن رسول الله لا تتابعنى نفسى ولا تحملنى رجلى أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

قال : فبكيت ، ودخل فلم يلبث أن خرج فقال لى : أدخل ، فدخلت على أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامه صفراء ، قد نرف واصفر وجهه ، ما أدرى وجهه أصفر أو العمامه ؟ فأكبت عليه فقبلته وبكيت.

ص : ١٢٥

فقال لى : لا تبك يا أصبغ ، فإنها والله الجنة .

فقلت له : جعلت فداك إنى أعلم والله أنك تصير الى الجنة ، وإنما أبكى لفقدانى إياك يا أمير المؤمنين . جعلت فداك حدثنى بحديث سمعته من رسول الله ، فإنى أراك لا أسمع منك حديثاً بعد يومى هذا أبداً ، قال :

نعم يا أصبغ : دعانى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يوماً فقال لى : يا على انطلق حتى تأتى مسجدى ، ثم تصعد منبرى ، ثم تدعو الناس إليك ، فحمد الله تعالى وتثنى عليه وتصلى علىَّ صلاةً كثيرة ، ثم تقول :

أيها الناس إنى رسول رسول الله إليكم ، وهو يقول لكم : إن لعنه الله ولعنه ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتى على من انتمى الى غير أبيه أو ادعى الى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره .

فأتيت مسجده وصعدت منبره ، فلما رأتنى قريش ومن كان فى المسجد أقبلوا نحوى فحمدت الله وأثنت عليه ، وصليت على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صلاةً كثيرة ، ثم قلت :

أيها الناس إنى رسول رسول الله إليكم ، وهو يقول لكم : ألا إن لعنه الله ولعنه ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتى ، على من انتمى الى غير أبيه ، أو ادعى الى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره .

قال : فلم يتكلم أحدٌ من القوم إلا عمر بن الخطاب ، فإنه قال : قد أبلغت يا أبا الحسن ، ولكنك جئت بكلام غير مفسر ، فقلت : أبلغ ذلك رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .

فرجعت الى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فأخبرته الخبر ، فقال : إرجع الى مسجدى حتى تصعد منبرى ، فاحمد الله وأثن عليه وصل على ، ثم قل :

أيها الناس ، ما كنا لنجيئكم بشىء إلا وعندنا تأويله وتفسيره ، ألا وإنى أنا أبوكم ألا وإنى أنا مولاكم ، ألا وإنى أنا أجيركم . انتهى .

وقد وجدنا لهذا الحديث مناسبة خامسه أيضاً ، فقد روى فرات بن ابراهيم الكوفى فى تفسيره / ٣٩٢ قال : حدثنا عبد السلام بن مالك قال : حدثنا محمد بن موسى بن

أحمد قال : حدثنا محمد بن الحارث الهاشمي قال : حدثنا الحكم بن سنان الباهلي ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح قال : قلت لفاطمه بنت الحسين : أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث ، واحتج به على الناس .

قالت : نعم ، أخبرني أبي أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان نازلاً بالمدينه ، وأن من أتاه من المهاجرين عرضوا أن يفرضوا لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فريضه يستعين بها على من أتاه ، فأتوا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقالوا : قد رأينا ما ينوبك من النوائب ، وإنا أتيناك لتفرض فريضه تستعين بها على من أتاك .

قال : فأطرق النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طويلاً ثم رفع رأسه فقال : إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً ، إنطلقوا فإنني لم أؤمر بشيء ، وإن أمرت به أعلمتكم .

قال : فنزل جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال : يا محمد إن ربك قد سمع مقاله قومك وما عرضوا عليك ، وقد أنزل الله عليهم فريضه : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا الموده في القربى .

قال فخرجوا وهم يقولون : ما أراد رسول الله إلا أن تذلل الأشياء ، وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبنى عبد الطلب .

قال : فبعث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى علي بن أبي طالب أن اصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل : أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار ، ومن ادعى الى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار ، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار .

قال : فقام رجلٌ وقال : يا أبا الحسن ما لهن من تأويل ؟ فقال : الله ورسوله أعلم . فأتى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فأخبره ، فقال رسول الله : ويلٌ لقريشٍ من تأويلهن ، ثلاث مرات ! ثم قال : يا علي انطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء ، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين ، وأنا وأنت أبوا المؤمنين . انتهى .

**

البحث الرابع: حاجة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ رسالاتهم الى حمايه الناس

اشاره

ارتكب المنظرون للخلافه القرشييه من المحدثين والمفسرين ، خطأين أساسيين في تفسير آيه التبليغ ، فشوهوا بذلك معناها :

الخطأ الأول ، في مفهوم تبليغ الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ومنهم نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

والخطأ الثاني ، محاولتهم إخفاء واقع قريش بعد الفتح ، وإبعاد الآيه عنها ، وأن يصوروا للمسلمين أن قريشاً المشركه منجم الفراعه وأتباعهم ، قد تحولت بين عشيه وضحاها ، الى قبيله مسلمه مؤمنه تقيه ، تقود الناس بالإسلام والهدى !

معنى التبليغ في القرآن

مفهوم التبليغ في القرآن مفهوم بسيط ، فتبليغ الرسل يعنى بيانهم الرساله الإلهيه للناس .. ثم الناس بعد ذلك مختارون في أن يقبلوا ، أو يتولوا ، وحسابهم على الله تعالى ، وليس على أنبيائه !

ومن هذا الأساس العميق تتفرع عده مبادئ :

أولاً : أن النبي يحتاج الى ضمان حريه التعبير عن الرأى ، لكي يتمكن من إيصال رساله ربه الى العباد وإبلاغهم إياها. وقد كان ذلك مطلب الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الأول من أممهم.

ص: ١٢٩

ثانياً : مهمه الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هي التبليغ فقط (الإبلاغ) حتى أن الجهاد لم يكن مفروضاً على أحد من الأنبياء قبل ابراهيم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وقد فرضه الله تعالى عليه وعلى الأنبياء من ذريته (وكل الأنبياء والأوصياء بعده من ذريته) من أجل إزاحه العقبات المانعه من التبليغ ، أو رد اعتداءات الكفار على الذين اختاروا الدين الالهي وإقامه حياتهم على أساسه.

ثالثاً : لا إكراه في الدين ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. فينبغي أن يبقى قانون الهدايه والإضلال فعالاً ، والقدره على عمل الخير والشر متوفره.

رابعاً : الهدف من الإبلاغ هو إقامة الحجة لله على عباده ، واصله كامله تامه .. حتى لا يقولوا يوم القيامة : لم يقل النبي لنا ، لم يبلغنا ذلك ، لم نعرف ذلك ، وكنا عنه غافلين . فإقامه الحجة في الدين الالهي محورٌ أصلي دائم في عمل الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) سواء على مستوى الكافرين ، أو على مستوى أممهم المؤمنين بهم.

فالمهم عند النبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن يوصل العقيدة والأحكام الى الناس .. أن يقول لهم ، ويبين لهم ، ويوضح لهم ويفهمهم .. وبذلك يقيم الحجة لربه عز وجل .. وبذلك يؤدي ما عليه ، ويسقط المسؤولية عن عاتقه.

أما استجابتهم أو تكذيبهم .. وأما عملهم وسلوكهم ، فهو شأنهم وليس النبي مسؤولاً عنه ، بل هو من اختصاص الله تعالى.

قال الله تعالى : قل فله الحجة البالغه فلو شاء لهداكم أجمعين. الأنعام - ١٤٩

وأدله هذه الحقائق التي ذكرناها كثيره ، من آيات القرآن وأحاديث السنه ، نشير منها الى ما ذكره الله تعالى من قول نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون. الأعراف - ٦٢

وقول شعيب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين. الأعراف - ٩٣

ص: ١٣٠

وقول هود (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ. هود - ٥٧

وقوله تعالى عن مهمه جميع الرسل الذين بعثهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) :

فهل على الرسل إلا البلاغ المبين. النحل - ٣٥

قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون. وما علينا إلا البلاغ المبين. يس ١٦ - ١٧

ولا- يتسع المجال لاستعراض مفاهيم التبليغ وأحكامه في القرآن والحديث ، فهي أجزاء مشرقه من (نظريه متكامله) نشير منها الى أنه تعالى وصف دينه وقرآنه بأنه بلاغ فقال : هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب. ابراهيم - ٥٢

وقال إنه بلاغ يشمل الأجيال الآتية التي يبلُغها الإسلام :

قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ. الأنعام - ١٩

وأثنى تعالى على أمانه أنبيائه وشجاعته في تبليغ رسالاته ، رغم مقاومه الناس واستهزائهم ، فقال عز وجل : الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً. الأحزاب - ٣٩
كما وصف سبحانه عمله تلقى الوحي وتبليغه بأنه من الأعمال الدقيقة الخطيره التي تحتاج الى شخصيات من نوع خاص ، وحراسه ربانيه خاصه لهم أيضاً ، فقال :

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً. الجن ٢٦ - ٢٨

مهمه نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي التَّبْلِيغِ

والذى يتصل بموضوعنا مباشرة هو تبليغ نبينا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقد قال تعالى عن مهمته ومسؤوليته : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين. المائده - ٩٢

قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم. وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين. النور - ٥٤

فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد. آل عمران - ٢٠

فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ. الشورى - ٤٨

فقد أرسل الله نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على أساس نظام الرساله والتبليغ الالهى ، الذى أرسل به جميع الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وهو قاعده : إقامه الحجج وإتمامها على الناس ، وعدم إجبارهم على العمل. وهذا هو معنى (فإنما عليك البلاغ) فقط ، فقط !

وهذا هو معنى قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا- إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم.

فالإجبار الذى جاء به النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو إجبار أهل الكتاب على التعايش مع المسلمين ، وليس على الدخول فى الإسلام ، وإجبار المشركين الوثنيين على الدخول فى الإطار العام للإسلام .. وما عداه متروكٌ للأمة ، داخل هذا الإطار ، يطيع منها من يطيع ، ويعصى من يعصى ، ويهتدى منها من يهتدى ، ويضل من يضل .. والمحاسب هو الله تعالى.

ومن الطبيعى إذن ، أن تحتاج مهمه التبليغ الى حمايه للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى يؤديها وإلا- فإن قبائل قريش الذين يدركون خطر دعوته على نفوذهم وآلهتهم ، سرعان ما يدبرون قتله ، أو تشويه سمعته وعزله ، وحجب الناس عن سماع صوته.

ورغم أن الألفاظ الإلهيه على أنبيائه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كثيره ومتنوعه ، وما خفى عنا منها أعظم مما عرفناه ، أو ما يمكن أن يبلغه فهمنا .. لكن سنته سبحانه فى الرسل أن يترك حمايتهم للأسباب (الطبيعيه) مضافاً الى تلك الألفاف.

ولا يوجد دليلٌ واحدٌ على ما ذكروه من ضمان الله تعالى عصمه نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الجرح والقتل ، وأنواع الأذى التى قد يتعرض لها .. وقد تقدمت النصوص الداله على استمرار حراسته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى آخر حياته ، ونضيف هنا ما رواه الجميع من أنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان يطلب من قبائل العرب تأمين هذه الحمايه حتى يبلغ رساله ربه.

ص: ١٣٢

- ففى سيرة ابن هشام : ٢ / ٢٣ عن ربيعة بن عباد ، قال :

إنى لغلأم شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به. انتهى. ورواه الطبرى فى تاريخه : ٢ / ٨٣ ، وابن كثير فى سيرته : ٢ / ١٥٥

- وقال اليعقوبى فى تاريخه : ٢ / ٣٥ :

وكان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم شريف كل قوم ، لا يسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ، ويقول : لا أكره أحداً منكم ، إنما أريد أن تمنعونى مما يراد بى من القتل ، حتى أبلغ رسالات ربه ، فلم يقبله أحد ، وكانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به ! انتهى.

كذلك نصت المصادر على أنه ٩ طلب البيعة من الانصار ، على حمايته وحمايه أهل بيته مما يحمون أنفسهم وأهليهم .. ففى سيرة ابن هشام : ٢ / ٣٨ : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا الى الله ، ورغب فى الإسلام ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر.

- ورواه فى تاريخ الطبرى : ٢ / ٩٢ ، وأسد الغابه : ١ / ١٧٤ ، وعيون الأثر : ١ / ٢١٧ ، وسيرة ابن كثير : ٢ / ١٩٨ ، ورواه أحمد : ٣ / ٤٦١ ، وقال عنه فى مجمع الزوائد : ٦ / ٤٤ : رواه أحمد والطبرانى بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن اسحق وقد صرح بالسماع. ورواه فى كنز العمال : ١ / ٣٢٨ ، و ٨ / ٢٩

**

ص: ١٣٣

الى هنا يتسق الموضوع .. فقد طلب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الحماية لتبليغ رساله ربه على سنه الله تعالى فى من مضى من الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وحصل عليها من الأنصار ، ونصره الله تعالى وهزم أعداءه من المشركين واليهود ، وشملت دولته شبه الجزيره العربيه واليمن والبحرين وساحل الخليج ، وامتدت الى أطراف الشام ، وصار جيش الإسلام يهدد الروم فى الشام وفلسطين .. وها هو (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى السنه العاشره يودع المسلمين فى حجه الوداع ، ويتلقى سوره المائده ويتلقى فيها آيه تأمره بالتبليغ وتطمئنه بالعصمه من الناس !!

فما عدا مما بدا ، حتى نزل الأمر بالتبليغ فى آخر التبليغ ، وصار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الآن وهو قائد الدوله القويه ، بحاجه الى حمايه وعصمه من الناس !!

إن الباحث ملزمٌ هنا أن يستبعد حاجه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى الحماية الماديه ، لأن الله تعالى أراد أن تجرى بالأسباب الطبيعيه ، ووفرها على أحسن وجه .. فلا بد أن تكون العصمه فى الآيه من نوع الحماية المعنويه.

والباحث ملزمٌ ثانياً ، أن يفسر الأمر بالتبليغ فى الآيه بأنه تبليغٌ موضوع ثقيلٌ على الناس .. وأن يفسر الناس الذين يثقل عليهم ذلك بالمنافقين من المسلمين ، لأنه لم يبق أمرٌ ثقيلٌ على الكفار إلا وبلغه لهم ، كما أنه لم يبلغهم أمراً بارزاً بعد نزول الآيه.

وبهذا لا يبقى معنى للعصمه النازله من عند الله تعالى ، إلا العصمه من الطعن فى نبوته ، إذا بلغهم أن الحكم من بعده فى أهل بيته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فبذلك فقط يتسق معنى الآيه ويكون معناها :

يأيها الرسول : إنما أنت رسول مبلغ ، ولست مسؤولاً عن النتيجة وما يحدث ، بل هو من اختصاص ربك تعالى.

بلغ ما أنزل اليك من ربك : وأمرك به جبرئيل فى على ، وحاولت تبليغه مرات فى حجه الوداع ، فشوش المنافقون عليك.

وإن لم تفعل فما بلغت رسالته : ولم تكمل إقامة الحجة لربك ، لأن ولايه عترتك ليست أمراً شخصياً يخصك ، وإن ظنه المنافقون كذلك ، بل هي جزء لا يتجزأ من هذه الرسالة الخاتمه الموحده ، وإذا انتفى الجزء انتفى الكل.

والله يعصمك من الناس : من طعن قريش بنوتك بسبب هذا التبليغ ، وإن كان ثقيلاً عليها .. فسوف يمنعها الله أن ترفض نبوتك بسببه .. وسوف تمر المسأله بسلام ولا- يكون تشويش عليك فى التبليغ ولا- رده .. وبذلك تكون بلغت عن ربك ، وأتممت له الحجه على أمتك .. ولكن علياً سوف يحتاج الى قتالها على تأويل القرآن كما قاتلتها أنت على تنزيله !

إن الله لا يهدى القوم الكافرين : الذين يظلمون عترتك من بعدك ، ويظلمون الأمة بذلك ، ويبدلون نعمه الله كفرةً ، ويحلون الأمة دار البوار !

* *

ص: ١٣٥

البحث الخامس: قريش هي السبب في حوجه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الى عصمه إضافيه

اشاره

تدل الآيه الكريمه والنصوص العديده على أن تبليغ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لرساله ربه في عترته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كان من شأنه أن يحدث زلزاله في الأمم وتهديداً لنبوته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)!

فما هو السبب ، وما هي الظروف التي كانت قائمه ؟!

إن مصدر الخطر على ترتيب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأمر الخلافه من بعده ، كان محصوراً في قريش وحدها .. فلا قبائل العرب غير قريش ، ولا اليهود ، ولا النصارى .. يستطيعون التدخل في هذا الموضوع الداخلي وإعطاء الرأي فيه ، فضلاً عن عرقله تبليغه أو تنفيذه !

والظاهر أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان آيساً من إمكانيه تنفيذ هذا الموضوع ، بدليل أنه كان يخشى ظهور الرده من مجرد تبليغه بشكل صريح ورسومي !!

والسبب في ذلك طبيعه قريش وتركيبها القبليه !

قريش منجم الفراعنه

زعماء قريش الذين واجهوا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - إذا صحت أنسابهم الى إسماعيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - فإنهم يكونون ذريه إسماعيل الفاسده ، وقد جمعوا بين صفات اليهود المعقده من أبناء عمهم إسحاق ، وبين غطرسه رؤساء القبائل الصحراويه الخشنه !

ص: ١٣٧

وقريش ، باستثناء بنى هاشم والقليل القليل من غيرهم ، منجماً للتكبير ! فقد حكم الله سبحانه على زعمائها بأنهم فراعنه تماماً ، بالجمع لا- بالمفرد ، فقال تعالى : إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولاً. فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً. المزمّل - ١٥ - ١٦

وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن عدد منهم لما وقف على قتلى بدر :

جزاكم الله من عصابه شراً! لقد كذبتومنى صادقاً وخونتومنى أميناً.

ثم التفت الى أبى جهل بن هشام ، فقال : إن هذا أعتى على الله من فرعون ! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحّد الله ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا بالللات والعزى !!

(حليه الأبرار : ١ / ١٢٧ ، أمالى الطوسى : ١ / ٣١٦ ، وعنه البحار : ١٩ / ٢٧٢ ح ١١ وكذا فى مجمع الزوائد : ٦ / ٩١).

- وروى ابن هشام فى : ١ / ٢٠٧ قول أبى جهل :

تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبىّ يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ! انتهى. ورواه فى عيون الأثر : ١ / ١٤٦ ، وابن كثير فى سيرته : ١ / ٥٠٦.

- وفى تفسير القمى : ١ / ٢٧٦

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لقريش : إن الله بعثنى أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأجرّ الملك اليكم ، فأجيبونى الى ما أدعوكم اليه تملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، وتكونوا ملوكاً فى الجنة. فقال أبو جهل : اللهم إن كان هذا الذى يقوله محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو آتنا بعذاب أليم ، حسداً لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ثم قال : كنا وبنو هاشم كفرسى رهان ، نحمل إذا حملوا ، ونطعن إذا طعنوا ، ونوقد إذا أوقدوا ، فلما استوى بنا وبهم الركب ، قال قائل منهم : منا نبى ! لا نرضى بذلك أن يكون فى بنى هاشم ، ولا يكون فى بنى مخزوم !!

ص: ١٣٨

- وقال الأبيهي في المستطرف : ٥٨ / ١

قال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم أمراً ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : اللهم إن كان هذا الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فاهدنا إليه .

- وقال البياضى فى الصراط المستقيم : ٤٩ / ٣

قال معاوية : فضل الله قريشاً بثلاث : وأنذر عشيرتك الأقربين ، ونحن الأقربون . وإنه لذكرٌ لك ولقومك ، ونحن قومه . لإيلاف قريش ، ونحن قريش .

فقال رجلٌ أنصارى : على رسلك يا معاوية ، قال الله : وكذب به قومك ، وأنت من قومه . إذا قومك عنه يصدون ، وأنت من قومه . إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، وأنت من قومه !! فهذه ثلاثٌ بثلاث ، ولو زدتنا لزدناك !! فأفهمه . انتهى .

وفرعون وقومه عندما أخذهم الله بالسنين ، طلبوا من موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن يدعو لهم ربه .. ولكن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) دعا ربه على قريش فأخذهم الله بالسنين ، وأصيبوا بالفقر والقحط ، حتى أكلوا العلهز .. وما استكانوا لربهم وما يتضرعون !!

- قال الحاكم فى المستدرک : ٣٩٤ / ٢

عن ابن عباس قال : جاء أبو سفيان الى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال : يا محمد أنشدك الله والرحم ، قد أكلنا العلهز ! يعنى الوبر والدم ، فأنزل الله عز وجل : ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون . هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . انتهى .

ولكن أتباع الخلافة الأموية لا يعجبهم هذا الحديث ، ولا يفسرون به الآيه ، ويقولون إن القرشيين خضعوا لربهم وتضرعوا ، ودعا لهم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !! فانظرالى ما قاله ابن كثير فى البدايه والنهايه : ١٠١ / ٦ .

ص : ١٣٩

لما دعا على قريش حين استعصت أن يسلم الله عليها سبعا كسبع يوسف ، فأصابتهم سنة حصدت كل شيء ، حتى أكلوا العظام والكلاب والعلهز. ثم أتى أبو سفيان يشفع عنده في أن يدعو الله لهم ، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم !! انتهى.

ومشكله ابن كثير أنه يحب رائحه أبي سفيان ، وإلا فهو مؤلف في السيره ، يعرف أن مجيء أبي سفيان كان بعد أن أشفق النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على حاله قريش ، وأرسل اليهم بأحمال من المواد الغذائية وبعض الأموال ، لعلهم يستكينوا لله تعالى ويؤمنوا به وبرسوله ، فاغتنموا لفته القلب النبوي الرحيم ، وبعثوا أبا سفيان بمشروع (صلح) مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من نوع مشاريع السلام الإسرائيلي في عصرنا ، فرفضه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وذهب أبو سفيان الى علي وفاطمة (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) يرجوهما التوسط الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فلم يقبلا- ، وعرض عليهم أن يكون هذا (الصلح) باسم الحسن والحسين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) حتى يكون فخراً لهما في العرب ، فقالا : إنا لا نجير أحداً على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!

- قال في معجم البلدان : ٣ / ٤٥٨

والعهز : دم القراد والوبر ، يلبك ويشوى ويؤكل في الجذب ! وقال آخرون : العلهز دم يابس يدق مع أوبار الإبل في المجاعات. وأنشد بعضهم :

وإن قرى قحطان قرفٌ وعلهُزٌ * فأقبح بهذا ويح نفسك من فعل!

قبائل قريش

وكانت قريش أكثر من عشرين قبيلة منها :

بنو هاشم بن عبد مناف

بنو أمية بن عبد شمس

بنو عبد الدار بن قصي

بنو مخزوم بن يقظه بن مره

بنو زهره بن كلاب

بنو أسد بن عبد العزى

ص : ١٤٠

بنو الحارث بن فهر بن مالك

بنو عامر بن لؤى

بنو سهم بن عمرو

بنو جمح بن عمرو

بنو أنمار بن بغيض

بنو تيم بن مره بن كعب

بنو عدى بن كعب ... الخ.

ولكن الفعل والتأثير كان للقبائل المهمه ، والزعماء المهمين ، وهم بضع قبائل ، والباقون تبّع لهم الى حد كبير .. فقد وصف ابن هشام اجتماع دار الندوه الذى بحث فيه قاده القبائل (مشكله نبوه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم) فقال فى ٢ / ٣٣١ : وقد اجتمع فيها أشراف قريش :

من بنى عبد شمس : عتبه بن ربيعه ، وشيبه بن ربيعه ، وأبو سفيان بن حرب.

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدى ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل.

ومن بنى عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كلده.

ومن بنى أسد بن عبد العزى : أبوالبختري بن هشام ، وزمعه بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام.

ومن بنى مخزوم : أبو جهل ابن هشام.

ومن بنى سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج.

ومن بنى جمح : أميه بن خلف.

ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض :

إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً.

قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : إحبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به...الخ.

- وقال فى : ٢ / ٤٨٨ مسمى المنفقين على جيش المشركين فى بدر :

وكان المطعمون من قريش ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عتبه بن ربيعة بن عبد شمس.

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، يعتقان ذلك.

ومن بنى أسد بن عبد العزى : أبى البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد ، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، يعتقان ذلك.

ومن بنى عبد الدار بن قصى : النضر بن الحارث بن كلده بن علقمه بن عبد مناف بن عبد الدار. انتهى.

واليك هذا الترتيب الذى رتبته الخليفة عمر لقبائل قريش ، فى سجل الدوله لتوزيع العطاءات ، فإنه يدل على تركيبه قبائلها ، وتميز بنى هاشم عليهم :

- قال البيهقى فى سننه : ٦ / ٣٦٤ :

عن الشافعى وغيره ، أن عمر (رضى الله عنه) لما دوّن الدواوين قال : إبدأ بنى هاشم ، ثم قال : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم وبنى المطلب ... فوضع الديوان على ذلك ، وأعطاهم عطاء القبيله الواحده.

ثم استوت له عبد شمس ونوفل فى جذم النسب ، فقال : عبد شمس إخوه النبى صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه دون نوفل ، فقدمهم ، ثم دعا بنى نوفل يتلونهم.

ثم استوت له عبد العزى وعبد الدار ، فقال فى بنى أسد بن عبد العزى أصهار النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيهم أنهم من المطيبين ... فقدمهم على بنى عبد الدار ، ثم دعا بنى عبد الدار يتلونهم.

ص : ١٤٢

ثم انفردت له زهره فدعاها تلو عبد الدار.

ثم استوت له تيمم ومخزوم ، فقال فى بنى تيمم منهم من حلف الفضول والمطيين وفيهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذكر سابقه ، وقيل ذكر صهراً فقدمهم على مخزوم.

ثم دعا مخزوم يتلونهم.

ثم استوت له سهم وجمح وعدى بن كعب ، فقيل له إبدأ بعدى فقال بل أقر نفسى حيث كنت ، فإن الاسلام دخل وأمرنا وأمر بنى سهم واحد ، ولكن انظروا بنى جمح وسهم ، فقيل قدم بنى جمح.

ثم دعا بنى سهم ، وكان ديوان عدى وسهم مختلطاً كالدعوه الواحده ، فلما خلصت اليه دعوته كبر تكبيره عاليه ، ثم قال : الحمد لله الذى أوصل الى حظى من رسوله.

ثم دعا بنى عامر بن لوى ، قال الشافعى : فقال بعضهم إن أبا عبيده بن عبد الله بن الجراح الفهرى لما رأى من تقدم عليه قال : أكل هؤلاء تدعو أمامى؟!

فقال : يا أبا عبيده ، إصبر كما صبرت أو كلم قومك فمن قدمك منهم على نفسه لم أمنعه ، فأما أنا وبنو عدى فنقدمك إن أحببت على أنفسنا.

قال فقدم معاويه بعد بنى الحارث بن فهر ، فصل بهم بين بنى عبد مناف وأسد بن عبد العزى.

وشجر بين بنى سهم وعدى شىء فى زمان المهدي فافترقوا ، فأمر المهدي بنى عدى فقدموا على سهم وجمح ، للسابقه فيهم.

**

وقد اعترف الجميع بأن فرع هاشم كانوا متميزين على بقية الفروع فى فكرهم وسلوكهم ، متفوقين فى فعاليتهم وقيمهم .. وأن جمهور القبائل والملوك كانوا

ص: ١٤٣

يحترمونها احتراماً خاصاً .. حتى حسدهم زعماء قريش ، وتحالفوا ضدهم من أيام هاشم وعبد المطلب .

فقد رتب هاشم (رحله الصيف) الى الشام وفلسطين ومصر لقبائل قريش كلها ، فسافر في الصحارى والدول ، وفاوض رؤساء القبائل ، والملوك ، الذين تمر في مناطقهم قوافل قريش ، وعقد معهم جميعاً معاهداتٍ بعدم الغارة على قوافل قريش وضمان سلامتها .

وقد فرحت قبائل قريش بهذا الإنجاز ، وبادرت الى الإستفاده منه ، ولكنها حسدت هاشماً ، وتمنى زعماءؤها لو أن ذلك تم على يدهم ، وكان فخره لهم .

وقد توفي هاشم مبكراً فى إحدى سفراته فى أرض غزه ، فى ظروف من حق الباحث أن يشكك فيها !

ولكن بيت هاشم لم ينطفئ بعده ، فسرعان مظهر ولده عبد المطلب ، وساد فى قومه ، وواصل ماثر أبيه ، فرتب لقريش رحله الشتاء الى اليمن ، وعقد معاهداتٍ لحمايه قوافلها مع كل القبائل التى تمر عليها ومع ملك اليمن ، وفاز بفخرها كما فاز أبوه بفخر رحله الصيف .

**

وعلى الصعيد المعنوى ، كانت قبائل قريش ترى أن بنى هاشم وعبد المطلب يباهون دائماً بانتمائهم الى إسماعيل ، واتباعهم لمله ابراهيم ، كأنهم وحدهم أبناء إسماعيل و ابراهيم (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) .

وتفاقم الأمر عندما أخذ عبد المطلب يدعى الإلهام عن طريق الرؤيا الصادقه ، وأخبرهم بأن الله تعالى أمره بحفر زمزم التى جفت وانقرضت من قديم ، فحفرها ونبع ماؤها بإذن الله تعالى ، ووجد فيها غزالين من ذهب ، فزين بذهبهما باب الكعبه ففاز بمأثره جديده وصار - بسبب شحه الماء فى مكه - ساقى الحرم والحجيج !

ص: ١٤٤

ثم طمأن الناس عند غزو الحبشه للكعبه ، بأن الجيش لن يصل اليها ، وأن الله تعالى سيتولى دفعهم ، فصدقت نبوءته ، وأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجاره من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول.

ثم وضع عبد المطلب للناس مراسم وسنناً ، كأنه نبي أو ممهّد لنبي ، فجعل الطواف سبغاً وكان بعض العرب يطوفون بالبیت عريانين لأن ثيابهم ليست حلالاً ، فحرم عبد المطلب ذلك. ونهى عن قتل المؤؤوده. وأوجب الوفاء بالندى ، وتعظيم الأشهر الحرم. وحرم الخمر. وحرم الزنا ووضع الحد عليه ، ونفى البغايا ذوات الرايات الى خارج مكه. وحرم نكاح المحارم. وأوجب قطع يد السارق. وشدّد على القتل ، وجعل ديته منه من الإبل.

وقد عظمت مكانه عبد المطلب فى قريش وفى قبائل العرب ، وكان زعماء قريش يأكلهم الحسد منه ! حتى جروه مرتين الى المنافره والإحتكام الى الكهان فنصره الله عليهم بكرامه جديده ، وتعاضمت مكانته أكثر !

ولعل أكثر ما أثار زعماء قريش فى آخر أيام عبد المطلب ، أنه ادعى أنه مثل جده ابراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، ونذر أن يذبح أحد أولاده قرباناً لرب الكعبه .. الخ.

وما أن استراح زعماء قريش من عبد المطلب ، حتى ظهر ولده أبو طالب وساد فى قومه وفى قريش والعرب ، وأخذ مكانه أبيه وجده ، وواصل سيره أبيه عبد المطلب ومقولاته.

وفى أيام أبى طالب وقعت المصيبه على زعماء قريش عندما ادعى ابن أخيه محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) النبوه ، وطلب منهم الإيمان به وإطاعته !

وزاد من خوفهم أن عدداً من بنى هاشم وبنى المطلب آمنوا بنبوته ، وأعلن عمه أبو طالب حمايته لابن أخيه النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليبلغ رساله ربه بكامل حريته ، وهدد قريشاً بالحرب إن هى مست منه شعره ، ووقف فى وجه مؤامراتها ، وأطلق قصائده فى

فضح زعماءها فسارت بشعره الركبان يمدح فيه محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ويهجو زعماء قريش حتى أنه سمى زعيم مخزوم
أبا الحكم (أحيمق مخزوم) كما سماه ابن أخيه محمد (أبا جهل) !!

ونشط الزعماء القرشيون في مقاومه النبوه بأنواع الإغراءات والتهديدات لأبى طالب وابن أخيه محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ..
ففسلوا !

ثم اتخذوا قراراً باضطهاد المسلمين الذين تطالهم أيديهم ، فهرب أكثرهم الى الحبشه .. وفسل زعماء قريش !

ثم اتخذوا قراراً بالإجماع وضموا اليهم بنى كنانه ، بغزل كل بنى هاشم ومقاطعتهم مقاطعه تامه شامله ، وحصروهم فى شعبهم
ثلاث سنوات أو أربع .. فأفشل الله محاصرتهم بمعجزه !

وما أن فقد بنو هاشم رئيسهم أبا طالب ، حتى اتحد زعماء قريش قراراً بالإجماع بقتل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، الذى بقى
بزعمهم بلا حام ولا ناصر .. فأفشل الله كيدهم ونقل رسوله الى المدينه التى أسلم أكثر أهلها !

وحاول القرشيون أن يضغظوا على أهل المدينه بالإغراء والوعيد ، واليهود .. ولكنهم فسلوا ، لأن المدينه صارت فى يد النبى
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهى تقع على طريق شريانهم التجارى ، وتهدهم بقطع تجارتهم مع الشام ومنطقتها !

فقرروا دخول الحرب مع ابن بنى هاشم ، وحاربوه فى بدر ، وأحد ، والخندق .. ففسلوا !

وحاربوه باليهود ، واستنصروا عليه بالفرس والروم .. ففسلوا !

وما هو إلا أن فاجأهم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى السنه الثامنه من هجرته .. ودخل عليهم عاصمتهم مكه ، بجيش من جنود
الله لا قبل لهم به. فاضطروا أن يعلنوا إلقاء سلاحهم ، والتسليم للنبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

وقام أهل مكة سماطين ينظرون الى دخول رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والى جيشه ..

وتقدم برايه الفتح بين يديه شابُّ أنصارى من قبيله الخزرج اليمانيه ، هو عبد الله بن رواحه ، وهو يقول للفراعنه :

خُلُّوا بنى الكفار عن سبيله

فاليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مَقِيلِهِ

ويذهل الخليل عن خليله

تالله لا يحكم فينا ابن الدعى (٢)

فقال عمر بن الخطاب : يا بن رواحه ، أفى حرم الله وبين يدي رسول الله ، تقول الشعر !!

فقال له رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : مه يا عمر ، فوالذى نفسى بيده ، لكلامه هذا أشد عليهم من وقع النبيل (!) البيهقى

فى سننه : ٢٢٨ / ١٠ ، ونحوه الترمذى : ٢١٧ / ٤ ، والذهبى فى سير أعلام النبلاء : ٢٣٥ / ١)

فعمر يريد أن يخفف على زعماء قريش وقع هزيمتهم ، ولا يتحداهم فى عاصمتهم .. ولا ننسى أن عمر من قبيله عدى الصغيره ، وأنه نشأ على احترام زعماء قريش وإكبارهم .

ولكن الرؤيه النبويه أن هؤلاء الفراعنه لا يفهمون إلا لغه السيوف والسهام ، وأن عمل عبد الله بن رواحه عملٌ صحيحٌ ، وقيمته عاليه عند الله تعالى ، لأنه أشد على أعداء الله من وقع النبيل !!

**

وأعلن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الأمان لقريش ، وجمع زعماءهم فى المسجد الحرام وسيوف جنود الله فوق رؤوسهم .. وشرح لهم تكبرهم وتجبرهم وتكذيبهم لآيات الله ومعجزاته ، وعداءهم لله ورسوله ، واضطهادهم لبنى هاشم والمسلمين ، وحروبهم ومكائدهم ضد الإسلام ورسوله ..

ص: ١٤٧

- قال الطبري في تاريخه : ٣٣٧ / ٢ :

عن قتاده السدوسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ثم قال :

لا إله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده.

ألا كل مأثره أو دم أو مال يدعى ، فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانه البيت وسقايه الحاج ...

يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوه الجاهليه وتعظمها بالآباء. الناس من آدم وآدم خلق من تراب. « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .. الآية.

يا معشر قريش ويا أهل مكة : ماترون أنى فاعل بكم !؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم.

ثم قال : إذهبوا فأنتم الطلقاء.

فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوةً ، وكانوا له فيئاً ، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء. انتهى.

لقد خيرهم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بين إعلان إسلامهم أو القتل : فأعلنوا إسلامهم ، فقال لهم : إذهبوا فأنتم الطلقاء ، وذلك يعنى أنه من عليهم بحياتهم ، مع أنهم يستحقون أن يتخذهم عبيداً ، أو يقتلهم !!

ويعنى أن إعلان إسلامهم الشكلى ، لم يرفع جواز استرقاقهم أو قتلهم !

**

ومما صادفته فى تصفحى ، ما ارتكبه الشيخ ناصر الدين الألبانى من تعصبٍ مفضوحٍ للقرشيين ، حيث ضعف هذا الحديث ! فقال فى سلسله أحاديثه الضعيفه

ص : ١٤٨

٣ / ٣٠٧ برقم ١١٦٣ : ضعيف. رواه ابن إسحاق فى السيره ٣١ / ٤ - ٣٢ ، وعنه الطبرى فى التاريخ ٣ / ١٢٠ ، ونقله الحافظ ابن كثير فى البدايه والنهائيه ٣٠٠ / ٤ - ٣٠١ ، ساكتاً عليه. وهذا سندٌ ضعيف مرسل ، لأن شيخ ابن إسحاق فيه لم يسمِّ ، فهو مجهول. ثم هو ليس صحابياً ، لأن ابن إسحاق لم يدرك أحداً من الصحابه ، بل هو يروى عن التابعين وأقرانه ، فهو مرسل ، أو معضل. انتهى.

وكان هذا المحدث لم يطلع على وجود هذا الحديث ومؤيداته فى المصادر الأخرى ، ولم ير المحدثين والفقهاء وهم يرسلونه إرسال المسلمات ..

وما أدري هل هو جهلٌ بالتاريخ والحديث الى هذا الحد .. أم حُبُّ للقرشيين ومحاولةً لتخليصهم من صفه الرق الشرعيه للرسول وآله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟!

فإن مسأله الطلقاء ثابتة مشهوره عند جميع الفرق ، واسم (الطلاق) كالعلم لأكثر قریش ، وهو كثيرٌ فى مصادر الحديث ، وقد دخلت أحكامه فى فقه المذاهب.

- فقد روى البخارى فى صحيحه : ١٠٥ / ٥ - ١٠٦

قال لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشره آلاف والطلاق ، فأدبروا ...

- وفى مسلم : ٣ / ١٠٦ : ومعه الطلقاء فأدبروا عنه حتى بقى وحده !!

ونحوه فى : ١٩٦ / ٥ ونحوه فى مسند أحمد : ٣ / ١٩٠ و ٢٧٩

والصحيح أنه لم يثبت معه إلا بنو هاشم.

- وفى مسند أحمد : ٤ / ٣٦٣ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض ، والطلاق من قریش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض ، الى يوم القيامة.

وقد صححه الحاكم فى المستدرک : ٤ / ٨٠ ، وقال عنه فى مجمع الزوائد : ١٠ / ١٥ :

رواه أحمد والطبرانى بأسانيد ، وأحد أسانيد الطبرانى رجاله رجال الصحيح ، وقد جوده (رضى الله عنه) وعنا ، فإنه رواه عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن بن هلال العبسى ، عن جرير وموسى بن عبد الله بن هلال العبسى.

ص : ١٤٩

- وقال الشافعي في كتاب الأم : ٣٨٢ / ٧

قال الأوزاعي : فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوه ، فخلى بين المهاجرين وأرضهم ودورهم بمكة ، ولم يجعلها فيئاً .

قال أبو يوسف (رحمه الله) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عن مكة وأهلها وقال :

من أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ونهى عن القتل إلا - نفرأ قد سماهم ، إلا أن يقاتل أحداً فيقتل ، وقال لهم حين اجتمعوا في المسجد : ما ترون أنى صائغ بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : إذهبوا فأنتم الطلقاء . ولم يجعل شيئاً قليلاً ولا كثيراً من متاعهم فيئاً . وقد أخبرتك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في هذا كغيره ، فهذا من ذلك ، وتفهم فيما أتاك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن لذلك وجوهاً ومعاني . انتهى .

وراجع أيضاً مغنى ابن قدامة : ٣٢١ / ٧ ، ومبسوط السرخسى : ٣٩ / ١٠ ، ومسند أحمد : ٢٧٩ / ٣ ، وسنن البيهقي : ٣٠٦ / ٦ ، و : ٢٦٦ / ٨ و : ١١٨ / ٩ ، وكنز العمال : ٨٦ / ١٢ .

- وفي كنز العمال : ٧٣٥ / ٥ : قال لهم عمر : إن هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلقاء ، فإن اختلفتم فلا تظنوا عبد الله بن أبي ربيعة عنكم غافلاً - ابن سعد . انتهى .

وكذلك الأمر في مصادرنا :

- ففي نهج البلاغه شرح الشيخ محمد عبده : ٣٠ / ٣ في جواب على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لمعاويه :

وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلانٌ وفلانٌ ، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله ، وإن نقص لم تلحقك ثلمته .

وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟! وما للطلاق وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين الأولين ، وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم .

هيات ، لقد حنَّ قدحٌ ليس منها ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها .

ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك ، وتعرف قصور ذرعك ، وتتأخر حيث أحرک

ص : ١٥٠

القدر ، فما عليك غلبه المغلوب ، ولا لك ظفر الظافر .. وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد.

- وفي الكافي : ٥١٢ / ٣

من أسلم طوعاً تركت أرضه في يده ... وما أخذ بالسيف فذلك الى الإمام يقبله بالذى يرى كما صنع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بخير ... وقال : إن أهل الطائف أسلموا وجعلوا عليهم العشر ونصف العشر ، وإن أهل مكة دخلها رسول الله ٩ عنوة فكانوا أسراء في يده ، فأعتقهم وقال : إذهبوا فأنتم الطلقاء.

قريش بعد فتح مكة

ماذا فعلت قريش بعد أن اضطر بقيه فراعنتها وألوف الطلقاء من أتباعهم الى الدخول في الإسلام؟؟

من الطبيعي أن مشاعر الغيظ والكبرياء القرشى بقيت محتدمة في قلوب أكثرهم إن لم نقل كلهم .. ولكن في المقابل ظهر فيهم منطق يقول : إن دولة محمد دولتنا .. فمحمد أخ كريم ، وابن أخ كريم ، ودولته دولة قريش ، وعزه عزها وفخره فخرها ، فهو مهما كان ابن قريش الرحيم ، ودولته أوسع من دولة قريش وأقوى ، والمجال أمام زعمائها مفتوح من داخل هذه الدولة ، فلماذا نحاربها ، ولماذا نتركها بأيدي الغرباء من الأوس والخزرج اليمانيين !.

أما مسألة من يرث دولة محمد بعده ، فهي مسألة قابلة للعلاج ، وهي على كل حال مسألة قرشية داخلية !!

من البديهي عند الباحث أن يفهم أن قريشاً وجهت جهودها لمرحلة ما بعد محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأن الهدف الأهم عندها كان : منع محمد أن يرتب الأمر من بعده لبني هاشم ، ويجمع لهم بين النبوه والخلافه على حد تعبير قريش !

فالنبوه لبني هاشم ، ولكن خلافه محمد يجب أن تكون لقريش غير بني هاشم !

ص : ١٥١

لكن رغم وجود هذا المنطق ، فإن النصوص واعترافات بعض زعمائهم تدل على أنهم كانوا يعملون على كل الجبهات الممكنه !
وأن أكثريتهم كانوا يائسين من أن يشركهم محمد في حكم دولته ، لأنه يعمل بجهد لتركيز حكم عترته من بعده ..

لذلك اتجه تفكيرهم بعد فتح مكة الى اغتيال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. وسرعان ما حاولوا تنفيذ ذلك في حنين !!..

إن فراعنه قريش كفراعنه اليهود أبناء عمهم ، فهم لا يعرفون الوفاء ، بل كأنهم إذا لم يغدروا بمن عفا عنهم وأحسن اليهم ،
يصابون بالصداع !!

لقد اعلنوا إسلامهم ، وادعوا أنهم ذهبوا مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليساعدوه في حربه مع قبيلتي هوازن وغطفان ، وكان
عدد جيشهم ألفين ، وعدد جيش النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذى فتح مكة عشره آلاف ، وعندما التقوا بهوازن في حنين
انهزموا من أول رشق سهام ، وسبوا الهزيمة في صفوف المسلمين فانهزموا جميعاً ، كما حدث في أحد !

وثبت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ومعه بنو هاشم فقط ، كالعاده ، وقاتلوا بشده مع مئة رجعوا اليهم مئة من الفارين حتى ردوا
الحملة ، ثم رجع المسلمون الفارون .. وكتب الله النصر.

وفى أثناء هزيمة المسلمين ، قامت قريش بعده محاولات لقتل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

نكتفى منها بذكر ما نقله زعيم بنى عبد الدار النضير بن الحارث ، الذى سيأتى ذكره فى تفسير الآيه الثالثه ! ونقله عنه محب له
ولقريش ولبنى أميه هو ابن كثير فقال فى سيرته : ٣ / ٦٩١ :

كان النضير بن الحارث بن كلده من أجمل الناس ، فكان يقول : الحمد لله الذى من علينا بالإسلام ، ومن علينا بمحمد صلى الله
عليه وسلم ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الإخوه وبنو العم.

ثم ذكر عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج مع قومه من قريش الى حنين ، وهم على دينهم بعد ، قال : ونحن نريد إن
كانت دائره على محمد أن نغير عليه ، فلم يمكننا ذلك.

فلما صار بالجعرانه فوالله إني لعلی ما أنا علیه ، إن شعرت إلا برسول الله صلى الله علیه وسلم فقال : أنضیر ؟

قلت : لبيك.

قال : هل لك الى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه ؟

قال : فأقبلت إليه سريعاً.

فقال : قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع !

قلت : قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

فقال رسول الله صلى الله علیه وسلم : اللهم زده ثباتاً.

قال النضير : فوالذي بعثه بالحق لكأن قلبي حجرٌ ثباتاً في الدين ، وتبصره بالحق. فقال رسول الله صلى الله علیه وسلم : الحمد لله الذي هداه. انتهى.

وأنت تلاحظ أن هذه الكلام يتضمن إقراراً من هذا الزعيم القرشي على نفسه ، وإقرار الإنسان على نفسه حجه .. وأنه يتضمن ادعاء منه بإيمانه بالله تعالى ، فقد ذكر أنه تشهده الشهاده الأولى فقط ، ولم يذكر الثانيه !

ولكن الدعوى لا تثبت بادعاء صاحبها بدون شهاده غيره !

ومهما يكن فقد اعترف زعيم بنى عبد الدار أصحاب رايه قريش التي يصدر حاملها الأوامر لألنقى مسلح في حنين ، بأن إعلان إسلامهم في مكه كان كاذباً ، وبأنه كل زعماء قريش كانوا متفقين على قتل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأنهم حاولوا محاولاتٍ في حنين ولم يتوقفوا .. فقد أحبط الله تعالى خططهم ، وكشف لنيبه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نواياهم !!

بل تدل أحاديث السيره ، على أن زعماء قريش لم يملكوا أنفسهم عند انهزام المسلمين في حنين في أول الأمر ، فأظهروا كفرهم الراسخ ، وفضحوا أنفسهم !

- ففي سيره ابن هشام : ٤ / ٤٦

قال ابن اسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله علیه عليه

ص : ١٥٣

وسلم من جفاه أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجالٌ منهم بما فى أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفیان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لَمَعَهُ فى كسائته ! وصرخ جبله بن الحنبل - قال ابن هشام كلده بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشركٌ فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم !

قال ابن اسحاق : وقال شبيه بن عثمان بن أبى طلحة أخو بنى عبد الدار : قلت اليوم أدرك ثارى من محمد ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمداً ، قال :

فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى فلم أطلق ذاك ، وعلمت أنه ممنوعٌ منى !! انتهى.

وهذا آخر من أصحاب رايه جيش قريش المسلمه ، يعترف بأنه فى حين عند الهزيمة أو بعدها (دار) مره أو مراتٍ حول النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليقته !

إن الناظر فى مقومات شخصيات زعماء قريش ، وتفكيرهم واهتماماتهم ، يصل الى أن قناعه بأن عنادهم بلغ حداً أنهم اتخذوا قراراً بأن يكذبوا بكل الآيات والمعجزات التى يأتىهم بها محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ويكفروا بكل القيم والأعراف الإنسانية التى يدعو إليها ويعاملهم بها .. وأن لا يدخلوا فى دينه إلا فى حالتين لا ثالثه لهما :

إذا كان السيف فوق رؤوسهم !

أو صارت دوله محمد وسلطاناه بأيديهم !

لقد حاربوا هذا الدين ونبىه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بكل الوسائل حتى عجزوا وانهمزوا ..

ثم واصلوا تأمرهم ومحاولاتهم اغتيال النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى عجزوا ..

ثم جاؤوا يشترطون الشروط مع النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليأخذوا سهماً من دولته فعجزوا ..

ثم جاؤوا يدعون أنهم أصحاب الحق فى دوله نبىهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأنه من قبائل قريش !!!

- قال فى مناقب آل أبى طالب : ٢ / ٢٣٩

قال الشريف المرتضى فى تنزيه الأنبياء : إن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لما نص على أمير المؤمنين

بالإمامه فى ابتداء الأمر ، جاءه قوم من قريش وقالوا له : يا رسول الله إن الناس قريبا عهد بالإسلام لا يرضون أن تكون النبوه فيك والإمامه فى ابن عمك على بن أبى طالب .. فلو عدلت به الى غيره ، لكان أولى !

فقال لهم النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : ما فعلت ذلك لرأى فأتخير فيه ، لكن الله تعالى أمرنى به وفرضه علىّ .

فقالوا له : فإذا لم تفعل ذلك مخافه الخلاف على ربك ، فأشرك معه فى الخلافه رجلاً من قريش تركن الناس اليه ، لىتم لك أمرك ، ولا تخالف الناس عليك. فنزلت الآيه : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين .

عبد العظيم الحسنى عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى خبر : قال رجل من بنى عدى اجتمعت الى قريش ، فأتىنا النبى فقالوا : يا رسول الله إنا تركنا عباده الأوثان واتبعناك ، فأشركنا فى ولايه على فنكون شركاء ، فهبط جبرئيل على النبى فقال : يا محمد لئن أشركت ليحبطن عملك .. الآيه. انتهى. (والحديث الأول فى تنزيه الأنبياء / ١٦٧)

* *

قريش تتمحور حول زعامه سهيل بن عمرو

رغم خيانات زعماء قريش بعد فتح مکه وتآمرهم ، فقد حاول الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يستقطبهم ، فأكرمهم وتألفهم وأعطاهم أكثر غنائم المعركة ، وأطمعهم بالمستقبل إن هم أسلموا وحسن إسلامهم .. الخ.

لقد أمر الله رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يقاوم عُداهم بنور الحلم ، وظلماتهم بنور الإحسان !!

وفى هذه الفتره تراجع زعامه أبى سفيان ، ولم يبق منها إلا (أمجاد) حربه مع محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فشخصيه أبى سفيان تصلح للزعامه فى الحرب فقط وفى التجاره ، ولا تصلح فى السلم للزعامه والعمل السياسى ، لذلك تراه بعد أن انكسر فى فتح مکه ذهب الى المدينه وطلب منصباً من محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فعينه جابياً للزكاه من بعض القبائل !!

ص: ١٥٥

أما الزعيم الذى يجيد العمل لمصلحه قريش المنكسره عسكرياً .. فقد وجدته قريش فى سهيل بن عمرو ، العقل السياسى المفكر والمخطط ..

وسرعان ما صار سهيل محوراً لقريش ، ووارثاً لقياده زعمائها الذين قتلهم محمد أو أماتهم رب محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وسهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، هو فى نظر قريش : قرشى أصيل. ولئن كان من بنى عامر بن لؤى ، الذين هم أقل درجه من بنى كعب بن لؤى (سيره ابن هشام : ٢ / ٤٨٩) ، ولكنه صاحب تاريخ مع محمد ، فهو من الزعماء الذين فاضوا أبا طالب بشأنه.

وهو من أعضاء دار الندوه الذين قرروا مقاطعه بنى هاشم.

وهو من الذين ائتمروا على قتله عندما ذهب الى الطائف ، وقرروا نفيه من مكه ، وهددوه بالقتل إن هو دخلها ، ورفضوا أن يجيروه حتى يستطيع الدخول الى مكه وتبليغ رساله ربه .. فى تاريخ الطبرى : ٢ / ٨٢ : أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال للأخنس بن شريق : ائت سهيل بن عمرو فقل له إن محمداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلغ رسالات ربي ؟ فأتاه فقال له ذلك ، قال فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب ! انتهى.

وهو من الزعماء الذين واصلوا العمل لقتل محمد بعد وفاه أبى طالب ، حتى أنجاه الله منهم بالهجره.

وهو أحد الذين حبسوا المسلمين وعذبوهم على إسلامهم ، ومن المعذبين على يده ولده أبو جندل.

وهو أحد قادة المشركين فى بدر ، وأحد أثريائهم الذين كانوا يطعمون الجيش.

وهو أحد الذين كانوا يؤلمون قلب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بفعالياتهم الخبيثه ، فلعنهم الله تعالى وطردهم من رحمته ، وأمر رسوله أن يلعنهم ، ويدعو عليهم فى صلاته.

وهو أحد المنفقين أموالهم على تجهيز الناس لحرب النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى أحد والخندق وغيرهما.

يكنى أبا يزيد ، وكان خطيب قريش وفصيحهم ومن أشرافهم ... وكان قد أسر يوم بدر وتخلص . قام بمكة وحض على النفير ، وقال : يال غالب أثاركون أنتم محمداً والصباه يأخذون غيركم ! من أراد مالاً فهذا مال ، ومن أراد قوه فهذه قوه .

وكان سمحاً جواداً مفوهاً .

وقد قام بمكة خطيباً عند وفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحو من خطبه الصديق بالمدينه فسكنهم !! وعظم الإسلام . انتهى .

وهو الذى انتدبته قريش لمفاوضه محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى الحديبيه ، وقد أجاد المفاوضه وشدد عليه بالشروط ، ولم يقبل أن يكتب فى المعاهده (رسول الله) ووقع الصلح معه نيابه عن كل قريش .

وهو المعروف عند قريش بأنه سياسى حكيم ، أكثر من غيره من فراعنتها .

وهو أخيراً من أئمه الكفر الذين أمر الله رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقتالهم ! وإعلانه الإسلام تحت السيف لا يغير من آيات الله شيئاً ! ففى تفسير الصنعانى : ١ / ٢٤٢ : عن قتاده فى قوله (وقاتلوا أئمه الكفر ...) هو أبو سفيان بن حرب ، وأميه بن خلف ، وعته بن ربيعه ، وأبو جهل ، وسهيل بن عمرو . انتهى .

وقد اختار سهيل بن عمرو البقاء فى مكة بعد فتحها ودخولها تحت حكم النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولم يهاجر الى المدينه كبعض الطلقاء ، ولم يطلب من محمد منصباً ، لأن كبراءه القرشى وتاريخه فى الصراع مع النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يأتين عليه ذلك !!

ولكنه قبل هديه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى حنين وكانت مئه بعير ، بينما كان رفضها فى أيام القحط والسنوات العجاف التى حدثت على قريش بدعاء النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثم أشفق عليهم وأرسل اليهم مساعده ، وكانت أحمالاً من المواد الغذائيه ، فقبلها أكثرهم وكان سهيل ممن رفضوها !

إنه تاريخٌ طويلٌ مشرقٌ عند القرشيين ، وإن كان أسود عند الله تعالى ورسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !! ومن أجل هذا النسب وهذا التاريخ والصفات ، اجتمعت حوله قريش بعد فتح مكة ، وانضوت تحت زعامته !

**

وكان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد عين حاكماً لمكة بعد فتحها ، هو عتاب بن أسيد الأموي وحعل معه أنصارياً ، ولكن قريشاً كانت تفضل عليه سهيلاً ، وتسمع كلامه أكثر منه !

والدليل على ذلك أنه بعد وفاه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ارتدت قريش عن الإسلام ، وخاف حاكمها عتاب أن يقتلوه فاخْتَبَأَ مع أنه قرشي أموي .. وبعد أيام وصلهم خبر يطمئنهم ببيعة أبي بكر التيمي ، وأن أحداً من بنى هاشم لن يحكم بعد محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فاطمأن سهيل بن عمرو ، وخطب في قريش بنفس خطبه أبي بكر في المدينة ، والتي مفادها أنه من كان يعبد محمداً فإن إلهه قد مات ، ونحن لا نعبد محمداً ، بل هو رسولٌ بلغ رسالته ومات ، وهو ابن قريش وسلطانه سلطان قريش ، وقد اختارت قريش حاكماً لنفسها بعده وهو أبو بكر ، فاسمعوا له وأطيعوا.

لقد طمأنهم سهيل بأن الأمر بيد قريش ، وليس بيد بنى هاشم والأنصار اليمانيه الذين (يعبدون) محمداً ، فلماذا الرجوع عن الإسلام !

فأطاعته قريش وانتهى مشروع الرده !

وأصدر سهيل أمره لعتاب الحاكم من قبل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أخرج من مخبئك ، واحكم مكة باسم الزعيم القرشي غير الهاشمي أبي بكر بن أبي قحافه التيمي !

(راجع سيره ابن هشام : ٤ / ١٠٧٩ ، وفيها : فترجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد).

سهيل بن عمرو يحاول الإستقلال !

اقتنعت قريش بعد فتح مكة أن العمل العلني ضد محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) محكوم بالفشل ..

ص: ١٥٨

فركزت جهودها على العمل السياسى المتقن ، والعمل السرى الصامت ، لإبعاد عترته عن الحكم ، وجعله فى قريش ..

ولكن المشكله عندها أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يسير قدماً فى ترتيب الأمر من بعده لعلى .. ومن بعده للحسن والحسين ، أولاد بنته فاطمه .. وقريش لا تطيق علماً ولا أحداً من بنى هاشم .. لذلك قرر قاداتها وفى مقدمتهم سهيل بن عمرو أن يقوموا بأنشطه متعدده ، منها محاوله جريئه مع النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. فقد كتبوا اليه ثم جاؤوه وفداً برئاسة سهيل بن عمرو ، طالبين اليه أن يرد (اليهم) عدداً من أبنائهم وعبيدهم ، الذين تركوا مكه أو مزارعهم فى الطائف ، وهاجروا الى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليتفقهوا فى الدين ، كما تنص الآيه القرآنيه !

قال سهيل للنبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نحن اليوم حلفاؤك ، وقد انتهت الحرب بيننا وتصالحنا ، وأنا الذى وقعت الصلح السابق معك فى الحديبيه !

وهؤلاء أولادنا وعبيدنا هربوا منا وجاؤوك ، ولم يأتوك ليتفقهوا فى الدين كما زعموا ، ثم إن كانت هذه حجتهم فنحن نفقههم فى الدين ، فأرجعهم الينا !!

ومعنى هذا الطلب البسيط من زعيم قريش الجديد : أن قريشاً حتى بعد فتح مكه واضطرارها الى خلع سلاحها وإسلامها تحت السيف .. تريد من النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الاعتراف بأنها وجودٌ سياسىٌ مستقل ، فى مقابل النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ودينه ودولته !!

- روى الترمذى فى : ٢٩٨ / ٥

عن ربعى بن حراش قال : أخبرنا على بن أبى طالب بالرحبه فقال : لما كان يوم الحديبيه خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين ، فقالوا يا رسول الله : خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا ، وليس لهم فقه فى الدين ، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا ، فارددهم إلينا فإن لم يكن لهم فقه فى الدين سنفقههم.

ص: ١٥٩

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش لتنتهن أو ليعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين ، قد امتحن الله قلوبهم على الإيمان ! قالوا من هو يا رسول الله ؟

فقال له أبو بكر : من هو يا رسول الله ؟

وقال عمر : من هو يا رسول الله ؟

قال هو خاصف النعل ، وكان أعطى علياً نعله يخصفها. هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث ربي عن علي .

- وروى أبو داود : ١ / ٦١١ -

عن ربي بن حراش عن علي بن أبي طالب قال : خرج عبدان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني يوم الحديبيه قبل الصلح ، فكتب إليه مواليتهم فقالوا : يا محمد والله ما خرجوا إليك رغبة في دينك ، وإنما خرجوا هرباً من الرق !

فقال ناسٌ : صدقوا يا رسول الله ردهم إليهم !

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا !

وأبى أن يردهم وقال : هم عتقاء الله عز وجل . انتهى .

ولا يغرك ذكر الحديبيه في الحديث ، فهذا من أساليب الرواه القرشيين في التروير فالحادثه وقعت بعد فتح مكة ، ولو كانت قبله لطالب سهيل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالوفاء لهم بشرطهم ، لأنهم شرطوا على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في صلح الحديبيه أن يرد اليهم من يأتيه منهم ، ولا يردون اليه من يأتيهم من المسلمين !

ولو كانت قبل فتح مكة ، لكانت مطالبه بشرطهم ، وما استحقت هذا الغضب النبوي الشديد ، وهو لا يغضب إلا بحق ، ولا يغضب إلا لغضب الله تعالى ، ولا يرضى إلا بما يرضى الله تعالى !

ص : ١٦٠

ولو كانت قبل فتح مكة وقبل (دخول) قريش في الإسلام لما قالوا في مطالبتهم بأولادهم وعبيدهم المهاجرين (سننهم)
فهذا لا يقوله إلا الطلقاء الذين يدعون الإسلام وفقه الإسلام !

كما أن بعض الروايات قد صرحت بأن الحادثة كانت بعد فتح مكة !

- قال الحاكم في المستدرک : ٢ / ١٣٨

عن ربعي بن حراش عن علي ٢ قال : لما افتتح رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مكة ، أتاه ناس من قريش فقالوا : يا محمد إنا
حلفاؤك وقومك ، وإنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة في الإسلام ، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا !

فشاور أبا بكر في أمرهم فقال : صدقوا يا رسول الله !

فقال لعمر ما ترى ؟ فقال مثل قول أبي بكر.

فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : يا معشر قريش ليعثن الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للايمان ، فيضرب رقابكم
على الدين !

فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟

قال : لا .

قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟

قال : لا ، ولكنه خاصف النعل في المسجد ، وقد كان ألقى نعله الى علي يخصفها .. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم
يخرجاه .

وروى نحوه في ٤ / ٢٩٨ ، وصححه على شرط مسلم وفيه (لما افتتح رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مكة أتاه ناس من قريش
... يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاه أو لأبعثن عليكم رجلاً فيضرب أعناقكم على الدين ، ثم قال : أنا ، أو خاصف
النعل ، قال علي : وأنا أخصف نعل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)) انتهى . ورواه في كنز العمال : ١٣ / ١٧٤ ، وقال : (ش
وابن جرير ، ك ، ويحيى بن سعيد في إيضاح الإشكال) .

ص : ١٦١

فى هذه الحادثة الخطيره حقائق مهمه وكبيره :

الأولى : أنهم جاؤوا الى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى المدينه .. وهذا يعنى أنهم بعد فتح مكه وخضوعهم وإعلانهم الإسلام تحت السيف ، وعتق (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وآله لرقابهم ، وما فعلوه فى حرب حنين .. جاؤوا الى (محمد) فى عاصمته يطالبونه بالإعتراف العملى باستقلالهم السياسى .. وهى وقاحه ما فوقها وقاحه !!

٩ وقالوا له (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (يا محمد) كما رأيت فى صحيح الحاكم على شرط مسلم ! وكما فى سنن أبى داود : ١ / ٦١١ ولكن روايه الترمذى جعلتها (يا رسول الله) !

وقد مر ما يدل على أن الحادثة كانت فى المدينه فى مسند أحمد : ٣ / ٨٢

عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج علينا من بعض بيوت نساءه ، قال : فقمنا معه فانقطعت نعله ، فتخلف عليها على يخصفها ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّت ومضينا معه ، ثم قام ينتظره وقمنا معه ، فقال : إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله !! فاستشرفنا وفيينا أبو بكر وعمر فقال : لا-، ولكنه خاصف النعل ! قال فجئنا نبشره قال : وكأنه قد سمعه. انتهى. وقال عنه فى مجمع الزوائد : ٩ / ١٣٣ (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة ، وهو ثقه). انتهى.

الثانيه : أنهم اعتبروا أن فتح مكه (ودخولهم) فى الإسلام لا- يعنى خضوعهم للنبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وذوبانهم فى الأمه الإسلاميه ، بل هو تحالف مع النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ضد أعداء دولته من القبائل التى لم تدخل تحت سيطرتها ، والى حد ما ضد الروم والفرس. فهو تحالف الند للند ، وإن كان تم بفتح مكه بقوه السيف !!

وقد عملوا بزعمهم بهذا التحالف ، فحاربوا معه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى حنين ، فعليه الآن أن يعترف بكيانهم القرشى المستقل ! وقد اختاروا أول مطلب لهم أو علامه على ذلك : أن يعيد هؤلاء الفارين اليه من أبنائهم وعبيدهم ! يعيدهم من دولته الى دولتهم !!

ص: ١٦٢

الثالثة : أن القرشيين الذين هاجروا مع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - ما عدا بنى هاشم - وافقوهم على ذلك ! فهذا أبو بكر بن أبي قحافه التيمي ، وعمر بن الخطاب العدوي يؤيدان مطلب قريش مئة بالمئة !!

وتفاوت الروايات هنا في التصريح في موافقه أبي بكر وعمر على مطلب قريش فبعضها كما رأيت في روايه الحاكم الصحيحه ينص على أن أبا بكر قال (صدقوا يا رسول الله !) وقال عمر مثل قوله : صدقوا يا رسول الله ردهم اليهم !!

وبعضها لا تذكر تصديقهما لمطلب قريش وشهادتهما بأنه حق ، بل تقتصر على سؤالهما إن كانا هما الذين سبيعهما الله ورسوله لتأديب قريش ! كما في روايه الترمذى المتقدمه ، وكما في مستدرک الحاكم : ٣ / ١٢٢ ، وكما في مجمع الزوائد : ٩ / ١٣٤ و : ٥ / ١٨٦ ، وقال (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح).

وقد غير بعض الرواه القرشيين (الأذكاء) اسم الشيخين الى (ناس) رسول الله صلى الله عليه وسلم !! وكذا في كنز العمال : ١٠ / ٤٧٣ وقال الهندي عن مصادره : أبو داود وابن جرير وصححه ، ق ض .

وبعضهم حذفوا اسم أبي بكر وعمر كلياً من الحادثه ! كما رأيت في سنن أبي داود ، وكما في كنز العمال : ١١ / ٦١٣ ، حيث رواه بعده روايات عن أحمد ، وعن مصادر متعدده ، وليس فيه ذكر لأبي بكر وعمر !

الرابعه : يتساءل الباحث ما هي العلاقه التي كانت تربط أبا بكر وعمر بسهيل بن عمرو ، ولماذا أيدا مطلب قريش المفضوح !؟

ويتساءل : مادام النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فهم خطه القرشيين وغضب ورفض مطلبهم وهددهم بالحرب ثانيه ، بل وعدهم بها .. فلماذا استشار أبا بكر وعمر في الموضوع !؟

على أى حال ، إن أقل ما تدل عليه النصوص : أن زعامه قريش كانت متمثله في ذلك الوقت بهؤلاء الأربعة ، الذين جمعتهم هذه الحادثه وهم :

رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وسهيل بن عمرو العامري ، زعيم المشركين بالأمس وزعيم قريش اليوم.

وأبو بكر التيمي وعمر العدوى ، الممثلان لقبيلتين صغيرتين لا وزن لهما في قريش ، ولكن لشخصيتيهما وزناً مهماً لصحبتيهما للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقد أيدا مطلب سهيل !

ولا بد للباحث أن يفترض علاقته واتفاقاً مسبقاً بين وفد قريش وبين الشيخين ، بل يفهم من بعض الروايات أن سهيلاً ووفد قريش نزلوا في المدينة في ضيافته عمر ، ثم جاء وأبو بكر معهم الى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لمساعدتهم على مطلبهم.

الخامسة : تضمن الموقف النبوي من الحادثه أربعة عناصر :

الأول ، الغضب النبوي من تفكير قريش الكافر ووقاحتها ، وقد ذكرته الروايات ولم تصفه بالتفصيل.

الثاني ، يأس النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من أن تصلح قريش ويحسن إسلامها ، بل يأسه من أن تترك قريش تعقيد بني عمها إسحاق وفرعتهم ، وتخضع للحق ، إلا بقوه السيف !!

ففي عدد من روايات الحادثه كما في الحاكم : ٢ / ١٢٥ (فقال : ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا) أي على الإسلام ! وكذا رواه أبو داود : ١ / ٦١١ ، والبيهقي في سننه : ٩ / ٢٢٩ ، وكنز العمال : ١٠ / ٤٧٣ ! وهو تصريح بأنهم لم يسلموا ، ولن يسلموا إلا تحت السيف !!

الثالث ، تهديدهم بسيف الله تعالى ورسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام) الذي ترتعد منه فرائصهم ، لأنهم ذاقوا منه الأمرين ، فقد قتل مجموع المسلمين في حروبهم مع قريش نصف أبطالها ، وقتل على وحده نصفهم أو أكثر !

ونلاحظ هنا أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَتَبَ عن ذلك الشخص الذي سيبعثه الله على قريش فيضرب أعناقهم على الدين ، بأنه أنا أو رجل مني (مجمع الزوائد : ٩ / ١٣٣) ثم سماه عندما سأله أبو بكر وعمر عنه فقال (أنا أو خاصف النعل - كنز العمال : ٧ / ٣٢٦) وغرضه من التكنيه ثم التسميه ، أن لا تتصور قريش أن المسأله بعيده فتطمع في مشروعها !

بل ينبغي أن تحتل أن الأمر قد يصدر غداً الى على بغزو مكة وقتل فراعنه قريش !

وغيره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من تعبير (منى) أن يبين مكانه على (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأن تعلم قريش أنه مؤمن وأنه هاشمي من ذلك الفرع الذي ما زالت تحسده ، وتموت منه غيضاً !!

فلو أنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال لهم : إن علياً سيقا تل قريشاً على تأويل القرآن بعد ربع قرن ، كما قاتلتها أنا على تنزيله بالأمس ، لطمعت قريش وقالت : إذن عندنا فرصه ربع قرن من الزمان ، ولكل حادثٍ حديث !

بل روى في مجمع الزوائد حديثاً قال عنه : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح : أن علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان يعلن في زمان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تهديده لقريش ، ولكل من يفكر بالرده ، بأنه سوف يقاتلهم الى آخر نفس ، وهو عملٌ وقائي بتوجيه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لمنع قريش أن تفكر بالرده ! قال في مجمع الزوائد : ١٣٤ / ٩

وعن ابن عباس أن علياً كان يقول في حياه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول : أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى . والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت . لا والله .. إني لأخوه ، ووليه ، وابن عمه ، ووارثه ، فمن أحق به منى !؟

- وروى في نفس المكان حديثاً آخر ينص على أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هدد قريشاً بعلي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد فتح مكة مباشرة ، قال : وعن عبد الرحمن بن عوف قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة انصرف الى الطائف فحاصرها سبع عشره أو ثمان عشره لم يفتتحها ، ثم أوغل روحه أو غدوه ، ثم نزل ثم هَجَرَ فقال :

يا أيها الناس إني فرطٌ لكم وأوصيكم بعترتي خيراً ، وإن موعدكم الحوض . والذي نفسى بيده ليقموا الصلاه ، وليؤتوا الزكاه ، أو لأبعثن اليهم رجلاً منى ، أو لنفسي ، فليضربن أعناق مقاتليهم ، وليسبين ذراريهم .

قال فرأى الناس أنه أبو بكر أو عمر ، وأخذ بيد على فقال : هذا هو . رواه أبو يعلى وفيه طلحه بن جبر ، وثقه ابن معين في روايه ، وضعفه الجوزجاني ، وبقية رجاله ثقات .

الرابع : أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حكم بكفر أصحاب هذا الطلب ، ولعمري إن مجرد طلبهم كافٍ لإثبات ذلك. ويؤكد الغضب النبوي وقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (ما أراكم تنتهون يا معشر قريش) وقوله بأن الله سيعث عليهم رجلاً يضرب أعناقهم على الدين ، مما يدل على أنهم ليسوا عليه. بل لا يسكتون عنه إلا تحت السيف !!

ولكن الفقهاء يريدون دليلاً أكثر لمسأ ، وقد أعطاهم إياه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فأبى أن يرد عليهم عبيدهم المملوكين ، وأخبرهم أنه أعتقهم فصاروا عتقاء الله تعالى !

فلو كان هؤلاء الطلقاء مسلمين ، وكانت ملكيتهم محترمة ، فكيف يجوز للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يعتدى على ملكيتهم ، وهو أتقى الأتقياء ، وهو القائل : لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه .. والقائل : إن أموالكم ودماءكم عليكم حرام .. الخ.

أثر هذه الحادثة على قريش

الظاهر أن هذه الحادثة كانت آخر محاولات قريش لانتزاع اعتراف النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) باستقلالها السياسي ، ولو بصيغته التحالف معه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، أو بصيغته الحكم الذاتي تحت لواء دولته ! فهل سكتت قريش بعد هذه الحادثة ؟

الذين يقرؤون التاريخ المكتوب بحبر الخلافة القرشية ، والإسلام المفصل بمقاصد روايتها .. يقولون : من المؤكد أن قريشاً تابت بعد هذه الحادثة ، وأسلم زعمائها وأتباعهم وحسن إسلامهم ، وتصدقوا وأعتقوا وحجوا ، وأكثروا من الصوم والحج والصلاة !

ولكن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال (ما أراكم تنتهون يا معشر قريش) !! وطبيعه قريش ، وطينه زعامتها تؤكد أنهم واصلوا العمل على كل الجبهات الممكنة !!

نعم .. لقد رأت قريش أن حديده النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حاميه ، وأن التفكير بالاستقلال السياسي عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تفكير خاطئ ، وأن محمداً لا يقع له بالشنان ، فهو من علياء هاشم وذروه شجعانها ، ومعه ابن عمه قتال قريش ومجندل أبطالها ، ومعه الأوس والخزرج ، الذين تجرؤوا لأول مره في تاريخهم على حرب قريش ..

لقد تراجع عند قريش منطلق الإستقلال السياسى عن محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وتأكد عندها المنطق القائل إن دوله محمد شملت كل المنطقه ، وهى تتحفز لمقارعه الروم والفرس ، وقد وعد محمد المسلمين بذلك وتطلعوا اليه .. فلا معنى لأن تطالبه قريش بحكم مكه ومن أطاعها من قبائل العرب !

إنه لا بد من التأقلم مع الوضع الجديد ، والعمل الجاد بالسياسه وبالعرف المنظم ، لكى ترث قريش كل دوله محمد ! (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

فمحمد من قريش ، وقريش أولى بسطان ابنها ، ولا كلام للأنصار اليمانيه ، ولا لغيرهم من القبائل.

أما مسأله بنى هاشم الذين يسميهم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) العتره والقربى ، وتنزل عليه فيهم آيات القرآن ، ويصدر فيهم الأحاديث ، ويجعل لهم خمس ميزانيه الدوله .. فلا بد من معالجه أمرهم بأى طريقه ممكنه !

نعم .. هذا ما وصلت اليه قريش التى أعتقها النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من القتل والرق !

وهذا ما جازته به فى حياته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

وقد ساعدها عليه من ساعدها من أصحابه !!

الخليفه عمر يشهد بفساد قريش !

- قال الطبرى فى تاريخه : ٣ / ٤٢٦ :

عن الحسن البصرى قال : كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان ، إلا ياذن وأجل ، فشكوه ، فبلغه ، فقام فقال : ألا إنى قد سننت الإسلام سن البعير ، يبدأ فيكون جذعاً ، ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديساً ، ثم بازلاً ، ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان.

ألا فإن الإسلام قد بزل ، ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله مغوياتٍ دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حىّ فلا ، إنى قائمٌ دون شعب الحره ، آخذٌ بحلاقيم قريش

ص: ١٦٧

وحجزها أن يتهافتوا في النار!! انتهى. ورواه في كنز العمال : ١٣ / ٧٥ ، وفي تاريخ المدينة لابن شبة : ٢ / ٧٧٩ ، وفيه (ألا وإنني آخذُ بحلّاقيم قريش عند باب الحره أن يخرجوا على أمه محمد فيكفروهم). انتهى. ونحوه في : ٢ / ٤٠١ .

وهذا الموقف من الخليفة عمر يتضمن عدة أمور ، نكتفي بالإشارة إليها :

فهو أولاً.. ، كلام زعيم لا يشك أحد في ولائه لقريش ، لأنه حمل رايه قريش وأحققتها بخلافه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في مقابل الأنصار وبنى هاشم ، وخاض صراعاتٍ شديده ، حتى خلص الخلفه من عتره النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقدمها على طبقٍ الى قبائل قريش !

وهو ثانياً ، شهادةً منه بحق المهاجرين القرشيين بأنهم أناسٌ مظلون ، يجب أن يحبسوا في المدينة حتى لا يضلوا المسلمين ويخرجوهم من الإسلام !!

وإذا كان حال القرشيين المسلمين المهاجرين هذا ، فما هو حال الطلقاء ؟!

وهو ثالثاً ، يتضمن تصوراً لانتهاة الإسلام في مدهٍ قليله ، وكأن الإسلام دورهً سياسيه تمر على الجزيره والمناطق التي امتد اليها ، ثم تنتهي !

وقد ثبت عن الخليفة عمر أنه كان يرى أنه سوف لا تمر سنين طويله حتى تأخذ الأمم الأخرى مناطق المسلمين بما فيها مكه ، ويهجروا أهلها وتخرّب !!

ولعله اقتنع بهذا الرأي من كعب الأخبار .. وهو بحثٌ خارجٌ عن موضوعنا.

* *

الفصل الثانى: آيه الأمر بالتبليغ

نص الآيه مع سياقها

* وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ويسعون فى الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين .

* ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . منهم أمه مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون .

* يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين .

* قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراه والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، فلا تأس على القوم الكافرين .

* إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.
* لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً ، كلما جاءهم رسولٌ رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون. المائدة
٧٠ - ٦٤

مكان الآيه فى القرآن

إذا قلنا بحجيه السياق القرآنى ، فلا بد أن نأخذ فى تفسير الآيه أمرين :

الأول ، أنها من سوره المائده التى هى آخر سوره نزلت من القرآن.

والثانى ، أنها وقعت فى وسط آيات تتحدث عن أهل الكتاب.

والنتيجه : أن الآيه تقول للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : بلغ ولا تخف أهل الكتاب ، فنحن متكفلون بعصمتك منهم ، فلن يستطيعوا أن يضروك.

ولكن هذا التفسير لا يقبله علماء المسلمين ، لا السنه منهم ولا الشيعة ، لأنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يبلغ اليهود والنصارى فى الشهرين اللذين عاشهما بعد الآيه شيئاً إضافياً بارزاً ولأن خطرهم عليه عند نزولها كان قد زال ، وقد خضعوا لحكمه.

وبذلك يفتح البحث للسؤال عن مكان الآيه ، وهل أن هذا مكانها من الأصل ؟ أم أنها وضعت هنا باجتهاد أحد الصحابه ؟

نحن لا نقبل القول بوقوع تحريف فى كتاب الله تعالى ، معاذ الله ، لكن ورد أن الصحابه بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد اجتهدوا فى وضع آيات فى سور من القرآن .. والظاهر أن وضع هذه الآيه هنا من اجتهاداتهم ، أو من المصادفات.

أقوال العلماء السنيين

اختلف المفسرون والفقهاء السنيين فى سبب نزول الآيه وفى تفسيرها ، على أقوال عديده ، أهمها سبعة أقوال ، أحدها موافق لتفسير أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وستة مخالفه .. ونورد فيما يلى الأقوال المخالفه مع مناقشاتها :

ص: ١٧٠

أنها نزلت فى أول البعثه ، حيث خاف النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على نفسه فامتنع عن تبليغ الاسلام ، أو تباطأ ! فهدده الله تعالى وطمأنه .. فقام النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالتبليغ !

وهذا يعنى أن الآيه نزلت قبل ٢٣ سنه من نزول سوره المائده !

وقد ذكر الشافعى هذا التفسير بصيغه (يقال) مما يدل على أنه غير مطمئن اليه قال فى كتاب الأم : ١٦٨ / ٤ :

قال الشافعى (رحمه الله) : ويقال والله تعالى أعلم : إن أول ما أنزل الله عليه : إقرأ باسم ربك الذى خلق ، ثم أنزل عليه بعدها ما لم يؤمر فيه بأن يدعو إليه المشركين ، فمرت لذلك مده . ثم يقال : أتاه جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن الله عز وجل بأن يعلمهم نزول الوحي عليه ويدعوهم الى الإيمان به فكبر ذلك عليه وخاف التكذيب وأن يتناول ، فنزل عليه : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . فقال يعصمك من قتلهم أن يقتلوك حين تبلغ ما أنزل إليك ما مر به ، فاستهزأ به قوم فنزل عليه : فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزين . انتهى .

ويكفى للرد على هذا القول :

أولاً ، أن الآيه فى سوره المائده ، وقد عرفت أنها آخر ما نزل من القرآن أو على الأقل من آخر ما نزل ، بينما يدعى هذا القول أن الآيه من أوائل ما نزل !!

وثانياً ، أن الشافعى قد ضعف هذا الوجه ، لأنه نقله بصيغه يقال ويقال ، ولم ينسبه الى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، بل لم يتبناه .

وثالثاً ، أنه لا يمكن قبول هذه التهمه السيئه للنبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنه تلكأ أو امتنع عن تبليغ رسالات ربه ، بسبب خوفه من التكذيب والأذى والقتل ، حتى جاءه التهديد الالهى بالعذاب ، والتأمين من الأذى ، فتحرك وبلغ !!

فهذا التصور لا- يناسب شخصيه المسلم العادى ، فضلاً عن النبى المعصوم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذى هو أعظم الناس إيماناً وشجاعه .

كما تعارضه الآيات التي تصف حرصه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على تبليغ الرساله ، وهدايه الناس أكثر مما فرض الله تعالى عليه.

روايات (يقال) التي ذكرها الشافعي

- قال السيوطي في الدر المنثور : ٢٩٨ / ٢

أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله بعثني برساله فضقت بها ذرعاً ، وعرفت أن الناس مكذبي فوعدني لإبلاغن أو ليعذبني ، فأنزل : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك. (وكذا في أسباب النزول : ١ / ٤٣٨)

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يهاب قريشاً فأنزل الله : والله يعصمك من الناس ، فاستلقى ثم قال : من شاء فليخذلني ، مرتين أو ثلاثاً.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال : لما نزلت : بلغ ما أنزل إليك من ربك ، قال : يا رب إنما أنا واحدٌ كيف أصنع يجتمع على الناس؟! فنزلت : وإن لم تفعل فما بلغت رسالته!. انتهى.

- ورواه الواحدى في أسباب النزول : ١ / ١٣٩ ، والطبرى في تفسيره : ٦ / ١٩٨ - وقال النيسابورى في الوسيط : ٢ / ٢٠٨ : وقال الأنبارى : كان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة ، ويخفى بعضه إشفافاً على نفسه من شر المشركين اليه والى أصحابه ... انتهى.

ويكفى لرد هذه الروايات مضافاً الى أن الآيه جزء من سوره المائده التي نزلت قبيل وفاته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، أنها روايات غير مسنده ، بل هي قولٌ للحسن البصرى ومجاهد وابن جريج وأمثالهم ، لا أكثر. وستعرف أن الحسن البصرى يقصد رسالته معينه ، وأنه أخذ هذا التعبير من خطبه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في يوم الغدير ، وخاف أن يرويه على حقيقتها !

روايات (يقال) تتحول الى رأى يتبناه العلماء !

مع أن المفسرين يعرفون أن الآيه نزلت في أواخر حياه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ويعرفون أن تفسيرها بحدث في أوائل البعثة إنما هو قول مفسرين من متفقهه التابعين في العصر

ص: ١٧٢

الأموى ، أو روايات ضعيفه السند. لكن مع ذلك .. تراهم يفسرونها بهذا الوجه ويقدمون نزول الآيه جهاراً نهاراً ٢٣ سنه ! ويزداد تعجبك عندما ترى منهم مفسرين محترمين مثل الزمخشري والفخر الرازى !

والسبب فى ذلك أنهم يريدون الفرار من تفسيرها ببيعه الغدير ، ولا يجدون مفرأ إلا بأحد أمرين :

إما تفسيرها بأول البعته والقول بأن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) خاف وتباطأ فى تبليغ الرساله فهدده الله تعالى وطمأنه بالعصمه من الناس ! وإما تفسيرها بروايات رفع الحراسه المزعومه التى لا يؤيدها التاريخ ، ولا يساعد عليها نص الآيه ، كما سترى.

- قال الزمخشري فى الكشاف : ١ / ٦٥٩

والله يعصمك : عِدَّةٌ من الله بالحفظ والكلاءه ، والمعنى : والله يضمن لك العصمه من أعدائك ...

فإن قلت : أين ضمان العصمه ، وقد شُجَّ فى وجهه يوم أحد ؟! ... قلت المراد : أنه يعصمه من القتل !.

وروى عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : بعثنى الله برسالته فضقت ذرعاً ، فأوحى الله الى إن لم تبلغ رسالاتى عذبتك ، وضمن لى العصمه فقويت. انتهى. ونحوه فى الوسيط : ٢ / ٢٠٨

- وقال الرازى فى تفسيره : ٦ جزء ١٢ / ٤٨ - ٥٠

يا أيها الرسول بلغ ... روى عن الحسن عن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال : إن الله بعثنى برسالته فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس يكذبونى ، واليهود والنصارى ، وقريش يخوفونى فلما أنزل الله هذه الآيه ، زال الخوف بالكلية

فى قوله : والله يعصمك من الناس سؤال : وهو كيف يجمع بين ذلك وبين ما روى أنه شج وجهه ، وكسرت رباعيته.

والجواب من وجهين : أحدهما أن المراد يعصمه من القتل ... وثانيها : أنها نزلت بعد يوم أحد. انتهى.

ص : ١٧٣

ومما يلاحظ على الرازي أنه قد لم يراعِ الأمانة في النقل ، فقد حشر في نقله عن الحسن البصرى اليهود والنصارى ، لأنه يريد تفسير الآيه بالعصمه من اليهود والنصارى ، ويبعدها عن قريش !! ولا- نلومه على حبه لقريش ولجده أبى بكر بن أبى قحافه ، ولكن نطالبه بالأمانة العلميه ! فقد تتبعت المصادر التي نقلته عن البصرى فلم أجد ذكراً لليهود والنصارى ! وستعرف أن البصرى أخذ روايته من حديث الغدير !!

وقد شت ابن كثير كثيراً ، فزاد على الرازي وغيره ، قال فى البدايه : ٥٣ / ٣ :

روى ابن أبى حاتم فى تفسيره ، عن أبيه ، عن الحسن بن عيسى بن ميسره الحارثى ، عن عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث قال : قال على : لما نزلت هذه الآيه : وأنذر عشيرتک الأقرين ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إصنع لى رجل شاه بصاع من طعام وإناء لبناً ، وادع لى بنى هاشم ، فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل ، فذكر القصة نحو ما تقدم ، الى أن قال : وبدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام فقال : أيكم يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى ؟ قال فسكتوا وسكت العباس خشيه أن يحيط ذلك بماله ، قال : وسكتُ أنا لسن العباس .

ثم قالها مره أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك ، قلت : أنا يا رسول الله ! قال : أنت ...

ومعنى قوله فى هذا الحديث : من يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى ، يعنى إذا مت ، وكأنه صلى الله عليه وسلم خشى إذا قام بإبلاغ الرسالة الى مشركى العرب أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، ويقضى عنه ، وقد أمنه الله من ذلك فى قوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . الآيه .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر يدعو الى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصدّه

عنه ذلك صاد ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ومواقف الحج ... انتهى. وذكره بلفظه تقريباً في السيره : ١ / ٤٦٠

ويلاحظ أنه خلط في كلامه كثيراً ، وتعصب أكثر ..

فقد بتر حديث « أنذر عشيرتک الأقربين » وحذف منه اختيار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) خليفته من عشيرته الأقربين بأمر ربه تعالى ، وأورد بدله حديثاً محرّفاً ، وفسر الحديث المحرف بأن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان يخاف أن يقتله القرشيون ، فطلب من بنى هاشم شخصاً يكون خليفته في أهله ويقضى دينه ، فقبل ذلك على (عَلِيٍّ السَّلَامُ) ، ثم انتفت الحاجة الى ذلك بنزول الآيه !!

لقد تجاهل ابن كثير أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان مأموراً في تلك المرحلة بدعوه عشيرته الأقربين فقط ، ولم يكن مأموراً بعدُ بدعوه قريش وبقية الناس ! فلا محل لما حكته الروايه من خوفه من القتل والأذى !

ثم إن ابن كثير تفرد بربط آيه العصمه بآيه الأقربين ، ولم أجد أحداً سبقه اليه ، ولا ذكر من أين أخذه !؟

وكأن المهم عنده أن يحرف كلام النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حديث الدار ونصه على أن علياً أخوه ووزيره وخليفته من بعده ! ويبعد الآيه عن سورة المائده ويوم الغدير !!

وهذا قليلٌ من كثير من عمل ابن كثير ، وإليك الحديث الذي بتره :

- قال الأميني في الغدير : ١ / ٢٠٧ :

وها نحن نذكر لفظ الطبرى بنصه حتى يتبين الرشد من الغي :

قال في تاريخه : ٢ / ٢١٧ من الطبعة الأولى :

إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأياكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت - وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً - : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه.

ص: ١٧٥

فأخذ برقبتي ثم قال : إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب :
قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

- وقال الأميني : ٢٧٩ / ٢ :

وبهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الاسكافي المتكلم المعتزلي البغدادي المتوفى ٢٤٠ في كتابه نقض العثمانية ، وقال : إنه روى في
الخبر الصحيح.

ورواه الفقيه برهان الدين في أنباء نجباء الأبناء / ٤٦ - ٤٨

وابن الأثير في الكامل ٢ / ٢٤

وأبو الفدا عماد الدين الدمشقي في تاريخه ١ / ١١٦

وشهاب الدين الخفاجي في شرح الشفا للقاضي عياض ٣ / ٣٧ (وبتر آخره) وقال : ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح.

والخازن علاء الدين البغدادي في تفسيره / ٣٩٠

والحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦ / ٣٩٢ نقلاً عن الطبري

وفي / ٣٩٧ ، عن الحفاظ الستة : ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم ، والبيهقي.

وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٣ / ٢٥٤. انتهى.

ثم شكوا صاحب الغدير من تحريف المذنبين حرفوا الحديث لإرضاء قريش ، ومنهم الطبري ، الذي رواه في تفسيره بنفس سنده
المتقدم في تاريخه ، لكنه أبهم كلام النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حق علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فقال : ثم قال : إن هذا أخي وكذا
وكذا. وتبعه على ذلك ابن كثير في البدايه والنهايه : ٣ / ٤٠ ، وفي تفسيره : ٣ / ٣٥١. انتهى.

القول الثاني

أنها نزلت في مكة قبل الهجرة بدون تحديد ، فاستغنى بها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن حراسه عمه أبي طالب ، أو عمه
العباس !

ص: ١٧٦

وهذا القول هو المشهور فى مصادر السنين ، وروايته نوعان : نوعٌ نص على تاريخ نزولها تصريحاً أو تلويحاً ، وأنه فى مكه .

ونوعٌ لم يصرح بذلك ولم يربط نزولها بحراسه أبى طالب أو العباس ، ولكنه ربطه بإلغاء النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لحراسته فحملناه عليه ، لأن أصله روايه الترمذى عن عائشه ، وقد فهم منها البيهقى وغيره أنها تقصد مكه ، كما ستعرف .

فالنوع الأول : كالذى رواه السيوطى فى الدر المنثور : ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩ ، قال :

أخرج ابن مردويه والضياء فى المختاره ، عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى آيه أنزلت من السماء أشد عليك ؟

فقال : كنت بمنى أيام الموسم ، واجتمع مشركوا العرب وأفناء الناس فى الموسم فنزل على جبريل فقال : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . قال فقامت عند العقبة فناديت : يا أيها الناس من ينصرنى على أن أبلغ رساله ربهى ولكم الجنة ؟ أيها الناس قولوا لا إله إلا الله ، وأنا رسول الله إليكم ، وتنجوا ، ولكم الجنة .

قال فما بقى رجل ولا امرأه ولا صبى إلا يرمون على بالتراب والحجاره ، ويصقون فى وجهى ، ويقولون كذاب صابى ، فعرض على عارضٌ فقال : يا محمد إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم ، كما دعا نوح على قومه بالهلاك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ، وانصرنى عليهم أن يجيبونى الى طاعتك ، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه .

قال الأعمش : فبذلك تفتخر بنو العباس

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه ، حتى نزلت والله يعصمك من الناس ، فذهب ليعث معه ، فقال : يا عم إن الله قد عصمنى لا حاجه لى الى من تبعث !!

وأخرج الطبرانى وأبو الشيخ وأبو نعيم فى الدلائل وابن مردويه وابن عساكر عن

ابن عباس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس ، وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بنى هاشم يحرسونه ، فقال : يا عم إن الله عصمى لا حاجه الى من تبعث ! انتهى. والروايه فى معجم الطبرانى الكبير : ١١ / ٢٠٥

- وفى مجمع الزوائد : ١٧ / ٧ :

قوله تعالى : والله يعصمك من الناس ، عن أبى سعيد الخدرى قال : كان عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحرسه ، فلما نزلت : والله يعصمك من الناس ، ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرس. رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه عطيه العوفى وهو ضعيف.

وعن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس ، وكان يرسل معه عمه أبوطالب كل يوم رجالاً من بنى هاشم ، حتى نزلت هذه الآيه : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه ، فقال : يا عم إن الله قد عصمنى من الجن والإنس.

رواه الطبرانى وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف.

والنوع الثانى : أصله ما رواه الترمذى فى سننه : ٣١٧ / ٤ : عن عائشه قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرس ، حتى نزلت هذه الآيه : والله يعصمك من الناس ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبه ، فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمنى الله. هذا حديث غريب.

وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس ، ولم يذكروا فيه عن عائشه. انتهى.

- ورواه الحاكم فى المستدرک : ٣١٣ / ٢ عن عائشه أيضاً وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه. انتهى.

والظاهر أن حديث عائشه يقصد أن الآيه نزلت فى مكه أيضاً ومعنى (فأخرج رأسه من القبه) أى من الخيمه التى كان فيها ، وقال لحراسه انصرفوا.

ص : ١٧٨

ويؤيد ذلك أن البيهقي رواه في سننه : ٩ / ٨ وعقب عليه بقول الشافعي المتقدم فقال : قال الشافعي : يعصمك من قتلهم أن يقتلوك حتى تبلغهم ما أنزل اليك فبلغ ما أمر به فاستهزأ به قوم فنزل : فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين. انتهى.

ويؤيده أيضاً أن المراغي نقل في تفسيره : ٢ جزء ٤ / ١٦٠ روايه السيوطي الأولى عن ابن مردويه عن ابن عباس ، وروايه الطبراني أيضاً ثم قال : روى الترمذي وأبو الشيخ أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان يحرس في مكة قبل نزول هذه الآية ... وكذلك ذكر غيره ، مع أنه لا يوجد في روايه عائشه في الترمذي ما يدل على أنها تقصد مكة ، فلعل كلمه في مكة حذفت من نسخه الترمذي الفعلية !

- وقال السيوطي في الدر المنثور : ٢ / ٢٩١ عن حديث عائشه :

وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل ، وابن مردويه ، عن عائشه ...

وروى السيوطي عده روايات بنفس مضمونه عن غير عائشه ، وبعضها قد يفهم منه أن نزول الآية في المدينة ، فجعلناه في القول الثالث.

قال في الدر المنثور : ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩ : وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال : كان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يحرسه فلما نزلت : والله يعصمك من الناس ، ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرس.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن أبي ذر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام إلا ونحن حوله من مخافه الغوائل ، حتى نزلت آيه العصمه : والله يعصمك من الناس. انتهى.

وقد أخذ بهذا القول كثير من المفسرين والمؤلفين في السيره فقد ذكره الزمخشري في الكشاف : ١ / ٦٥٩ ، وكأنه قبله ، وكذلك فعل الرازي في تفسيره : ٦ جزء ١٢ / ٥٠! مع أنهما

قالا كما رأيت بنزول الآيه فى مكه! وبذلك يكونا حملا حديث عائشه على أول البعته ، كما حملا قول الحسن البصرى وأمثاله !

- وقد أخذ بهذا القول أيضاً السهيلي فى الروض الأنف : ٢ / ٢٩٠ ، والقسطلاني فى إرشاد السارى : ٥ / ٨٦ ، وابن العربى فى شرح الترمذى : ٦ جزء ١١ / ١٧٤ ، والعينى فى عمده القارى ٧ جزء ١٤ / ٩٥ ، وابن جزى فى التسهيل : ١ / ٢٤٤ ، والنويرى فى نهايه الإرب : ٨ جزء ١٦ / ١٩٦ ، و ١٩ جزء ١٨ / ٣٤٢ ، والنيسابورى فى الوسيط : ٢ / ٢٠٩ ، والدميرى فى حياه الحيوان : ١ / ٧٩ .. وغيرهم ، وغيرهم .

- وممن أخذ بهذا القول صاحب السيره الحلبيه : ٣ / ٣٢٧ وقد اغتنم فرصه الآيه وارتباطها بحراسه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لإثبات فضيله لأبى بكر بن أبى قحافه فقال : حراسه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قبل أن ينزل عليه قوله تعالى : والله يعصمك من الناس سعد بن معاذ حرسه ليله يوم بدر ، وفى ذلك اليوم لم يحرسه إلا أبو بكر شاهراً سيفه حين نام بالعريش. انتهى.

وبذلك ناقض صاحب الحلبيه نفسه وجاء بدليل على ضد مراده ، لأن إلغاء الحراسه إذا كان قبل الهجره ، فلم تبق حاجه لحراسه أبى بكر وغيره فى بدر !

على أن الظاهر أنه لم يكن للمسلمين عريشٌ فى بدر ! وقد روى الحاكم روايه وصححها على شرط مسلم ، تذكر أن ثلث المسلمين حرسوا النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى بدر ، وهو أمر معقول ، لأن المسلمين نزلوا بالعدوه القصوى وهى منطقته مكشوفه. قال الحاكم : ٢ / ٣٢٦ : عن عباد بن الصامت (رضى الله عنه) قال سألته عن الأنفال ، قال : فىنا يوم بدر نزلت ، كان الناس على ثلاث منازل ، ثلثٌ يقاتل العدو ، وثلث يجمع المتاع ويأخذ الأسارى وثلث عند الخيمه يحرس رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فلما جمع المتاع اختلفوا فيه فجعله الى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقسمه على السواء. انتهى.

ويدل على بطلان هذا القول : أولاً ، ما تقدم فى القول الأول.

ثانياً : نفس روايات القول الثالث وغيره ، التى تنص على أن إلغاء الحراسه المزعوم حصل فى المدينه ، وليس فى مكه.

ثالثاً ، أن عمده رواياته روايه القبه عن عائشه ، وروايه حراسه العباس .. أما الروايات الأخرى فكلها غير مسنده ، وغرض بعضها تقليل دور أبي طالب في نصره النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كما هو واضح ، وأنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان مستغنياً في مكه عن حراسه أبي طالب.

كما يلاحظ في الروايه الأولى أنها تريد إثبات فضيله للعباس بأنه كان حارس النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في مكه بدل أبي طالب ، وأنه هو الذي عصم الله به رسوله من الناس !

وقد كان دور العباس قبل الهجره دوراً عادياً مثل بقيه بنى هاشم الذين تضامنوا مع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وتحملوا معه حصار الشعب ، ولم يعرف عنهم أنهم أسلموا ، ولم يهاجروا معه الى المدينه مثل علي وحمزه .

ومن المعروف أن العباس قد أسر في بدر وأسلم عند فكاك الأسرى .

هذا مضافاً الى تضعيف الهيثمي وغيره لهذه الروايه ، وما تشاهده من ضعف متنها وركته .

ثالثاً : ما سيأتى في إثبات استمرار حراسته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ونفى كل ما يدل على إلغائها ومن ذلك روايه القبه ، وسيأتى قول الألباني بعدم صحه نسبتها الى عائشه .

القول الثالث

أنها نزلت في المدينه بدون تاريخ ! فقد روى السيوطى عده روايات تربط نزول الآيه بإلغاء النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) للحراسه ، وليس فيها أن ذلك كان في مكه أو في المدينه ، ولكن يفهم من نص بعضها أو رواه بعضها ، أن نزولها كان في المدينه .

- قال في الدر المنثور : ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩ :

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن عصمه بن مالك الخطمي قال : كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، حتى نزلت : والله يعصمك من الناس فترك الحرس .

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : يا أيها الرسول

الى قوله : والله يعصمك من الناس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحرسوني ، إن ربي قد عصمني .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن شقيق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتقه ناس من أصحابه ، فلما نزلت :
والله يعصمك من الناس ، فخرج فقال : يا أيها الناس إلتحقوا بملاحقكم ، فإن الله قد عصمني من الناس .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يحارسه أصحابه ، حتى أنزل الله : والله يعصمك من الناس ، فترك الحرس حين أخبره أنه سيعصمه من الناس .

وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن الربيع بن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرسه أصحابه ، حتى نزلت هذه الآية : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك الآية ... انتهى .

- ورواه ابن شبه في تاريخ المدينة : ١ / ٣٠١ ، عن عبد الله بن شقيق وعن محمد بن كعب القرظي . ورواه الطبري في تفسيره : ٦ / ١٩٩ ، عن عبد الله بن شقيق . وابن سعد في الطبقات : ١ جزء ١ / ١١٣ . والبيهقي في دلائل النبوه : ٢ / ١٨٠ .

ويدل على بطلان هذا القول وغيره من الأقوال التي ربطت نزول الآية بالحراسه :

أن من المجمع عليه في أحاديث سيرته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنه كان يطلب من قبائل العرب أن تحميه وتمنعه مما يراد به من القتل ، لكي يبلغ رساله الله عز وجل ، وقد بايعه الأنصار بيعه العقبه على أن يحموه ويحموا أهل بيته مما يحمون منه أنفسهم وأهلبيهم .. فلو أن آيه العصمه نزلت في مكة ، لما احتاج الى شيء من ذلك !

وسندكر في آخر البحث أحاديث طلب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الأنصار أن يحموه ويحرسوه ، ويبيعتهم على ذلك !

ثم .. إن مصادر الحديث والتفسير والتاريخ مليئه بالروايات التي ذكرت حراسه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأنها كانت في مكة والمدينه ، خاصه في الحروب ، الى آخر حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

ولذا يجب رفض كل الروايات التي زعمت أنه ألغى الحراسه قبل هذا التاريخ ، لأنها تدعى إلغائها فى السلم والحرب والسفر والحضر !

وقد تقدمت فى روايه الحاكم أن ثلث المسلمين كانوا يحرسونه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى بدر !

وقد روى أحمد : ٢ / ٢٢٢ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوه تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى وانصرف اليهم فقال لهم ... الخ.

ورواه فى كنز العمال : ١٢ / ٤٣٠ ، عن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال عنه فى مجمع الزوائد : ١٠ / ٣٦٧ : رواه أحمد ورجاله ثقات . انتهى .

وغزوه تبوك كانت فى آخر سنه من حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وفى الفصول التى عقدها المحدثون ، وكتاب السيره لحراسته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقصصها ، وحراسه وأسمائهم وقصصهم .. ما يكفى لرد هذه المقوله !

والعجيب أنك ترى بعضهم يذكر كل ذلك عن الحراسه ، ثم يقول إنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ألغى الحراسه بعد نزول الآيه فى مكه قبل الهجره ، أو بعد الهجره ! وكأنه حلف يمينا أن يبعد آيه العصمه من الناس عن يوم الغدير !!

- قال صاحب عيون الأثر فى : ٢ / ٤٠٢

حرسه يوم بدر حين نام فى العريش : سعد بن معاذ ، ويوم أحد : محمد بن مسلمه ، ويوم الخندق : الزبير بن العوام . وحرسه ليله بنى بصفيه : أبو أيوب الأنصارى بخبير ، أو ببعض طريقها ، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى . وحرسه بوادى القرى : بلال ، وسعد بن أبى وقاص ، وذكوان بن عبد قيس . وكان على حرسه عباد بن بشر ، فلما نزلت : والله يعصمك من الناس ، ترك الحرس !! انتهى .

وقد حاول أن يجيب على حراستهم للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى تبوك ، ففسر نص الحراسه بأنه يعنى انتظارهم انتهاء صلاته !

قال فى : ١ / ١١٩ : وفى حدىث عمرو بن شعىب : فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى ... والمراد والله أعلم : ينتظرون فراغه من الصلاه ! وأما حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، فقد كان انقطع منذ نزلت : والله يعصمك من الناس ، وذلك قبل تبوك. والله أعلم. انتهى.

ولكنه تفسير مخالف لنص الروايه فى الحراسه !

وعلى كل حال ، فإن هذا القول بنزول الآيه فى المدينه يرد القول الأول الذى جعل تاريخ نزول الآيه فى مكه !

والنتيجه أن دعوى إلغائه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) للحراسه لا دليل عليها من سيرته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، بل الدليل على خلافها ، وأن بنى هاشم كانوا يحرسونه فى مكه حتى هجرته ، ثم كانوا هم وبقية أصحابه يحرسونه فى المدينه ، الى آخر عمره الشريف. وفى اعتقادى أن نفس محاوله تفسير الآيه بإلغاء الحراسه دليل على صححه تفسير أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بأن الآيه تقصد العصمه من الإرتداد ، فترى مخالفيهم يصرون على تفسيرها بالعصمه الحسيه ويقعون فى التناقض مع الواقع !

القول الرابع

أنها نزلت فى المدينه فى السنه الثانيه للهجره بعد حرب أحد.

- قال السيوطى فى الدر المنثور : ٢ / ٢٩١ : وأخرج ابن أبى شيبه وابن جرير عن عطيه بن سعد قال : جاء عباده بن الصامت من بنى الحارث بن الخزرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن لى موالى من يهود كثير عددهم ، وإنى أبرأ الى الله ورسوله من ولايه يهود ، وأتولى الله ورسوله.

فقال عبد الله بن أبى : إنى رجل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولايه موالى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن أبى : أبا حباب أرأيت الذى نفست به من ولاء يهود على عباده ، فهو لك دونه !

قال : إذن أقبل ، فأُنزل الله : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، الى أن بلغ الى قوله : والله يعصمك من الناس ... انتهى.

ويكفى في الدلالة على بطلان هذا القول ما تقدم في الحراسه ، ويضاف اليه أن روايته من كلام عطيه بن سعد ولم يسندها الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، والآيات المذكوره فيها هي الآيات ١ الى ٦٧ من سوره المائده ، ولم يقل أحدٌ إن هذا الآيات نزلت في قصه ولاء ابن سلول لليهود ، الذي توفي قبل نزول سوره المائده !

القول الخامس

أنها نزلت على أثر محاوله شخص اغتيال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وقد تناقضت رواياتهم في ذلك ، فذكر بعضها أن الحادثه كانت في غزوه بنى أنمار المعروفه بذات الرقاع ، وأن شخصاً جاء الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقصد اغتياله وطلب منه أن يعطيه سيفه ليراه ، فأعطاه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إياه بكل سهوله ..! أو كان علقه وغفل عنه ، أو دلى رجله في البئر الخ.

- قال السيوطي في الدر المنثور : ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩

وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل ، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجله ! فقال غورث بن الحرث : لأقتلن محمداً ، فقال له أصحابه : كيف تقتله؟ قال أقول له أعطنى سيفك ، فإذا أعطانيه قتلته به !

فأتاه فقال : يا محمد أعطنى سيفك أشتمه ، فأعطاه إياه فرعدت يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حال الله بينك وبين ما تريد ، فأُنزل الله : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، الآية.

وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجره ظليلة فيقبل تحتها ، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك منى؟ قال : الله ، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه ،

ص: ١٨٥

قال : وضرب برأسه الشجره حتى انتشرت دماغه فأنزل الله : والله يعصمك من الناس !

وأخرج ابن حبان وابن مردويه عن أبي هريره قال : كنا إذا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر تركنا له أعظم دوحه وأظلمها فينزل تحتها ، فنزل ذات يوم تحت شجره ، وعلق سيفه فيها فجاء رجل فأخذه فقال : يا محمد من يمنعك منى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله يمنعنى منك ، ضع عنك السيف فوضعه ، فنزلت : والله يعصمك من الناس . انتهى .

وقال بعضهم : إن شخصاً أراد اغتيال النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقبضوا عليه : فى الدر المنثور : ٢ / ٢٩٩ : أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك ! فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لم ترع ، ولو أردت ذلك لم يسلطك الله على .. انتهى .

* *

ومما يدل على بطلان هذا القول وأن الآية لم تنزل فى قصه غورث أو شبهها :

أولاً-، أن غزوه ذات الرقاع أو بنى أنمار كانت فى السنه الرابعه من الهجره (سيره ابن هشام : ٣ / ٢٢٥) وهو تاريخ قبل نزول سوره المائده بسنوات ، كما أن بعض رواياتها بلا تاريخ ، وبعضها غير معقول !

ثانياً ، أن المصادر الأساسيه التى روت قصه غورث وغزوه ذات الرقاع ، لم تذكر نزول آيه العصمه فيها ، بل ذكر أكثرها تشريع صلاه الخوف والحراسه المشدده على النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى فى الصلاه ، وهو كافٍ لرد روايه نزول الآية فيها !

أما ابن هشام فقد ذكر أن الآية التى نزلت فى قصه غورث هى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمه الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ... (سيره ابن هشام : ٣ / ٢٢٧ ، تحقيق السقا) ولكن ذلك لا يصح ، لأن تلك الآية من سوره المائده أيضاً !

وأما البخارى وغيره فقد رووا فيها تشريع صلاه الخوف وتشديد الحراسه !

ص: ١٨٦

- قال في صحيحه : ٥ / ٥٣ :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أخبره أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه ، فأدركتهم القائله في واد كثير العضاة ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمره فعلق بها سيفه ، قال جابر فتمنا نومه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، فجننا فإذا عنده أعرابي جالس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتاً فقال لى من يمنعك منى ؟ قلت له : الله ، فها هو ذا جالس ، ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن أبى سلمه عن جابر قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجره ظليله تركناها للنبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبى صلى الله عليه وسلم معلق بالشجره ، فاخرطه فقال له : تخافنى ؟ فقال لا . قال فمن يمنعك منى ؟ قال الله . فتهدده أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأقيمت الصلاة ، فصلى بطائفه ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفه الاخرى ركعتين .

وقال مسدد عن أبى عوانه عن أبى بشر : اسم الرجل غورث بن الحرث . انتهى .

- وروى الحاكم نحوه : ٣ / ٢٩ ، وذكر فيه أيضاً أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صلى بعد الحادثه صلاه الخوف بالحراسه المشدده! وقال عن الحديث : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وكذلك روى أحمد قصه غورث فى : ٣ / ٣٦٤ ، و ٣٩٠ ، وذكر فيها صلاه الخوف ولم يذكر نزول الآيه! وراجع أيضاً : ٤ / ٥٩ ، ورواها الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٩ من / ٨ ، وفيها تفصيلات كثيرة وليس فيها ذكر نزول الآيه !!

- وروى الكلينى صيغه معقوله لقصه غورث ، قال فى الكافى : ٨ / ١٢٧ :

أبان عن أبى بصير ، عن أبى عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : نزل رسول الله ٩ فى غزوه ذات الرقاع تحت شجره على شفير واد ، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه ، فرآه رجل

ص : ١٨٧

من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل ، فقال رجل من المشركين لقومه : أنا أقتل محمداً ، فجاء وشد على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالسيف ثم قال : من ينجيك مني يا محمد؟ فقال : ربي وربك ، فنسفه جبرئيل عن فرسه فسقط على ظهره ، فقام رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأخذ السيف ، وجلس على صدره وقال : من ينجيك مني يا غورث؟ فقال : جودك وكرمك يا محمد! فتركه ، فقام وهو يقول : والله لأنت خير مني وأكرم. انتهى.

وهكذا لا تجد أثراً في هذه المصادر لنزول الآية في ذات الرقاع ، أو في قصة غورث ، بل تلاحظ أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صلى بعد الحادثه بالحراسه المشدده !

فهل صار إلغاء الحراسه عند أصحاب هذا القول ، أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يطمئن قلبه فأمر بتشديد الحراسه؟!!

ومن تخبطهم في قصة غورث وآيه التبليغ ، ما تراه من الرد والبدل بين ابن حجر والقرطبي ، فقد قال القرطبي إن كون النبي وحده في القصة يدل على عدم حراسته حينذاك ، وأن الآية نزلت قبلها!!

فأجابه ابن حجر : لا ، فالآيه نزلت يومذاك فألغى الحرس ، أما قبلها فكان أحياناً يضعف إيمانه فيتخذ الحرس ، وأحياناً يقوى فيلغيه ، وفي قصة غورث كان بلا حراسه لقوه إيمانه يومذاك!!

- قال في فتح الباري : ٢٧٥٢ / ٨

قوله باب تفرق الناس عن الإمام عند القائله والإستقلال بالشجر.

ذكر فيه حديث جابر الماضي قبل بايين من وجهين ، وهو ظاهر فيما ترجم له ، وقد تقدمت الإشارة الى مكان شرحه.

قال القرطبي : هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان في هذا الوقت لا يحرسه أحد من الناس ، بخلاف ما كان عليه في أول الأمر ، فإنه كان يحرس حتى نزل قوله تعالى : والله يعصمك من الناس.

ص: ١٨٨

قلت : قد تقدم ذلك قبل أبواب ، لكن قد قيل إن هذه القصة سبب نزول قوله تعالى : والله يعصمك من الناس ، وذلك فيما أخرجه بن أبي شيبه من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمه عن أبي هريره قال : كنا إذا نزلنا طلبنا للنبي صلى الله عليه وسلم أعظم شجره وأظلمها فنزل تحت شجره ، فجاء رجل فأخذ سيفه فقال : يا محمد من يمنعك مني ؟ قال : الله ، فأنزل الله : والله يعصمك من الناس ، وهذا إسناد حسن. فيحتمل إن كان محفوظاً أن يقال : كان مخيراً في اتخاذ الحرس ، فتركه مرة لقوه يقينه فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ، ترك ذلك. انتهى.

فاعجب لابن حجر الذى لم يلتفت الى أن الآية من سورة المائدة التى نزلت سنه عشر ، وأن غزوه ذات الرقاع سنه أربع ، وأن مجيء أبي هريره الى المدينة سنه سبع ، وغفل عن تشديد الحراسه وصلاه الخوف فى ذات الرقاع ، وهو مع ذلك يشرح روايه البخارى فى صلاه الخوف !!

وما ذلك إلا لأن ذهنه مملوء بما زرّقه فيه من ربط آيه العصمه بالحراسه ، لإبعادها عن الغدير !!

وأخيراً ، فقد تقدمت روايات حراسه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى تبوك ، وهى بعد غزوه ذات الرقاع بنحو ست سنوات ، ونضيف اليها هنا حراسته فى فتح مكه الذى كان بعد هذه الحادثه ، بنحو أربع سنوات ، فقد روى البخارى أن المسلمين كانوا يحرسون النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حينئذ ! قال فى صحيحه : ٥ / ٩١ : عن هشام عن أبيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران ، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفه ، فقال أبو سفيان ما هذه ، لكأنها نيران عرفه ؟! فقال بديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو ! فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك ! فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... انتهى.

ونضيف الى ذلك أسطوانه الحراسه التي ما زالت فى المسجد النبوى الشريف ، والتي عرفت بهذا الاسم فى عام الوفود ، وهو السنه التاسعه كما فى سيره ابن هشام : ٢١٤ / ٤ ، تحقيق السقا.

القول السادس

لم يعين أصحابه تاريخ نزول الآيه ، ولا ربطوها بالحراسه ، ولكنهم قالوا إنها عامه تؤكد على النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وجوب تبليغ الرساله ، وإلا فإنه لم يبلغها !

- ففى الدر المنثور : ٢٩٩ / ٢ : وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتاده فى الآيه قال : أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه سيكفيه الناس ويعصمه منهم ، وأمره بالبلاغ ، وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قيل له : لو احتجبت فقال : والله لا يدع الله عقبى للناس ما صاحبتهم. انتهى.

وهذا القول يشبه القول الأول ، ويرد عليه ما تقدم ، وأن رواياته غير مسنده ، وأنه لا ينطبق على معنى الآيه ، ولا يكفى لتصحيح القضييه الشرطيه فيها ، كما ستعرف.

القول الموافق لرأى لأهل البيت (عليهم السلام)

- قال فى الدر المنثور : ٢٩٨ / ٢ : وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبى سعيد الخدرى قال : نزلت هذه الآيه : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم فى على بن أبى طالب.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أن علياً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ! انتهى.

- المعيار والموازنه / ٢١٣

وعن جابر بن عبد الله وعبد الله بن العباس الصحابين قالا : أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته ، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه

ص : ١٩٠

وأن يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى الله إليه : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.

فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم. انتهى. وقال في هامشه :

وروى السيوطي في الدر المنثور عن الحافظ ابن مردويه وابن عساكر بسنديهما عن أبي سعيد الخدري قال : لما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً يوم غدير خم فنأدى له بالولايه هبط جبرئيل عليه بهذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم ...

أقول : ورواه أيضاً بأسانيد الحافظ الحسكاني في الحديث ٢١١ وتواليه من شواهد التنزيل ١ / ١٥٧. ورواه أيضاً ابن عساكر في الحديث (٥٨٥ - ٥٨٦) من ترجمه أمير المؤمنين (عليه السلام) من تاريخ دمشق : ٢ / ٨٥ ط ١.

وقد روى الخطيب والحافظ الحسكاني وابن عساكر وابن كثير والخوارزمي وابن المغازلي بأسانيد عن أبي هريره قال : من صام يوم ثمانى عشر من ذى الحجه كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد على بن أبى طالب ، فقال : أأنت ولى المؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يا ابن أبى طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأنزل الله عز وجل : اليوم أكملت لكم دينكم

ومن أراد المزيد فعليه بما ألفه علماء المسلمين في هذا الحديث قرناً بعد قرن مثل رساله الحافظ ابن عقده ، وحديث الغدير للطبرى المفسر والمورخ الشهير ، وحديث الغدير للحافظ الدارقطني ، والذهبي ، وعبيد الله الحسكاني ، ومسعود السجستاني وغيرهم. وعليك بكتاب الغدير ، وحديث الغدير من كتاب عبقات الأنوار ، فإن فيهما ما تشتتبه الأنفس. انتهى.

- وفي تفسير الميزان : ٥٤ / ٦

وعن تفسير الثعلبي قال قال جعفر بن محمد : معنى قوله : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، فى فضل على ، فلما نزلت هذه أخذ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بيد على فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه.

ص : ١٩١

وعنه بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية قال : نزلت في علي بن أبي طالب ، أمر الله النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يبلغ فيه فأخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه.

- وفي الغدير : ٢١٤ / ١

نزلت هذه الآية الشريفه يوم الثامن عشر من ذي الحجه ن سنه حجه الوداع (١٠ هـ) لما بلغ النبي الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) غدير خم ، فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النهار فقال : يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، الآية. وكان أوائل القوم وهم مائه ألف أو يزيدون قريباً من الجحفة فأمر أن يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ، وأن يقيم علياً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) علماً للناس ، ويبلغهم ما أنزل الله فيه ، وأخبره بأن الله عز وجل قد عصمه من الناس.

وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإماميه ، غير أنا نحتج في المقام بأحاديث أهل السنه في ذلك. انتهى.

وقد ذكر الأيني (رحمه الله) ثلاثين مؤلفاً من السنين رروا أن الآية نزلت في ولايه علي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نذكر عدداً منهم باختصار :

١ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ ، أخرج بإسناده في كتاب (الولايه) في طرق حديث الغدير ، عن زيد بن أرقم قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بغدير خم في رجوعه من حجه الوداع ، وكان في وقت الضحى وحر شديد ، أمر بالدوحات فقمّت ، ونادى الصلاه جامعه ، فاجتمعنا فخطب فخطبه بالغه ثم قال : إن الله تعالى أنزل إلي : بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس

٢ - الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفى ٣٢٧.

ص: ١٩٢

٣ - الحافظ أبو عبد الله المحاملى المتوفى ٣٣٠ ، أخرج فى أماليه بإسناده عن ابن عباس ...

٤ - الحافظ أبو بكر الفارسى الشيرازى المتوفى ٤٠٧ ، روى فى كتابه ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين ، بالإسناد عن ابن عباس

...

٥ - الحافظ ابن مردويه المولود ٣٢٣ والمتوفى ٤١٦ ، أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدرى أنها نزلت يوم غدیر خم فى على بن أبى طالب ، وبإسناد آخر عن ابن مسعود أنه قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أن علياً مولى المؤمنين ...

٦ - أبو إسحاق الثعلبى النيسابورى المتوفى ٤٢٧ ، روى فى تفسيره الكشف والبيان ..

٧ - الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفى ٤٣٠ ، روى فى تأليفه : ما نزل من القرآن فى على

٨ - أبو الحسن الواحدى النيسابورى المتوفى ٤٦٨ ، روى فى أسباب النزول / ١٥٠

٩ - الحافظ أبو سعيد السجستانى المتوفى ٤٧٧ ، فى كتاب الولاية بإسناده من عده طرق عن ابن عباس

١٠ - الحافظ الحاكم الحسكافى أبو القاسم روى فى شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل ، بإسناده عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس ، وجابر

١١ - الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعى المتوفى ٥٧١ ، أخرج بإسناده عن أبى سعيد الخدرى

١٢ - أبو الفتح النطنزى أخرج فى الخصائص العلوية ، بإسناده عن الإمامين محمد بن على الباقر وجعفر بن محمد الصادق ...

١٣ - أبو عبد الله فخرالدين الرازى الشافعى المتوفى ٦٠٦ ، قال فى تفسيره الكبير ٣

٦٣٦ / العاشر : نزلت الآية في فضل علي ، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه

١٤ - أبو سالم النصيبي الشافعي المتوفى ٦٥٢ ، في مطالب السؤل / ١٦ ...

١٥ - الحافظ عز الدين الرسعنى الموصلى الحنبلى المولود ٥٨٩

١٦ - شيخ الإسلام أبو إسحاق الحموينى المتوفى ٧٢٢ ، أخرج في فرايد السمطين عن مشايخه الثلاثة : السيد برهان الدين إبراهيم بن عمر الحسينى المدنى ، والشيخ الإمام مجد الدين عبد الله بن محمود الموصلى ، وبدراى الدين محمد بن محمد بن أسعد البخارى ، بإسناد هم عن أبى هريره : أن الآية نزلت فى على .

١٧ - السيد على الهمدانى المتوفى ٧٨٦ ، قال فى موده القربى : عن البراء بن عازب (رضى الله عنه) قال : أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجه الوداع ، فلما كان بغدير خم نودى الصلاه جامعه ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجره وأخذ بيد على ، وقال : أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

فقال : ألا- من أنا مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . فلقبه عمر (رضى الله عنه) فقال : هنيئاً لك يا على بن أبى طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . وفيه نزلت : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . الآية .

١٨ - بدر الدين بن العينى الحنفى المولود ٧٦٢ والمتوفى ٨٥٥ ، ذكره فى عمد القارى فى شرح صحيح البخارى ٨ / ٥٨٤ فى قوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل . عن الحافظ الواحدى

الوهابيون وحديث الغدير

من العجيب أن يبقى القول الموافق لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فى سبب نزول آيه التبليغ حياً فى مصادر إخواننا السنين ، لأنه ينسف الأسس التى بذل القرشيون جهودهم ليقنعوا بها المسلمين فى مسأله الإمامه والخلافه بعد النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ !)

ص: ١٩٤

ولهذا السبب تجد النواصب يغيظهم وجود حديث الغدير ، وحديث هذه الآيه وأمثاله ، ويودون لو أن شيئاً منها لم يكن موجوداً فى الصحاح والمصادر .. وتراهم بدل أن يبحثوها بحثاً علمياً على ضوء القرآن والمتفق عليه من السنه .. يكيلون التهم والسباب للشيعة وعلمائهم لأنهم اطلعوا عليها ، وأخرجوها لهم من مصادرهم !!

قال الشيخ الألبانى فى سلسله الأحاديث الصحيحه ٥ / ٦٤٤ :

عصمته فى من الناس .

كان يحرس حتى نزلت هذه الآيه : والله يعصك من الناس ، فأخرج رسول الله فى رأسه من القبه ، فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله .

أخرجه الترمذى : ٢ / ١٧٥ ، وابن جرير : ٦ / ١٩٩ ، والحاكم : ٢ / ٣ ، من طريق الحارث بن عبيد عن سعيد الجريرى ، عن عبد بن شقيق ، عن عائته قالت : فذكره .

وقال الترمذى : حديث غريب . وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال : كان النبى يحرس .. ولم يذكروا فيه : عن عائته .

قلت : وهذا أصح ، لأن الحارث بن عبيد - وهو أبو قدامه الأيادى - فيه ضعف من قبل حفظه ، أشار إليه الحافظ بقوله : صدوق يخطئ .

وقد خالفه بعض الذين أشار إليهم الترمذى ، ومنهم إسماعيل ابن عليه الثقه الحافظ ، رواه ابن جرير بإسنادين عنه عن الجريرى به مرسلًا .

قلت : فهو صحيح مرسلًا ، وأما قول الحاكم عقب المسند عن عائته : صحيح الإسناد فمردود ، لما ذكرنا ، وإن تابعه الذهبى .

نعم الحديث صحيح ، فإن له شاهداً من حديث أبى هريره قال :

كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إذا نزل منزلاً - نظروا أعظم شجره يرونها فجعلوها للنبي فينزل تحتها وينزل أصحابه بعد ذلك فى ظل الشجر ، فبينما هو نازل تحت شجره وقد علق السيف عليها إذ جاء أعرابى فأخذ السيف من الشجره ثم دنا من النبى وهو نائم فأيقظه ، فقال : يا محمد من يمنعك منى الليله ؟ فقال النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : الله . فأنزل الله : يا

أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس. الآية. أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٧٣٩ موارد وابن مردويه كما في ابن كثير ١٩٨ / ٦ ، من طريقين عن حماد بن سلمه : حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمه عنه. قلت. وهذا إسناد حسن. وذكر له ابن كثير شاهداً ثانياً من حديث جابر رواه ابن أبي حاتم.

وله شاهدان آخران عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي مرسلًا.

واعلم أن الشيعة يزعمون - خلافاً للأحاديث المتقدمة - أن الآية المذكورة نزلت يوم غدیر خم في علي (رضي الله عنه) ويذكرون في ذلك روايات عديدة مراسيل ومعاويل أكثرها ، ومنها عن أبي سعيد الخدري ولا يصح عنه كما حقيقته في الضعيفه (٤٩٢٢) والروايات الأخرى أشار إليها عبد الحسين الشيعي في مراجعاته / ٣٨ دون أي تحقيق في أسانيدها كما هي عاداته في سرد أحاديث كتابه ، لأن غايته حشد كل ما يشهد لمذهبه سواء صح أو لم يصح ، على قاعدتهم : الغايه تبرر الوسيله ! فكن منه ومن رواياته على حذر ، وليس هذا فقط ، بل هو يدلس على القراء - إن لم أقل يكذب عليهم - فإنه قال في المكان المشار إليه في تخريج أبي سعيد هذا المنكر بل الباطل : أخرجه غير واحد من أصحاب السنن كالإمام الواحدى !!

ووجه كذبه : أن المبتدئين في هذا العلم يعلمون أن الواحدى ليس من أصحاب السنن الأربعة ، وإنما هو مفسر يروى بأسانيده ما صح وما لم يصح ، وحديث أبي سعيد هذا مما لم يصح ، فقد أخرجه من طريق فيه متروك شديد الضعف ! كما هو مبين في المكان المشار إليه من الضعيفه.

وهذه من عادة الشيعة قديماً وحديثاً ، أنهم يستحلون الكذب على أهل السنه عملاً- في كتبهم وخطبهم ، بعد أن صرحوا باستحلالهم للتقيه ، كما صرح بذلك الخميني في كتابه كشف الأسرار ، وليس يخفى على أحد أن التقيه أخت الكذب ولذلك قال أعرف الناس بهم شيخ الإسلام ابن تيميه : الشيعة أكذب الطوائف وأنا

شخصياً قد لمست كذبهم لمس اليد في بعض مؤلفيهم ، وبخاصه عبد الحسين هذا ، والشاهد بين يديك فإنه فوق كذبه المذكوره أوهم القراء أن الحديث عند أهل السنه من المسلمات بسكوته عن علته ، وادعائه كثره طرقه.

وقد كان أصرح منه في الكذب الخميني فإنه صرح في الكتاب المذكور / ١٤٩ أن آيه العصمه نزلت يوم غدیر خم بشأن إمامه على بن أبي طالب ، باعتراف أهل السنه ، واتفاق الشيعة. كذا قال عامله الله بما يستحق. وسأزيد هذا الأمر بياناً في الضعيفه ، إن شاء الله تعالى. انتهى.

ونقول للباحث الألباني : أولاً : دع عنك التهم والشتائم وإصدار الأحكام ، وتصنيف من هم أصدق الطوائف الإسلاميه ومن هم أكذبتها ، فإن السنين والشييعين فيهم أنواع الناس .. ولكن النواصب لهم حكم خاص ..

ولا تنس أيها الباحث أن ابن تيميه الذي لم ينصف على بن أبي طالب (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لا يمكنه أن ينصف شيعة .. وقد دافعت أنت عن على (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ورددت ظلم ابن تيميه وإنكاره حديث الغدير (من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فصحت الحديث واعترفت مشكوراً بالحق ، وكتبت صفحات في ذلك في أحاديثك الصحيحه ٥ / ٣٣٠ برقم ١٧٥٠ ، ثم قلت في / ٣٤٤ :

إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته : أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيميه قد ضعّف الشطر الأول من الحديث ، وأما الشطر الآخر فزعم أنه كذب ! وهذا من مبالغاته الناتجه في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ، ويدقق النظر فيها. والله المستعان.

أما ما يذكره الشيعة في هذا الحديث وغيره أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال في على (رضى الله عنه) : إنه خليفتي من بعدى ، فلا يصح بوجه من الوجوه ، بل هو من أباطيلهم الكثيره التي دل الواقع التاريخي على كذبها ، لأنه لو فرض أن النبي قاله لوقع كما قال لأنه (وحى يوحى) والله سبحانه لا يخلف وعده !! انتهى.

ونلاحظ أن الشيخ الألباني تسرع أخيراً وجعل الإخبار التشريعي إخباراً غيبياً! وشتان ما بينهما.. فلو صح ذلك لانتقض حديثه الذي صححه وأحكمه ، وهو قول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (من كنت مولاه فعلى مولاه) فهو أيضاً (وحيّ يوحى) فوجب على قوله أن يكون على ولياً لكل المسلمين وسيداً لهم ، وأن يكونوا معه كالعييد كما كانوا مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. ولكن ذلك لم يتحقق ، بل لقد هاجموا بيت على وفاطمة (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فى اليوم الثانى لوفاه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أو الثالث ، وهددوا المعتصمين بإحراقه عليهم إن لم يخرجوا ويبيعوا .. ثم أجبروا علياً إجباراً على البيعه كما هو معروف ..

فقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : علىّ خليفتى من بعدى مثل قوله : من كنت مولاه فعلى مولاه ، وإذا كان الأول إخباراً عما سيقع فكذلك الثانى ، فكيف تحقق عكسه وصار معنى : من كنت سيده فعلى سيده ، أن الرعيه أجبروا سيدهم على بيعتهم؟!

إن الإخبار فى الحديثين تشريعى أيها المحدث ، وبياناً لتكليف المسلمين وما يجب عليهم ، وليس هو إخباراً غيبياً ، حتى لا يصح وقوع غيره !

ونقول له ثانياً : عندما ضَعَّفَ حديث سبب نزول آيه « والله يعصمك من الناس » هل جمعت طرقه ودققت النظر فيها فقلت (مراسيل ومعاضيل أكثرها) ؟

هل رأيت طرق الثعلبي ، وأبى نعيم ، والواحدى ، وأبى سعيد السجستاني ، والحسكاني ، وأسانيدهم ؟ فوجدتها كلها مرسله أو ضعيفه أو معضله ، ووجدت فى روايتها من لم تعتمد أنت عليهم ! أم وقعت فيما وقع فيه ابن تيميه مما انتقدته عليه؟!

على أى حال ، لم يفت الوقت ، فترجو أن تتفضل بملاحظه ما كتبناه فى تفسير الآيه ، وأن تدقق الطرق والأسانيد التى قدمناها ، وتبحثها بموازينك التى تريدها ، بشرط أن لا- تناقض ما كتبه فى كتبك ، ولا تضعف راوياً هنا لأنه روى فضيله لعلى ، وقد اعتمدت عليه وقبلت روايته فى مكان آخر !

ونذكر فيما يلى أسانيد مصدر واحد هو : كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني

عبد الله بن عبد الله بن أحمد العامري القرشي ، تلميذ الحاكم النيسابوري صاحب المستدرک. قال في كتابه المذكور ، بتحقيق
المحمودي : ١ / ٢٥٠ - ٢٥٧ :

٢٤٤ - أخبرنا أبو عبد الله الدينوري قراهه (قال :) حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق (بن إبراهيم) السني قال : أخبرني عبد
الرحمان بن حمدان قال : حدثنا محمد بن عثمان العبسي قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون قال : حدثنا علي بن عابس
عن الاعمش عن أبي الجحاف (داود بن أبي عوف) عن عطيه : عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي
طالب : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .»

٢٤٥ - أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ جملة (قال : أخبرنا) علي بن عبد الرحمان بن عيسى الدهقان بالكوفة قال : حدثنا
الحسين بن الحكم الحبري قال : حدثنا الحسن بن الحسين العرنى قال : حدثنا حبان بن علي العنزي قال : حدثنا الكلبي عن أبي
صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الآية (قال :) نزلت في علي أمر رسول الله
صلى الله عليه أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله بيد علي فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

٢٤٦ - رواه جماعة عن الحبري وأخرجه السبيعي في تفسيره عنه فكأنني سمعته من السبيعي ورواه جماعة عن الكلبي.

وطرق هذا الحديث مستقصاه في كتاب دعاء الهداه الى أداء حق الموالاه من تصنيفي في عشره أجزاء.

٢٤٧ - أخبرنا أبو بكر السكري قال : أخبرنا أبو عمرو المقرئ قال : أخبرنا الحسن بن سفيان قال : حدثني أحمد بن أزهر قال :
حدثنا عبد الرحمان بن عمرو بن جبلة قال : حدثنا عمر بن نعيم بن عمر بن قيس الماصر قال : سمعت جدي قال : حدثنا عبد الله
بن أبي أوفى قال : سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول يوم غدير خم وتلا هذه

الآية « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه ثم قال :
ألا من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ثم قال : اللهم اشهد.

٢٤٨ - أخبرنا عمرو بن محمد بن أحمد العدل بقراءة عليه من أصل سماع نسخته قال : أخبرنا زاهر بن أحمد قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنا المغيرة بن محمد قال : حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلى قال : حدثنى أبى قال : سمعت زياد بن المنذر يقول : كنت عند أبى جعفر محمد بن على وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له : عثمان الاعشى - كان يروى عن الحسن البصرى - فقال له : يا ابن رسول الله جعلنى الله فداك إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » فقال : لو أراد أن يخبر به لأخبر به ولكنه يخاف إن جبرئيل هبط على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صلاتهم ، فدلهم عليها. ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على زكاتهم ، فدلهم عليها. ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صيامهم ، فدلهم. ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على حجهم ، ففعل. ثم هبط فقال : إن الله يأمرك أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ليلزمهم الحجة فى جميع ذاك. فقال رسول الله : يا رب إن قومى قريبو عهد بالجاهلية ، وفيهم تنافس وفخر ، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم ، وإنى أخاف ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » يريد فما بلغت تامه « والله يعصمك من الناس » فلما ضمن الله (له) بالعصمه وخوفه أخذ بيد على بن أبى طالب ثم قال : يا أيها الناس من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه.

قال زياد : فقال عثمان : ما انصرفت الى بلدى بشيء أحب إلى من هذا الحديث.

٢٤٩ - حدثني علي بن موسى بن إسحاق عن محمد بن مسعود بن محمد قال : حدثنا سهل بن بحر قال : حدثنا الفضل بن شاذان ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة عن الكلبي عن أبي صالح : عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا : أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا حابا ابن عمه ، وأن يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله إليه : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » الآية ، فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم .

٢٥٠ - حدثني محمد بن القاسم بن أحمد في تفسيره قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الفقيه قال : حدثنا أبي قال : حدثنا سعد بن عبد الله قال : حدثنا أحمد بن عبد الله البرقي عن أبيه عن خلف بن عمار الاسدي عن أبي الحسن العبدى عن الاعمش عن عبايه بن ربيعى : عن عبد الله بن عباس عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (وساق) حديث المعراج الى أن قال : وإنى لم أبعث نبياً إلا جعلت له وزيراً وإنك رسول الله ، وإن علياً وزيرك . قال ابن عباس : فهبط رسول الله فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية ، حتى مضى (من) ذلك ستة أيام ، فأنزل الله تعالى : فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ، فاحتمل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى كان يوم الثامن عشر أنزل الله عليه « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » ثم إن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أمر بلالاً حتى يؤذن في الناس أن لا يبقى غداً أحداً إلا - خرج الى غدير خم ، فخرج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والناس من الغد فقال : يا أيها الناس إن الله أرسلني إليكم برسالة ، وإنى ضقت بها ذرعاً مخافة أن تتهموني وتكذبوني حتى عاتبنى ربي فيها بوعيد أنزله على بعد وعيد ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيهما ثم قال : أيها الناس الله مولاي وأنا مولاكم ، فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . وأنزل الله « اليوم أكملت لكم دينكم » . انتهى .

ص : ٢٠١

عن أبى صالح ، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا- : أمر الله تعالى نبيه محمداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن ينصب علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) علماً للناس ، ويخبرهم بولايته ، فتخوف رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يقولوا حابى ابن عمه ، وأن يطعنوا فى ذلك عليه ، فأوحى الله اليه : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ..

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين جميعاً ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن منصور بن يونس ، عن أبى الجارود ، عن أبى جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : سمعت أبا جعفر (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول : فرض الله عز وجل على العباد خمساً ، أخذوا أربعاً وتركوا واحده ، قلت : أتسميهن لى جعلت فداك ؟

فقال : الصلاة ، وكان الناس لا يدرون كيف يصلون ، فنزل جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال : يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم .

ثم نزلت الزكاه فقال : يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم .

ثم نزل الصوم ، فكان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إذا كان يوم عاشورا بعث الى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم ، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال .

ثم نزل الحج ، فنزل جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال : أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم .

ثم نزلت الولايه وكان كمال الدين بولايه على بن أبى طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال عند ذلك رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أمتى حديثو عهدٍ بالجاهليه ، ومتى أخبرتهم بهذا فى ابن عمى يقول قائل ويقول قائل ، فقلت فى نفسى من غير أن ينطق به لسانى ، فأتتنى عزيمه من الله عز وجل بتله ، أوعدنى إن لم أبلغ أن يعذبنى ، فنزلت : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى

القوم الكافرين ، فأخذ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بيد علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال : أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله ثم دعاه فأجابه ، فأوشك أن أدعى فأجيب ، وأنا مسؤولٌ وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟

فقالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك ، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين .

فقال : اللهم اشهد ، ثلاث مرات .

ثم قال : يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدى ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

- وفى بحار الأنوار : ٩٤ / ٣٠٠

ومن الدعوات فى يوم عيد الغدير ما ذكره محمد بن على الطرازى فى كتابه رويناه بإسنادنا الى عبد الله بن جعفر الحميرى قال : حدثنا هارون بن مسلم عن أبى الحسن الليثى ، عن أبى عبد الله جعفر بن محمد (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أنه قال لمن حضره من مواليه وشيعته : أتعرفون يوماً شيد الله به الإسلام ، وأظهر به منار الدين ، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا ؟

فقالوا : الله ورسوله وابن رسوله أعلم ، أيوم الفطر هو يا سيدنا ؟

قال : لا .

قالوا : أفيوم الأضحى هو ؟ قال : لا ، وهذان يومان جليلان شريفان ، ويوم منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وإن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لما انصرف من حجه الوداع ، وصار بغدير خم ، أمر الله عز وجل جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن يهبط على النبى وقت قيام الظهر من ذلك اليوم ، وأمره أن يقوم بولايه أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأن ينصبه علماً للناس بعده ، وأن يستخلفه فى أمته ، فهبط إليه وقال له : حبيبى محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك : قم فى هذا اليوم بولايه على ليكون علماً لأمتك بعدك يرجعون إليه ، ويكون لهم كأنت . فقال النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : حبيبى جبرئيل ، إنى أخاف تغير أصحابى لما قد وتروه ، وأن يبدوا ما يضمرون فيه ، فخرج وما لبث أن

ص : ٢٠٣

هبط بأمر الله فقال له : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس .

فقام رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذِعراً مرعوباً خائفاً من شدة الرمضاء وقدماه تشويان ، وأمر بأن ينظف الموضع ويقم ما تحت الدوح من الشوك وغيره ففعل ذلك ، ثم نادى بالصلاه جامعه فاجتمع المسلمون ، وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار ، ثم قام خطيباً ، وذكر الولاية فألزمها للناس جميعاً ، فأعلمهم أمر الله بذلك .

- وفي دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي : ١٤ / ١

وروينا عن أبي جعفر محمد بن علي صلى الله عليه أن رجلاً قال له : يا بن رسول الله إن الحسن البصرى حدثنا أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال : إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدرى ، وخشيت أن يكذبني الناس ، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني .

قال له أبو جعفر : فهل حدثكم بالرسالة ؟

قال : لا .

قال : أما والله إنه ليعلم ما هي ، ولكنه كتمها متعمداً !

قال الرجل : يا بن رسول الله جعلني الله فداك وما هي ؟

فقال : إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاه في كتابه ، فلم يدروا ما الصلاه ولا كيف يصلون ، فأمر الله عز وجل محمداً نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يبين لهم كيف يصلون .

فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاه مفسراً ...

وأمر بالزكاه ، فلم يدروا ما هي ، ففسرها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضه والإبل والبقر والغنم والزرع ، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاه إلا فسرته لأمته ، وبينه لهم .

وفرض عليهم الصوم ، فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون ، ففسره لهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وبين لهم ما يتقون في الصوم ، وكيف يصومون .

وأمر بالحج فأمر الله نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يفسر لهم كيف يحجون ، حتى أوضح لهم ذلك في سنته .

وأمر الله عز وجل بالولاية فقال : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راعون ، ففرض الله ولاية ولاء الأمر ، فلم يدروا ما هي ، فأمر الله نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يفسر لهم ما الولاية ، مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ذرعاً ، وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه ، فضاقت صدره وراجع ربه فأوحى إليه : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه يوم غدير خم ، ونادى لذلك الصلاة جامعه ، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب .

وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء ، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض ، فأنزل الله عز وجل : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .

قال أبو جعفر : يقول الله عز وجل : لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة ، قد أكملت لكم هذه الفرائض .

وروي عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنه قال : أوصى من آمن بالله وبى وصدقنى : بولاية علي بن أبي طالب ، فإن ولاءه ولائى ، أمر أمرنى به ربي ، وعهدٌ عهدى إليّ ، وأمرنى أن أبلغكموه عنه .

- وروى الحديث الأول فى شرح الأخبار : ١ / ١٠١ ، ونحوه فى : ٢ / ٢٧٦ ، وفيه :

فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : يا جبرائيل أمتى حديثه عهدٍ بجاهليه ، وأخاف عليهم أن يرتدوا ، فأنزل الله عز وجل : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - فى علي - فإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس .

فلم يجد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بداً من أن جمع الناس بغدير خم فقال : أيها الناس إن الله عز وجل بعثنى برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدنى إن لم أبلغها أن يعذبنى ، أفلستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنى مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم ؟

قالوا: بلى ، فأخذ بيد علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأقامه ورفع يده بيده وقال : فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، ومن كنت وليه فهذا علي وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار.

ثم قال أبو جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : فوجبت ولايه علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) علي كل مسلم ومسلمه. انتهى.

ورواه بنحوه في تفسير العياشي : ١ / ٣٣٣ ، وفيه :

كنت عند أبي جعفر محمد بن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالأبطح وهو يحدث الناس ، فقام اليه رجل من أهل البصره يقال له عثمان الأعشى ، كان يروى عن الحسن البصرى .. الخ. وقد تقدمت بعض رواياته في آيه إكمال الدين ، وهي في مصادرنا كثيره وصحيحه.

ملاحظات عامه حول الأقوال المخالفه

الملاحظه الأولى :

مع أن البخارى عقد للآيه في صحيحه باين : الأول في : ٥ / ٨٨ ، وروى فيه حديثاً عن عائشه في التبليغ وعدم الكتمان ، والثانى في : ٨ / ٩ ، وروى فيه عن الزهرى في التبليغ ، كما روى حديثين تضمننا الآيه في : ٦ / ٥٠ ، وفي : ٨ / ٢١٠ ، وكذا مسلم : ١ / ١١٠

مع هذا فلم يرويا ولا روى غيرهما من أصحاب الصحاح شيئاً في تفسير الآيه ، ما عدا روايه الترمذى في الحراسه ، والتي قال عنها إنها غريبه.

ونحن لا نرى أن عدم روايتهم لحديثٍ دليلاً ولا مؤشراً على ضعفه ، فكم من حديثٍ هو أصح مما فى الصحاح لم يرووه ، وكم من حديثٍ روته الصحاح ، وذكر له علماء الجرح والتعديل عللاً كثيره.

لكننا نريد القول : إن أصحاب الصحاح حريصون على رد مذهب أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وهم يعرفون أن آيه التبليغ هذه يستدل بها أهل البيت وشيعتهم على مذهبهم ، فلو كان عندهم روايه قويه فى ردها لرووها وكرروها ، حتى لا تبقى روايات الشيعة بلا معارض قوى.

ص: ٢٠٦

فمن ذلك نستكشف أن سبب تركهم روايتها ليس ضعف سندها ، بل ما رأوه من ضعف متنها ، وتعارض صيغها ، وورود الإشكالات على كل واحدٍ منها ! فاضطروا الى عدم الرد على روايات الشيعة ، وما وافقها من روايات السنه !!

الملاحظه الثانيه :

أن روايات السنين فى تاريخ نزول الآيه قد غطت الثلاث وعشرين سنه ، التى هى كل مده بعثه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ما عدا حجه الوداع التى نزلت فيها سوره المائده !

وهو أمر يوجب الشك فى أن الغرض من سعه تلك الروايات واستثنائها تلك الفتره وحدها ، هو التهرب من الفتره التاريخيه التى نزلت فيها السوره !

الملاحظه الثالثه :

أن سبب نزول الآيه فى مصادرنا سببٌ واحد ، بتاريخ واحد ، على نحو الجزم واليقين . أما فى مصادر إخواننا السنين فأسبابٌ متعدده ، بتاريخ متناقضه ، وعلماءؤهم منها فى شكٍ وحيره . وفى رواياتهم ما يوافق قول أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وإن لم يقبله خلفاء قريش !

وعندما نواجه من كتاب الله تعالى آيه يتفق المسلمون على أنها نزلت مره واحده فى تاريخ واحد ، ونجد أنهم يروون تاريخاً متفقاً عليه ، وفيهم أهل بيت نبهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ويروى بعضهم أسباباً أخرى متعارضه مختلفاً فيها .. فإن السبب المجمع على روايته يكون أقوى وأحق بالإتباع والفتوى .

تقييم الأقوال المخالفه على ضوء الآيه

فى الآيه خمس مسائل لا بد من تحديدها لمعرفة السبب الصحيح فى نزولها :

المسأله الأولى : فى المأمور به فى الآيه :

لا- يستقيم معنى الآيه الشريفه إلا بحمل « أنزل » فيها على الماضى الحقيقى ، لأنها قالت « بلغ ما أنزل اليك » ولم تقل : بلغ ما سوف ينزل اليك .. وبيان ذلك :

أولاً ، ظهور الفعل فى الماضى الحقيقى ، وعدم وجود قرينه توجب حمله على ما سوف ينزله الله تعالى فى المستقبل. بل لم أجد استعمال « أنزل » فى القرآن لما سوف ينزل أبداً ، على كثره وروده فى الآيات.

ثانياً ، أن الآيه نزلت فى آخر شهور نبوته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وإذا حملنا الفعل على المستقبل يكون معناها : إنك إن لم تبلغ ما سوف ننزله عليك فى هذه الشهور الباقية من نبوتك ، فإنك لم تبلغ رساله ربك أبداً ! وهو معنى لم تجئ به روايه ، ولم يقل به أحد من علماء الشيعة ، ولا السنه !

وإذا تعين حمل لفظ « أنزل اليك » على الماضى الحقيقى ، دلَّ على أن الله تعالى كان أنزل على رسوله أمراً ثقيلاً ، وأمره بتبليغه فكان الرسول يفكر فى ثقله على الناس ، وفى كيفية تبليغه لهم ، فجاءت الآيه لتقول له : لا- تتأخر فى التنفيذ ، ولا- تفكر فى موقف الناس ، هل يؤمنون أو يكفرون .. ولكن نظمئنك بأنهم سوف لن يكفروا ، وسنعصمك منهم. وهذا هو تفسير أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وما وافقه من أحاديث السنين.

المسأله الثانيه : فيما يصح الشرط والمشروط به فى التبليغ :

وقد اتضح ذلك من المسأله الأولى ، وأنه لا معنى لقولك : يا فلان بلغ رسائلى التى سوف أرسلها معك ، فإنك إن لم تفعل لم تبلغ رسائلى ! لأنه من المعلوم أنه إن لم يفعل ، فلم يبلغ رسائلك ، ويكون كلامك من نوع قول الشاعر :

وفسر الماء بعد الجهد بالماء !

نعم يصح أن تقول له عن رساله معينه فعليه أو مستقبليه : إن هذه الرساله مهمه وضروريه جداً ، وإن لم تبلغها ، فإنك لم تبلغ شيئاً من رسائلى !

- قال فى تفسير الميزان : ٤٩ / ٦ :

فالكلام موضوع فى صورته التهديد وحقيقته بيان أهميه الحكم ، وأنه بحيث لو لم يصل الى الناس ولم يراع حقه كان كأن لم يراع حق شىء من أجزاء الدين.

فقوله : وإن لم تفعل فما بلغت ، جملة شرطيه سيقى لبيان أهميه الشرط وجوداً

وعدماً ، لترتب الجزاء الأهم عليه وجوداً وهدماً ، وليست شرطيه مسوقه على طبع الشرطيات الدائره عندنا ، فإننا نستعمل إن الشرطيه طبعاً فيما نجعل تحقق الجزاء للجهل بتحقيق الشرط ، وحاشا ساحه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من أن يقدر القرآن فى حقه احتمال أن يبلغ الحكم النازل عليه من ربه ، وأن لا يبلغ ! انتهى.

المسأله الثالثه : فى نوع تخوف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) :

ولا بد من القول بأن الخوف الذى كان عند النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان خوفاً على الرساله ، وليس على شخصه من القتل أو الأذى ، وذلك لعصمته وتقواه وشجاعته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فإن الله تعالى كان أخبر رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الأيام الأولى لبعثته ، بثقل مسؤوليه النبوه والرساله ، وجسامه تبعاتها .. وكان صلوات الله عليه وآله موطناً نفسه على كل ذلك ، فلا معنى لأن يقال بأنه تلكاً بعد ذلك أو تباطأ أو امتنع فى أول البعثه ، أو فى وسطها أو فى آخرها ، حتى جاء التهديد والتطمين !!

وقد تبين مما تقدم أن الخوف على الرساله الذى كان يعيشه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عند نزول الآيه ، ليس إلا خوفه من ارتداد الأمه ، وعدم قبولها إمامه عترته من بعده.

المسأله الرابعه : فى معنى الناس فى الآيه :

- قال الفخر الرازى فى تفسيره : ٦ جزء ١٢ / ٥٠ :

واعلم أن المراد من « الناس » ها هنا الكفار بدليل قوله تعالى : إن الله لا يهدى القوم الكافرين ... لا يمكنهم مما يريدون. انتهى.

ولا يمكن قبول ذلك ، لأن نص الآيه العصمه من « الناس » وهو لفظ أعم من المسلمين والكفار ، فلا وجه لحصره بالكفار ..

وقد تصور الرازى أن المعصوم منهم هم الذين لا يهديهم الله تعالى ، وأن المعنى : إن الله سيعصمك من الكفار ولا يهديهم. ولكنه تصور خاطئ ، لأن ربط عدم هدايته تعالى للكفار بالآيه يتحقق من وجوه عديده .. فقد يكون المعنى : سيعصمك من كل الناس ، ولا يهدى من يقصدك بأذى لأنه كافر. أو يكون المعنى : بلغ وسيعصمك الله

من الناس ، ومن أبى ما تبلغه فهو كافر ، ولا يهديه الله تعالى. وقد ورد شبيه هذا المعنى فى البخارى : ٨ / ١٣٩ قال : عن أبى هريره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل أمتى يدخلون الجنة إلا- من أبى ! قالوا : يا رسول الله ومن أبى ! قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى. انتهى.

فإبقاء لفظه « الناس » على إطلاقها وشمولها للجميع ، يتناسب مع مصدر الأذى والخطر على النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذى هو غير محصور بالكفار ، بل يشمل المنافقين من الأمة أيضاً. بل عرفت أن الخطر كاد يكون عند نزول الآيه محصوراً فيهم. ولكن الرازى يريد إبعاد الهم فى الآيه عن المنافقين ، وإبعاد الأمر الإلهى فيها عن تبليغ ولايه أمير المؤمنين على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) !

المسألة الخامسة : فى معنى العصمه من الناس :

وقد اتضح مما تقدم أن العصمه الإلهيه الموعوده فى الآيه ، لا بد أن تكون متناسبه مع الخوف منهم ، ويكون معناها عصمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من أن يطعنوا فى نبوته ويتهموه بأنه حابى أسرته واستخلف عترته ، وقد كان من مقولاتهم المعروفه أن محمداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يريد أن يجمع النبوه والخلافه لبنى هاشم ، ويحرم قبائل قريش ..!!
وكانه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو الذى يملك النبوه والإمامه ويعطيها من جيبه !!

فهذا هو المعنى المتناسب مع خوف الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأنه كان يفكر بينه وبين نفسه بما سيحدث من تبليغه ولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

فهى عصمه فى حفظ نبوته عند قريش ، وليست عصمه من القتل أو الجرح أو الأذى ، كما ادعت الأقوال المخالفه. ولذلك لم تتغير حراسته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد نزول الآيه عما قبلها ، ولا تغيرت المخاطر والأذايا التى كان يواجهها ، بل زادت. والقدر المتيقن من هذه العصمه حفظ نبوه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى الأممه وإن ثقلت عليهم أوامره ، وقرروا مخالفته. والغرض منها بقاء النبوه ، وتمام الحجه لله تعالى.

وهى غير العصمه الإلهيه الأصلية للرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى أفعاله وأقواله وكل تصرفاته !

وقد وفى الله سبحانه لرسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عليه وآله بما وعد ، فقد أعلن (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى يوم الغدير خلافه على والعترة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ثم أمر أن تنصب لعلى خيمه ، وأن يهنؤوه بالولايه الإلهيه عليهم .. ففعلوا ! ولم يخذش أحد منهم فى نبوه النبو (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ولكنهم عندما توفى فعلوا ما يريدون ، وأقصوا علياً والعترة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بل أحرقوا بيتهم وأجبروهم على بيعه صاحبهم !!

مسألان تتعلقان بآيه العصمه من الناس

اشاره

يوجد مسألان ترتبطان بالآيه الشريفه ، نتعرض لهما باختصار :

المسأله الأولى : محاربه على عليه السلام بآيه تبليغ ولايته :

يشهد جميع المسلمين للنبي ٩ بأنه بلغ عن ربه كل ما أمره به ، ونصح لأمته ، وتحمل أكثر من جميع الأنبياء (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وآله.

لكنك تجد فى مصادر السنين تهمه للشيعه بأنهم يقولون إن النبو (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كتم أشياء ولم يبلغها الى الأمة ، والعياذ بالله. ويستدلون لردهم بآيه « بلغ ما أنزل اليك ».

- قال القرطبي فى تفسيره : ٢٤٣ / ٦

من قال إن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فقد كذب الله تعالى يقول : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، وقبح الله الروافض حيث قالوا : إنه صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما أوحى إليه كان بالناس حاجه إليه. انتهى.

- وقال القسطلانى فى إرشاد السارى : ١٠٦ / ٧

وقال الراغب فيما حكاه الطيبي : فإن قيل : كيف قال : وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، وذلك كقولك إن لم تبلغ فما بلغت !

قيل : معناه وإن لم تبلغ كل ما أنزل اليك ، تكون فى حكم من لم يبلغ شيئاً مما أنزل الله ، بخلاف ما قالت الشيعه إنه قد كتم أشياء على سبيل التقيه !. انتهى.

والظاهر أن قصه هذه التهمه وبيت القصيد فيها هو حديث عائشه القائل : من زعم أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كتم شيئاً من كتاب الله ، فقد أعظم على الله الفريه. وقد رووه عنها وأكثروا من روايته .. وقصدهم به الرد على علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وتكذيبه !

فقد كان علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول إنه وارث علم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وإن عنده غير القرآن حديث النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وموارثه .. فعنده جامعه فيها كل ما يحتاج اليه الناس حتى أرش الخدش.

وكان يقول إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد أخبره بما سيحدث على عترته من بعده حتى هجومهم على بيته وإحراقه ، وإجباره على بيعتهم ، وأنه أمره في كل ذلك بأوامره ..

ونحن الشيعة نعتقد بكل ذلك ، وتروى مصادرنا ، بل ومصادر السنين عن مقام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقربه من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ومكانته عنده ، وشهاداته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حقه ما يوجب اليقين بأن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان مأموراً من الله تعالى أن يعد علياً إعداداً خاصاً ، ويورثه علمه .. مضافاً الى ما أعطى الله علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من صفات ومؤهلات وإلهام .. ونعتقد بأن علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) طاهرٌ مطهر ، صادقٌ مصدق ، في كل ما يقوله ولو كان شهادةً لنفسه وعترته.

قال السيوطي في الدر المنثور : ٢٦٠ / ٦

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والواحدى ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، وابن النجارى ، عن بريده قال : قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لعلى : إن الله أمرنى أن أدنيك ، ولا أقصيك ، وأن أعلمك ، وأن تعى وحقُّ لك أن تعى. فنزلت هذه الآية : وتعيها أذن واعيه. انتهى.

ثم ذكر السيوطي روايه أبى نعيم فى الحليه وفيها : فأنت أذنٌ واعيه لعلى. انتهى.

وإذا كان حذيفه بن اليمان صاحب سر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهو من أتباع علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فإن علياً هو صاحب أسرار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وعلومه.

وقد روى الجميع أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عهد اليه أن يقاتل على تأويل القرآن من بعده ، وأخبره أنه سيقا تل الناكثين والقاسطين والمارقين !

بل الظاهر أن وصايا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لعلی كان بعضها معروفاً في حياته ، ومن ذلك وصيته له بأن يسجل مظلوميته ويقيم الحجج على القوم ، ولا يقاتلهم من أجل الخلافه .. فلو لم يكونوا يعرفون ذلك ، لما كانت عندهم جرأه أن يهاجموا علياً في بيته بعشرين مسلح أو خمسين ، ويفتحوا داره ، ثم يلقوا القبض عليه ، ويجروه بحمائل سيفه الى البيعه !!

لقد كان علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) معجزهً وأسطورهً في القوه والشجاعه ، وفي الهيبة والرعب في قلوب الناس .. وأكثر الذين هاجموا في داره كانوا معروفين بالخوف والفرار في عده حروب .. ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يجرأ أن يقف في وجه علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذا جرد ذا الفقار !!

ولكنهم كانوا مطمئنين أن إطاعته للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تغلب شجاعته وغيرته ، وأنه سيعمل بالوصيه ، ولن يجرد ذا الفقار ، حتى لو ضربت الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وأسقط جنينها !!

والحاصل أن الخلافه القرشيه قد ردت أقوال علي بأن عنده مواريث النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وعلمه ، ونفت أن يكون النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ورث عترته شيئاً لا علماً ولا أوقافاً ولا مالاً ! وبذلك صادر أبو بكر مزرعه فدك ، التي كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أعطها الى فاطمه (عَلَيْهَا السَّلَامُ) عندما نزل قوله تعالى « وآت ذا القربى حقه » !

بل زادت السلطه على نفى كلام علي ، وحاولت أن تستفيد من آيه الأمر بالتبليغ التي هي موضوع بحثنا فقالت : من قال إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد بلغه وحده أموراً وأحكاماً ، ولم يبلغها الى الأمه عامه ، فقد اتهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنه قصر في تبليغ الأمه ، وهو نوع من الكفر به (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !! ومقوله عائشه المتقدمه هي مقوله السلطه في رد قول علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ..

- قال البخارى في صحيحه : ١٨٨ / ٥ :

باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك. عن عائشه رضی الله عنها قالت : من حدثك أن محمداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كتم شيئاً مما أنزل عليه ، فقد كذب ، والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك. الآية. انتهى. ثم كرر البخارى ذلك في : ٥٠ / ٦ و ٢١٠ / ٨ ، ومسلم : ١٠ / ١ ، والترمذى : ٣٢٨ / ٤ ... وغيرهم.

ص: ٢١٣

ولكن هذه العمليه من السلطه تتضمن مغالطتين : فى توسيع معنى المأمور بتبليغه وفى توسيع معنى المأمور بتبليغهم !

كما تتضمن تحريفاً لمقوله على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وشيعته !

فليس كل شىء قاله الله تعالى لرسوله أو جب عليه أن يبلغه .. فإن علوم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وما أوحى الله اليه ، وما ألهمه إياه ، وما شاهده فى إسرائئه ومعراجه .. أوسع مما بلغه لعامة الناس ، بأضعافٍ مضاعفه ، ولا يمكن أن يوجب الله تعالى عليه تبليغها ، لأن الناس لا يطيقونها حتى لو كانوا مؤمنين !

ولا كل شىء أمره أن يبلغه ، أمره أن الى كل الناس بدون استثناء .. فهناك أمورٌ عامهٌ لكل الناس ، وقد بلغها لهم ، وأمور خاصهٌ لأناسٍ خاصين مؤمنين أو كافرين ، وقد بلغها لأصحابها ، مثل قوله تعالى « قل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً » .. الخ.

ولم يقل على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولا أحدٌ من شيعته إن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يبلغ ، بل قالوا إنه كلم الناس على قدر عقولهم ، وعلى قدر تحملهم وتقبلهم ، وأنه لذلك بلغ علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أكثر من غيره واستودعه علومه ، كما أمره الله تعالى ..

وليس فى هذا تهمة بعدم التبليغ ، كما زعم القرطبي والقسطلانى. بل هى قولٌ بتبليغٍ إضافيٍ خاصٍ بعلى والزهراء والحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) !

بل إن علياً وشيعته قالوا إن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد بلغ الأمه أموراً كثيره ، تتعلق بعترته وغيرهم كما ترى فى كتابنا هذا .. فتبليغه عندهم أوسع مما يقول به القرشيون.

ولكن القرشيين يظلمون علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ويفترون عليه ، ويتغاضون عن تصريح عمر بأن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يبين عده آيات مثل الكلاله والربا ! كما تقدم فى آيه إكمال الدين !!

والنتيجة أن الأمر بالتبليغ وامتثاله ، لا يتنافى مع تخصيص النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعلومٍ عن غيره ، لأن ذلك مما أمره بتبليغه له.

كما لا يتنافى مع التقيه التى قد يستعملها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مع قريش أو غيرها ، لأنه مأمورٌ بالعمل بالحكمه لأهداف الإسلام ، وبالتقيه ومداراه الناس ..

- ففى الكافى : ٢ / ١١٧ ، عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أمرنى ربه بمداراه الناس ، كما أمرنى بأداء الفرائض .

- وفى مجمع الزوائد ١٧ / ٨

عن أبى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد الى الناس .

وعن بريده قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل رجل من قريش فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربه ، فلما قام قال : يا بريده أتعرف هذا ؟

قلت : نعم ، هذا أوسط قريش حسباً ، وأكثرهم مالاً ، ثلاثاً .

فقلت يا رسول الله قد أنبأتك بعلمى فيه ، فأنت أعلم .

فقال : هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً .

وقد عقد البخارى فى صحيحه أكثر من باب لمداره الناس ، قال فى : ١٠٢ / ٧

باب المداراه مع الناس . ويذكر عن أبى الدرداء إنا لنكشر فى وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم ... عن عروه بن الزبير أن عائشه أخبرته أنه استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : إئذنوا له فبئس ابن العشيره أو بئس أخو العشيره ، فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت يا رسول الله : قلت ما قلت ، ثم ألتت له فى القول؟! فقال : أى عائشه إن شر الناس منزله عند الله من تركه أو ودعه الناس ، اتقاء فحشه . انتهى .

- وفى وسيط النيسابورى ٢ / ٢٠٨

وقال الأنبارى : كان النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكه ، ويخفى بعضه اشفاقاً على نفسه من شر المشركين اليه ، والى أصحابه ... انتهى .

المسأله الثانيه : الرد بالآيه على من زعم أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد سحر :

فقد استدل عددٌ من علماء الفريقين بالآيه على كذب الروايات التى تزعم أن يهودياً قد سحر النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فأخذ مشطه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وبعض شعره ، وجعل فيه سحراً ودفنه

فى بئر .. وزعموا أن ذلك السحر أثر فى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فصار يتخيل أنه فعل الأمر ولم يفعله !! وأنه بقى مدّة على تلك الحالة رجلاً- مسحوراً! حتى دله رجل أو ملك أو جبرئيل ، على الذى سحره وعلى البئر التى أودع المشط والمشاطه ، فذهب النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى البئر ، ولكنه لم يستخرج المشط منها ، لأنه كان شفى من السحر ، ولم يرد أن يثير فتنه ، فأمر بدفن البئر !!

فقد روى البخارى هذه التهمه عن عائشه فى خمس مواضع من صحيحه ، ففى : ٩١ / ٤ :

عن عائشه قالت : شَجَرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الليث كتب الى هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه عن عائشه قالت سحر النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى كان ذات يوم دعا ودعا ، ثم قال : أشعرت أن الله أفتانى فيما فيه شفائى ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما للآخر :

ما وجع الرجل ؟

قال : مطبوب !

قال : ومن طَبَّهُ ؟

قال : لبيد بن الأعصم ؟

قال : فى ماذا ؟

قال : فى مشط ومشاقه وجف طلعه ذكر !

قال : فأين هو ؟

قال : فى بئر ذروان !

فخرج اليها النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع فقال لعائشه حين رجع : نخلها كأنها روس الشياطين !

فقلت : استخرجته ؟

فقال : لا ، أما أنا فقد شفانى الله ، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً ، ثم

دفنت البئر!! انتهى. ورواه فى : ٤ / ٦٨ ، و : ٤ / ٢٨ - ٢٩ و ١٦٤ ، ورواه مسلم فى : ٧ / ١٤ ، وغيره .. وغيره .

وقد رد هذه التهمه علماء الشيعة قاطباً ، وقد تجرأ قليل من العلماء السنين على ردها ! ومما استدلوا به آيه (والله يعصمك من الناس) .

- قال الطوسى فى تفسير التبيان : ١ / ٣٨٤

ما روى من أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) سحر - وكان يرى أنه يفعل ما لم يفعله - فأخبار آحاد لا يلتفت اليها ، وحاشا النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من كل صفه نقص ، إذ تنفر من قبول قوله ، لأنه حجه الله على خلقه ، وصفيه من عباده ، واختاره الله على علم منه ، فكيف يجوز ذلك مع ما جنبه الله من الفظاظه والغلظه وغير ذلك من الأخلاق الدينيه والخلق المشينه ، ولا يجوز ذلك على الأنبياء إلا من لم يعرف مقدارهم ، ولا يعرفهم حقيقه معرفتهم . وقد قال الله تعالى : والله يعصمك من الناس ، وقد أكذب الله من قال : إن يتبعون إلا رجلاً مسحوراً فقال : وقال الظالمون إن يتبعون إلا رجلاً مسحوراً . فنعوذ بالله من الخذلان .

- وقال ابن إدريس العجلي فى السرائر : ٣ / ٥٣٤

والرسول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ما سِجِر عندنا بلا - خلاف ، لقوله تعالى : والله يعصمك من الناس . وعند بعض المخالفين أنه سِجِر ، وذلك بخلاف التنزيل المجيد !

- وقال المجلسى فى بحار الأنوار : ٦٠ / ٣٨

ومنها سوره الفلق ، فقد اتفق جمهور المسلمين على أنها نزلت فيما كان من سحر ليبيد بن أعصم اليهودى لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى مرض ثلاث ليال .

ومنها ما روى أن جاريه سحرت عايشه ، وأنه سحر ابن عمر حتى تكومت يده !

فإن قيل : لو صح السحر لأضرت السحره بجميع الأنبياء والصالحين ، ولحصلوا لأنفسهم (على) الملك العظيم ، وكيف يصح أن يسحر النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقد قال الله : والله يعصمك من الناس ، ولا يفلح الساحر حيث أتى ! وكانت الكفره يعييون النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنه مسحور ، مع القطع بأنهم كاذبون . انتهى .

ص : ٢١٧

وممن رد هذه التهمة من السنين : النووى فى المجموع : ١٩ / ٢٤٣ ، قال :

قلت : وأكتفى بهذا القدر من أحاديث سحر الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ... تنبيه : قال الشهاب بعد نقل فى التأويلات : عن أبى بكر الأصم أنه قال : إن حديث سحره صلى الله عليه وسلم المروى هنا متروكٌ لما يلزمه من صدق قول الكفره أنه مسحور ، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه .

ونقل الرازى عن القاضى أنه قال : هذه الروايه باطله ، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول : والله يعصمك من الناس ، وقال : ولا يفلح الساحر حيث أتى ، ولأن تجويزه يفضى الى القدح فى النبوه ، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا الى ضرر جميع الأنبياء والصالحين . انتهى .

- والرازى فى تفسيره : ١٦ جزء ٣٢ / ١٨٧ قال : قول جمهور المسلمين أن لبيد بن أعصم اليهودى سحر النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى إحدى عشره عقده ... فاعلم أن المعتزله أنكروا ذلك بأسرهم . وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول : والله يعصمك من الناس ... قال الأصحاب : هذه القصة قد صحت عند جمهور أهل النقل ... الخ . انتهى .

ولكن هؤلاء قله من علماء السنه ، فأكثرهم يقبلون أحاديث سحر نبيهم !!

وأصل المشكله عندهم أنهم يقبلون كلام عائشه وكلام البخارى مهما كان ، ولا يسمحون لأنفسهم ولا لأحدٍ أن يبغته وينقده .. وقد أوقعهم هذا المنهج فى مشكلات عقائديه عديده ، فى التوحيد والنبوه والشفاعه .. ومنها أحاديث بدء الوحي وورقه بن نوفل ، وحديث الغرانيق الذى أخذه المرتد سلمان رشدى وحرفه وسماه الآيات الشيطانيه .. ومنها أحاديث أن اليهود سحروا النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) التى رواها البخارى عن عائشه !

وقد تحيروا فيها كما رأيت ، ولم يجرأ أحد منهم على القول إنها من المكذوبات على عائشه ، أو من خيالات النساء ..

والرد الصحيح أن تهمة السحر تتنافى مع أصل النبوه ، وأنها تهمة الكفار التي برأ الله نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، منها بنص القرآن ، كما تقدم.

أما ردها بآيه العصمه فهو ضعيف ، لأنه قد يجاب عنه بأن آيه العصمه نزلت في آخر عمره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وقصه السحر المزعومه كانت قبلها.

وأما على تفسيرنا للآيه ، فقد عرفت أن القدر المتيقن من العصمه فيها عصمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من ارتداد قريش والمسلمين في حياته ، بسبب تليغته ولأيه عترته من بعده .. فيقتصر فيها على هذا القدر المتيقن ، ما لم يقد دليل على شمولها لغيره.

وقد أكثر المفسرون والشرح السنيون من الكلام في هذا الموضوع ، وتجشموا احتمالات كثيرة .. كل ذلك بسبب تفسيرهم الخاطيء للآيه وتصورهم أنها تفيد عصمته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من القتل والسم والجرح والأذى.

ومن ذلك أنهم تصوروا أن الآيه تعارض الروايه القائله إن موته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) استند الى اللقمه التي أكلها من الشاه المسمومه التي قدمتها اليه اليهوديه ، ثم أتاه جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأخبره فامتنع عن الأكل ، فانتقض عليه سم تلك اللقمه بعد سنه فتوفى بسببه ..

- قال في هامش الشفا ١ / ٣١٧ :

فإن قيل : ما الجمع بين قوله تعالى « والله يعصمك من الناس » وبين هذا الحديث المقتضى لعدم العصمه ، لأن موته (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالسم الصادر من اليهوديه ؟

والجواب : أن الآيه نزلت عام تبوك ، والسم كان بخير قبل ذلك.

* *

ومن ذلك ما تحيروا فيه من أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد تمنى القتل في سبيل الله تعالى ، مع أنه الآيه تدل على عصمته من القتل ، فهل يجوز أن يتمنى النبي شيئاً وهو يعلم أنه لا يكون؟! قال في فتح الباري في شرح البخارى : ٨ / ٢٦٤٤ : عن أبي هريره قال سمعت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقول .. والذي نفسى بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله

ص: ٢١٩

استشكل بعض الشراح صدور هذا التمني من النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بأنه لا يقتل ، وأجاب بن التين بأن ذلك لعله كان قبل نزول قوله تعالى : والله يعصمك من الناس ، وهو متعقب فإن نزولها كان في أوائل ما قدم المدينة ، وهذا الحديث صرح أبو هريره بأنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدم أبو هريره في أوائل سنه سبع من الهجره.

والذى يظهر فى الجواب : أن تمنى الفضل والخير لا يستلزم الوقوع ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : وددت لو أن موسى صبر ، كما سيأتى فى مكانه ، وسيأتى فى كتاب التمنى نظائر لذلك ، وكأنه صلى الله عليه وسلم أراد المبالغه فى بيان فضل الجهاد وتحريض المسلمين عليه ، قال بن التين : وهذا أشبه.

وحكى شيخنا بن الملقن أن بعض الناس زعم أن قوله (ولوددت) مدرج من كلام أبى هريره ، قال : وهو بعيد. ونحوه فى عمده القارى : ٧ جزء ١٤ / ٩٥

ونقول : لو ثبت ذلك عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لكان تمناً حقيقياً ، لأن الآيه إنما تضمن عدم رده الناس فى حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولا ربط لها بضمان عدم القتل والجرح والأذى.

**

قريش في حجة الوداع

رأيت في أحاديث حجة الوداع كيف ركز النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في خطبه وكلامه وتصرفاته على مقام أهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فبشر الأمة بالائمه الاثني عشر منهم .. وبلغها أن الله تعالى جعل وجوب طاعتهم الى جانب القرآن ، فسامهم مع القرآن (الثقلين) ، وأنه تعالى حرم عليهم الصدقات وجعل لهم ماله خاصه هي : الخمس .. الخ.

لقد كانت خطبه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في الحج ، وما رافقها من أعماله وأقواله ، في علي وفاطمه والحسن والحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، أقصى ما يمكن أن تتحمله قريش من ترسيخ قياده بنى هاشم ، و (حرمان) بقيه قبائل قريش من قياده حسب زعمهم ، بل تكريس قريش عبيداً لبقاء بنى هاشم !!

ولا تذكر المصادر السنيه رده الفعل الصريحه لزعماء قريش المعروفين على هذه الخطب والأعمال النبويه في حجة الوداع.

ومن الطبيعي أن لا تذكر ذلك .. فهل تريد من مصدر قرشى أن يعترف لك بأن

قريشاً لم تكن مرتاحه لكلام النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟! وأن سهيل بن عمرو ، وعكرمه بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية بن خلف ، وحكيم بن حزام ، وصهيب بن سنان ، وأبا الأعور السلمي ... وغيرهم ، وغيرهم .. كانوا مكفهرى الوجوه من تمهيد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لبني هاشم ، وأنهم نشطوا فى اتصالاتهم مع القرشيين المهاجرين ، من غير بنى هاشم لمعالجه هذا الإتجاه النبوى الخطير؟!!!

أما مصادرنا الشيعيه فتذكر أنهم نشطوا ضد بنى هاشم فى حجه الوداع ، وأن نشاطهم زاد فى منى فى أيام التشريق ، وكانت نتيجة مشاوراتهم ومحادثاتهم أن كتبوا بينهم صحيفه تسميها مصادرنا (الصحيفه الملعونه) لأنهم تعاهدوا فيها أن لا يسمحوا لبني هاشم أن يجمعوا بين النبوه والخلافه !

وتذكر أن بضعه نفر من ممثليهم انسلوا خفياً من منى الى مكه ، ووقعوا الصحيفه فى داخل الكعبه !

فكانت صحيفه قرشيه جديده ضد بنى هاشم ، ولكنها هذه المره ليست لمحاصرتهم فى الشعب باسم اللات والعزى .. بل لعزلهم سياسياً وحرمانهم من القياده بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، باسم الإسلام !!

وذكرت مصادرنا أن الله تعالى أطلع نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على هذه الصحيفه ، فأخبر أصحابها بفعاليتهم ، فارتعدت فرائضهم !

ولكنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اكتفى بإتمام الحجه عليهم ، وترك لهم حريه العمل وفق قانون تبليغ الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وواجبهم فى إقامه الحجه لله تعالى على عباده !

وإذا كان ما ذكرته الصحاح السننيه من لغطٍ وكلامٍ وضججٍ وصراخٍ فى وسط خطبه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى عرفات ، عندما وصل الى نسب الأئمه الإثنى عشر من بعده - إذا كان ذلك واحداً من فعاليات قريش المنظمه ضد بنى هاشم - فلا بد أن يكون النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنبهم عليه أيضاً ، وعرفهم أنه مطلعٌ عليه جيداً !!

على أى حال ، فقد اعتبر القرشيون أن حجة الوداع مرّت بسلام نسبياً ، فقد تحدث النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كثيراً عن بنى هاشم وعن عترته وعن ذريته من فاطمه ، وعن اختيار الله تعالى لهم ، وللأئمة منهم ، وعن تحريم الصدقات عليهم ، وفرض الخمس لهم .. ولكنه لم يتخذ إجراءً عملياً والحمد لله ، ولم يطلب من قريش والمسلمين أن يبائعوا علياً كبير العتره ، بصفته الإمام الأول من العتره !

أما النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقد اعتبر أنه بلغ رساله ربه فى عترته بأقصى ما يمكنه ، وأن قريشاً لا تتحمل أكثر من ذلك .. فقد وصل الأمر عندها الى آخر حدود الصبر ، ولو طلب منها بيعه على بخلافته ، فإنها قد تطعن فى نبوته وتتهمه بأن هدفه إقامه ملك لبني هاشم ، شبيهاً بملك كسرى وقيصر !!

وبذلك تستطيع قريش أن تقود حركه رده فى العرب ، وتخوفهم من القبول بملك بنى هاشم بعد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ملك يبدأ بعلى ثم يكون للحسن ثم للحسين ، ثم لا يخرج من أبناء فاطمه الى يوم القيامه !

وقد سجلت المصادر شبيه هذه العبارات ، على ألسنه زعماء قريش ! وكأن الملك ملك محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وكأنه هو الذى أعطاه أو يريد أن يعطيه لعترته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) !!

الوحى يضغط على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من السماء وقريش من الأرض

كان جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى حجة الوداع وظروفها المصيريه ينزل على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأوامر ربه ، وقد يكون رافقه طوال موسم الحج ، وأملى عليه عبارات خطبه ...

وكان مما قال له فى المدينه :

يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك إنه قد دنا أجلك ، وإنى مستقدمك على ، ويأمرك أن تدل أمتك على حجهم ، كما دللتهم على صلاتهم وزكاتهم وصيامهم.

وحج النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالمسلمين ، وعلمهم حجهم ، وواصل تركيز مبادئ الإسلام في نفوسهم ، ومكانه الأئمة من عترته ، كما مر في حديث الأئمة الإثني عشر ، وحديث الثقلين ، وحديث فرض الخمس لهم ، وتحريم الصدقات عليهم .. الخ.

وفي آخر أيام الحج نزل عليه جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن الله تعالى يأمرك أن تدل أمتك على وليهم ، فاعهد عهدك ، واعمد الى ما عندك من العلم وميراث الأنبياء فورثه إياه ، وأقمه للناس علماً ، فإنى لم أقبض نبياً من أنبيائى إلا بعد إكمال دينى ، ولم أترك أَرْضِي بغير حجه على خلقى ...

فأخذ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يفكر في طريقه الإعلان ، نظراً الى وضع قريش المتشنج ، وقال في نفسه : أمتى حديثو عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمى يقول قائل ، ويقول قائل ! لذلك قرر أن ينفذ هذا الأمر الإلهي الجديد في عترته ، بعد رجوعه الى المدينة ، بالتمهيد المناسب ، وبمعونه الأنصار ..

الوحي يوقف القافلة النبويه

ورحل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من مكة وهو ناوٍ أن يكون أول عمل يقوم به في المدينة إعلان ولايه عترته ، كما أمره ربه تعالى .

لكن في اليوم الثالث من مسيره ، عندما وصل الى كراع الغميم ، وهو كما في مراصد الإطلاع : موضع بين مكة والمدينة ، أمام عسفان بثمانية أميال .. جاءه جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لخمسة ساعات مضت من النهار ، وقال له : يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين » .

فخاف النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وخشع لربه ، وتَسَيَّمَر في مكانه ، وأصدر أمره الى المسلمين بالتوقف ، وكان أولهم قد وصل الى مشارف الجحفة ، وكانت الجحفة بلدة عامرة على بعد ميلين أو أقل من كراع الغميم ، ولكن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أراد تنفيذ الأمر الإلهي المشدد ، فوراً في المكان الذي نزل فيه الوحي !!

قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) للناس : أنيخوا ناقتي فوالله ما أبرح من هذا المكان حتى أبلغ رساله ربي .. وأمرهم أن يردوا من تقدم من المسلمين اليه ، ويوقفوا من تأخر منهم حين يصلون اليه ..

ونزل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن ناقته ، وكان جبرئيل الى جانبه ، ينظر اليه نظره الرضا ، وهو يراه يرتجف من خشيه ربه ، وعيناه تدمعان خشوعاً وهو يقول : تهديدٌ .. ووعدٌ ووعدٌ .. لأمضين في أمر الله ، فإن يتهموني ويكذبوني فهو أهون علي من أن يعاقبني العقوبه الموجهه في الدنيا والآخره !

وقبل أن يفارقه جبرئيل أشار اليه فنظر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فإذا على يمينه دوحه أشجار ، فودع جبرئيل ومال اليها ، وحطَّ رحال النبوه عند غدير حُجِّم.

قال بعض المسلمين : فيينا نحن كذلك ، إذ سمعنا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهو ينادى : أيها الناس أجيئوا داعي الله .. فأتيناه مسرعين في شده الحر ، فإذا هو واضعٌ بعض ثوبه على رأسه.

ونادى منادى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في الناس بالصلاه جامعه ، ووقت الصلاه لم يحن بعد ولكن حانت قبلها (صلاه) أخرى لا بد من أدائها قبل صلاه الظهر.

إنها فريضه ولايه عترته الطاهره ، ولا بد أن يبلغها عن ربه الى المسلمين مهما قال فيه قائلون ، وقال فيهم قائلون .. فقد شدد عليه ربه في ذلك : وأفهمه أن مسأله عترته ليست مسأله شخصيه تخصه .. وأنك إن كنت تخشى الناس ، فالله أحق أن تخشاه وسيعصمك منهم ، فاصدع بما تؤمر !!

ونزل المسلمون حول نبيهم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وكان ذلك اليوم قائظاً شديد الحر ، فأمرهم أن يكسحوا تحت الأشجار لتكون مكاناً لخطبه الولايه ، ثم للصلاه في ذلك الهجير ، وأمرهم أن ينصبوا له أحجاراً كهيته المنبر ، ليشرف على الناس ..

ورتب المسلمون المكان والمنبر ، ووضعوا على أحجاره حدائج الإبل ، فصار منصه أكثر ارتفاعاً ، وحسنًا ..

وورد المسلمون ماء الغدير فشربوا منه ، واستقوا ، وتوضؤوا .. وتجمعوا لاستماع الخطبه قبل الصلاه ، ولم يتسع لهم المكان تحت دوحه الغدير ، وكانت ستّ أشجارٍ كبيره ، فجلس كثير منهم فى الشمس ، أو استظل بظل ناقته ..

عرف الجميع أن أمراً قد حدث ، وأن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) سيخطب .. فقد نزل عليه وحياً أو حدث أمرٌ مهمٌ أوجب أن يوقفهم فى هذا الهجير ، ولا يصبر عليهم حتى يصلوا الى مدينه الجحفه العامره ، التى تبعد عنهم ميلين فقط !

كان مجموع المشاركين فى حجه الوداع من مئه ألف الى مئه وعشرين ألفاً كما ذكرت الروايات ، ولكن هذا العدد كان فى عرفات ومنى .. أما بعد تمام الحج فقد توزعوا ، فمنهم من أهل مكه وقد رجعوا اليها ، ومنهم بلادهم عن طريق الطائف فسلكوا طريقها ، وآخرون بلادهم عن طريق جده وما اليها ..

والذين هم مع الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن طريق الجحفه والمدينه أُلوفٌ كثيرهٌ أيضاً .. نحو عشره آلاف .. فقد قال الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مؤرخاً تضييع قريش لحادثه الغدير :

العجب مما لقى على بن أبى طالب ! إنه كان له عشره آلافٍ شاهدٍ ولم يقدر على أخذ حقه ، والرجل يأخذ حقه بشاهدين !!
الوسائل : ١٨ / ١٧٤.

* *

لم يدم طويلاً- تطلع المسلمين الى ما سيفعله النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وما سيقوله .. فقد رأوه صعد على منبر الأحجار والأحداج ، وبدأ باسم الله تعالى ، وأخذ يرتل قصيدهً نبويهً فى حمد الله تعالى ، والثناء عليه .. ويشهد الله والناس على عبوديته المطلقه لربه.

ثم قدم لهم عذره ، لأنه اضطر أن ينزلهم فى مكان قليل الماء والشجر ، وما أمهلهم حتى يصلوا الى بلده الجحفه المناسبه لنزول مثل هذا القافله الكبيره ، المتوفر فيها ما يحتاج اليه المسافر .. ولا انتظر بهم وقت الصلاه ، بل ناداهم قبل وقتها ، وكلفهم الإستماع اليه فى حر الظهيره ..

ص: ٢٢٦

وأخبرهم أنه نزل عليه جبرئيل ٧ في مسجد الخيف ، وأمره أن يقيم علياً للناس .. ثم قال لهم : إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً ، وخفت الناس أن يكذبوني ، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني : أمتي حديثو عهد بالجاهلية ، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي ، يقول قائل ، ويقول قائل ! فأتتني عزيمه من الله بتله (قاطعه) في هذا المكان ، وتواعدني إن لم أبلغها ليعذبني .

وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمه من الناس ، وهو الكافي الكريم ، فأوحى إلي : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين .

ثم قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : لا إله إلا هو ، لا يؤمن مكره ، ولا يخاف جوره ، أقرُّ له على نفسه بالعبودية ، وأشهد له بالربوبية ، وأودى ما أوحى إلي ، حذراً من أن لا أفعل فتحل بي منه قارعة ، لا يدفعها عني أحد ، وإن عظمت حيلته .

أيها الناس : إنني أوشك أن أدعى فأجيب ، فما أنتم قائلون ؟

فقالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت .

فقال : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق ؟

قالوا : يا رسول الله بلى .

فأوما رسول الله الي صدره وقال : وأنا معكم .

ثم قال رسول الله : أنا لكم فرط ، وأنتم واردون علي الحوض ، وسعته ما بين صنعاء الي بصرى ، فيه عدد الكواكب قدحان ، ماؤه أشد بياضاً من الفضة .. فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين .

فقام رجل فقال : يا رسول الله وما الثقلان ؟

قال : الأكبر : كتاب الله ، طرفه بيد الله ، وسبب طرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تزلوا ولا تضلوا .

والأصغر : عترتى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .. سألت ربي ذلك لهما فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تتخلفوا عنهم ففضلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس : أستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنى أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله.

قال : قم يا على . فقام على ، وأقامه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن يمينه ، وأخذ بيده ورفعها حتى بان بياض إبطيهما ، وقال :

من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار .

فاعلموا معاشر الناس أن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار ، وعلى التابعين لهم بإحسان ، وعلى البادى والحاضر ، وعلى الأعجمى والعربى ، والحر والمملوك ، والصغير والكبير .

فقام أحدهم فسأله وقال : يا رسول الله ولاؤه كماذا ؟

فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : ولاؤه كولاى ، من كنت أولى به من نفسه فعلى أولى به من نفسه !

وأفاض (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى بيان مكانه على والعترة الطاهرة والأئمة الإثنى عشر من بعده : على والحسن والحسين ، وتسعه من ذرية الحسين ، واحداً بعد واحد ، مع القرآن والقرآن معهم ، لا يفارقونه ولا يفارقهم ، حتى يردوا علىّ حوضى

ثم أشهد المسلمين مراتٍ أنه قد بلغ عن ربه .. فشهدوا له ..

وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب .. فوعدوه وقالوا : نعم ..

وقام اليه آخرون فسألوه ... فأجابهم ..

**

وما أن أتم خطبته ، حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » .
فكبر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقال : اللهُ أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، وولايه على
بعدي ...

ونزل عن المنبر ، وأمر أن تنصب لعلى خيمه ، وأن يهنئه المسلمون بولايته عليهم .. حتى أنه أمر نساءه بتهنئته ، فجئن الى باب
خيمته وهنأنه !

وكان من أوائل المهنيين عمر بن الخطاب فقال له : بخِ بخِ لك يا بن أبى طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة !

وجاء حسان بن ثابت ، وقال : إئذن لى يا رسول الله أن أقول فى على أبياتاً تسمعهن ، فقال : قل على بركة الله ، فأنشد حسان :

يناديهم يوم الغدير نبئهم

بخم فاسمع بالرسول مناديا

بقول فمن مولاكم ووثيكم

فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا

ولم تر منا فى الولاية عاصيا

فقال له قم يا على فإنى

رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه

فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم وال وليه

وكن للذى عادى علياً معاديا

أخذنا هذا التسلسل فى قصة الغدير من مصادرنا المتعدده مثل : كمال الدين وتمام النعمة للصدوق / ٢٧٦ ، والإحتجاج للطبرسى
: ١ / ٧٠ ، وروضه الواعظين للنيسابورى / ٨٩ ، والمسترشد / ١١٧ ، وغيرها .

وقد روت مصادر السنه حديث الغدير قريباً مما في مصادرنا ، وتجد ذلك في كتاب الغدير للأميني.

ونكتفي هنا بنقل روايه مسلم في صحيحه : ١٢٢ / ٧ قال :

عن يزيد ابن حيان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبره وعمر بن مسلم ، الى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا اليه قال له حصين :

ص : ٢٢٩

لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً.

حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال : يا ابن أخي ، والله لقد كبرت سننى وقدم عهدى ، ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبلوا ، وما لا ، فلا تكلفونيّه.

ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً ، بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال :

أما بعد ، ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين :

أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال :

وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى.

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقه بعده.

قال : ومن هم ؟

قال : هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس.

قال : كل هؤلاء حرم الصدقه

قال : نعم. انتهى. ورواه أحمد فى مسنده : ٢ / ٣٦٦ ، وغيره .. وغيره.

- وقال الحاكم فى المستدرک ٣ / ١٤٨

عن زيد بن أرقم (رضى الله عنه) قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وأهل بيتى ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض.

هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه. انتهى.

وقد رأيت أن مسلماً رواه ، ولكن لفظ الحاكم فيه إخبارٌ نبوى باستمرار وجود إمام من أهل بيته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى يوم القيامة.

- وانظر كيف صَوَّر ابن كثير القضية في بدايته : ٥ / ٤٠٨ ، قال :

لما تفرغ النبي من بيان المناسك ، ورجع الى المدينة خطب خطبه عظيمه الشأن في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة بغدير خم ، تحت شجره هناك ، فبين فيها أشياء ، وذكر في فضل علي بن أبي طالب وأمانته وعدله وقربه إليه ، وأزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه ، وقد اعتنى بأمر حديث غدير خم أبو جعفر الطبرى ، فجمع فيه مجلدين ، وأورد فيها طرقه وألفاظه ، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة. انتهى.

فقد جعل القضية أن كثيراً من المسلمين كانوا غاضبين من علي بن أبي طالب ، متحاملين عليه في أنفسهم ، فأوقف النبي المسلمين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في غدير خم ، لكي يثبت لهم براءة علي ويرضيهم عنه ، فذكر فضله وقربه منه (وأزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه) وبين في خطبته (أشياء) من هذا القبيل ! وكان الله يحب المحسنين !

إن هذا الأسلوب إنما يكتب به مؤرخٌ من عشيره بنى عبد الدار ، الذين قتل على منهم بضعة عشر فارساً منهم حملوا لواء قريش في وجه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولكن المؤرخ المسلم لا يستطيع أن يكتب به إلا .. إذا كان مبغضاً لعلي بن أبي طالب !

فهل عرفت لماذا يحب (السلفيون) ابن كثير ويهتمون بنشر كتبه !؟

لماذا الجحفة وغدير خم

والسؤال هنا : لماذا الوحي في طريق المدينة .. والصحراء والظهيره ؟

والجواب : أن الله تعالى قال بذلك لرسوله : المدينة أيها الرسول مثل مكة ، فإن بلغت ولايه عترتك فيها ، فقد تعلن قريش معارضتها ثم ردتها ! فموقفها من عترتك جازم ، ومستमित .. وبما أن واجبك التبليغ مجرد التبليغ ، وإنما بعثت للتبليغ ، فهو ممكنٌ هنا .. والزمان والمكان هنا مناسبان من جهات شتى ، فبلغ ولا تؤخر.

ص: ٢٣١

ومن أجل أن تكمل التبليغ وتوصل لهم رسالتى .. سوف أعصمك من قريش ، وأمسك بقلوبها وأذهانها ، وألجم شياطينها الحاضرين ، وأعالج آثار التبليغ ، وأحفظ نبوتك فيها .. ثم أملى لها بعدك ، فتأخذ دولتك وتضطهد عترتك .. حتى يتحقق فى أمتك وفى عترتك ما أريد ! ولا أسأل عما أفعل ، وهم يسألون.

* *

والسؤال هنا : كيف تمت عصمه الله تعالى لنبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من قريش ، فلم يحدث تشويش ، ولم يقم معترض ..! صحيح أن ثقل زعماء قريش كانوا فى مكة ، لكن بعضهم كان فى قافله الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وكان فيها قرشيون مهاجرون مؤيدون لهم ! فكيف سكتت قريش وضبطت أعصابها ، وهى تسمع تبليغ الرسول فى على والعترة ؟! ثم أشهدا النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على تبليغ ذلك .. فشهدت.

ثم طلب منها أن تبلغ الغائبين .. فوعدت.

ثم جاءت الى خيمه على وهنأته بالولايه ، وإمره المؤمنين !!

الجواب : أنه تعالى أراد للرساله أن تصل ، وللحجه أن تقام ، وأن يبقى رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) محفوظ الشخصية سالم النبوه .. فأسكت قريشاً بقدرته المطلقه ، وكمم أفواهها فى غدیر خم.

والظاهر أن قريشاً أخذت تقنع نفسها بأن المسأله فى غدیر خم ، ليست أكثر من إعلان وإعلام يضاف الى إعلانات حجه الوداع .. وأن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مازال حياً .. فإن مات ، فلكل حادثٍ حديث ..

وعندما أرادت قريش أن تخرج عن سكوتها ، وتخطو خطوه نحو الرده .. أنزل الله على ناطقها الرسمى النضر بن الحارث حجراً من سجيل فأهلكه ، وأرسل على آخر ناراً فأحرقته !! فزاد ذلك من قناعه قريش بالسكوت فعلاً عن ولايه العتره !

أما النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فكان تفكيره رسولياً ، وليس قرشياً ..

ص: ٢٣٢

لقد ارتاح ضميره بأنه بلغ رساله ربه كما أمره ، واتقى غضب ربه وعذابه ..

واغرورقت عيناه بدموع الفرح والخشوع ، لأن الله رضى عنه بإعلان ولايه على ، وأنزل عليه آيه إكمال الدين وإتمام النعمه ، فأخبره بأن مهمته وصلت الى ختامها ..

كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى عيدٍ ، لأنه أدى رساله من أصعب رسالات ربه ، فرضى عنه ، وقد تكون أصعب رساله عليه فى عمره النبوى على الإطلاق .. وتمت المسأله بسلام ولم تقم قائمه قريش ، ولم يصب جابر بن سمره وغيره بالصمم من لفظ الناس عند سماع كلمه عترتى ، أو كلمه على ، أو بنى هاشم.

ولم تحدث حركه عصيان منظمه ، كما حدثت فى المدينه عندما طلب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قبل وفاته بأربعه أيام ، أن يأتوه بدواه وقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً .. ولم تحدث حركه رده نهائياً ، والحمد لله !

ارتاح ضمير النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنه بلغ رساله ربه كما أمره .. وهذه هى الرساله التى روى الحسن البصرى أن الله أمر رسوله بها فضايق بها صدره ، فتوعده ربه بالعذاب إن لم يبلغها ، فخاف ربه وصدع بها .. ولكن الحسن البصرى كما قال الراوى راوغ فيها وراغ عنها ، ولم يخبرهم ما هى ! وكل غلمان قريش إخوان الحسن البصرى ، من الفرس وغيرهم ، يراوغون فيها وفى أمثالها ، ويخفون ما أنزل الله تعالى فى عتره نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يفكر ربانياً بأعلى مستوى من البيعه .. يفكر على مستوى الأمر الالهى والإختيار الالهى ، الذى لا خيره فيه لأحد ، ولا محل فيه للبيعه ، إلا إذا طلبها من الناس النبي أو الوصى ، فتجب.

فهذا هو منطق التبليغ ، وحسب !

ولذلك لم يشاورهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى بيعه على ، لأن اختيار الله تعالى لا يحتاج الى مشورتهم ، ولا بيعتهم ، ولا رضاهم ..

لقد أمر الله تعالى رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يشاورهم ليتألفهم ، ويسيروا معه فى الطريق الصحيح .. أما إذا عزمت فتوكل ، ولا تسمع لكلام مخلوق لأنك تسير بهدى الخالق !

أما إذا عزم الله تعالى واختار للأمة ولياً بعد نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وقال لنبيه بلغ ولا تخف ، ولست مسؤولاً عن إطاعه من أطاع ومعصيه من عصى .. فهل يبقى للمشاورة محلٌّ من الإعراب ! وهل يبقى للبيعه محلٌّ من الإعراب !

لقد طلب منهم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تهنئه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إقراراً بالإختيار الالهى ، وهى تهنئه أقوى من البيعه ، وألزم منها للأعناق .. ثم ليفعلوا بعدها ما يحلو لهم .. فإنما على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يبلغهم ، وحسابهم على من يملك كل الأوراق ، ويملك الدنيا والآخرة ، ويفعل ما يريد .. سبحانه وتعالى !

وتدل رواياتنا على أنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طلب منهم مع التهنئه البيعه ، فيكون معناها أنه طلب منهم أيضاً إعلان التزامهم بإطاعه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .. فأعلنوا !

ولكن الأمر من ناحيه شرعيه وحقوقيه ، لا يختلف ، سواء أمرهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ببيعه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أم أمرهم بتهنئته فقط .. فإن تبليغ الولايه أقوى من التهنئه ، والتهنئه أقوى من البيعه .. فالتبليغ اصطفاء ، والتهنئه خضوع ، والبيعه وعدٌ بالالتزام.

لقد سكتت قريش أنياً بسبب أنها لم تكن حاضرةً كلها فى الجحفة .. وبسبب عنصر المفاجأه ، وظرف المكان والزمان.

ولعلها كانت تقنع نفسها بأن منطق التفكير النبوى يبقى لها مساحه للعمل ..

ذلك أن التبليغ وإتمام الحجه كلامٌ تركيٌّ عند قريش الناطقه بالضاد !

وحتى البيعه المأمور بها من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يمكن لقريش أن تجعلها مثل المراسم الدينيه الأخرى ، وتجردها من معنى إمامه على وقياده عتره النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من بعده !

فالباب فى تصور قريش مازال مفتوحاً أمامها للتصرف !!

المنطق النبوى حقق أهدافه وفضح قريشاً

نقلت المصادر السنيه ندم الخليفه القرشى أبى بكر على إصداره أمراً بمهاجمه بيت على وفاطمه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فى اليوم الثانى أو الثالث لوفاه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

عن عبد الرحمن بن عوف قال : دخلت على أبى بكر أعوده فى مرضه الذى توفى فيه ، فسلمت عليه وسألته : كيف أصبحت ؟

فاستوى جالساً فقال : أصبحت بحمد الله بارئاً ، فقال : أما إنى على ما ترى وجع وجعلتم لى شغلاً مع وجعى !

جعلت لكم عهداً من بعدى ، واخترت لكم خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم لذلك أنفه ، رجاء أن يكون الأمر له !

ورأيت الدنيا أقبلت ، ولما تقبل ، وهى خائنه ، وستنجدون بيوتكم بستور الحرير ونضائد الديباج ، وتألّمون النوم على الصوف الأذربى ، كأن أحدكم على حسك السعدان (يقصد أنكم من ترفكم سترون السجاد الأذربيجانى خشناً لئلا ينامكم مثل الشوك) .

والله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه فى غير حد ، خير له من أن يسبح فى غمره الدنيا .

ثم قال : أما إنى لا آسى على شىء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أنى لم أفعلهن ، وثلاث لم أفعلهن وددت أنى فعلتهن ، وثلاث وددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن .

فأما الثلاث التى وددت أنى لم أفعلهن : فوددت أنى لم أكن كشفت بيت فاطمه وتركته ، وإن أغلق على الحرب .

ووددت أنى يوم سقيفه بنى ساعده ، قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين ، أبى عبيده أو عمر ، وكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً .

ووددت أنى حين وجهت خالد بن الوليد الى أهل الردة ، أقمت بذى القصة ، فإن ظفر المسلمون ظفروا ، وإلا كنت رداءً ومدداً .

وأما الثلاث اللاتى وددت أنى فعلتها : فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث أسيراً ضربت عنقه ، فإنه يخيل إلى أنه لا يكون شرّاً إلا طار إليه .

ووددت أنى يوم أتيت بالفجاءه السلمى ، لم أكن أحرقته ، وقتلته سريحا أو أطلقته نجيحاً.

ووددت أنى حين وجهت خالد بن الوليد الى الشام ، وجهت عمر الى العراق فأكون قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله عز وجل.

وأما الثلاث اللاتى ووددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن :

فوددت أنى سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازع أهله.

ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر سبب ؟

ووددت أنى سألته عن العمه وبنت الأخ ، فإن فى نفسى منهما حاجه. انتهى.

وغرضنا من النص بيان حاله الخليفه وأنه يقصد بقوله (ووددت أنى لم أكن كشفت بيت فاطمه وتركته وإن أغلق على الحرب) أنه نادى على مهاجمه البيت ، حتى لو كان أهله يعدون العده لحربه !

وخلاصه القصه : أن أبا بكر أرسل الى على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يطلب منه أن يبايعه ، فامتنع على عن بيعته ، وأجابهم جواباً شديداً ، اتهمهم فيه.

وبلغ أبا بكر أن عدداً من الأنصار والمهاجرين اجتمعوا فى بيت على الذى كان يعرف ببيت فاطمه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، فأشار عليه عمر بأن يهاجموا البيت ويهددوهم بإحراقه عليهم ، إن لم يخرجوا ويبايعوا !

وبالفعل هاجمت مجموعه بقياده عمر بن الخطاب بيت الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وحاصروه وجمّعوا الحطب على باب داره ، وهددوا علياً وفاطمه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) والذين كانوا فى البيت - ومنهم مؤيدون لموقف على ، ومنهم جاؤوا معزين بوفاه النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - هددوهم بأنهم إما أن يخرجوا ويبايعوا أبا بكر ، أو يحرقوا عليهم الدار بمن فيه !

وبالفعل أشعلوا الحطب فى باب الدار الخارجى !!

ولم يشأ على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن يخرج اليهم بذى الفقار عملاً- بوصيه النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، حيث كان أخبره بكل ما سيحدث ، وأمره فيه بأوامره .. فخرجت اليهم فاطمه الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ)

فأهانوها وضربوها ، حتى أسقطت جينها .. الى آخر تلك الأحداث المؤلمه لقلب كل مسلم ..

فى ذلك الظرف ، قرر على وفاطمه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أن يستنهضا الأنصار ويطالباهم بالوفاء ببيعه العقبه ، التى شرط عليهم النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فيها أن يحموه وأهل بيته وذريته ، مما يحمون منه أنفسهم وذرايرهم ، فبايعوه على ذلك !

وكانت فاطمه (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مريضه مما حدث لها فى الهجوم على بيتها ، فأركبها على ٧ على دابه ، وأخذها معها أولادهما الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، وجالوا على بيوت رؤساء الأنصار فى تلك الليله التى بعدها ، وكلمتهم فاطمه (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فكان قول أكثرهم : يا بنت رسول الله ، لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبى بكر ، ما عدلنا بعلى أحداً ! فقالت الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) :

وهل ترك أبى يوم غدِيرِ خَمَّ لأحدٍ عذراً!! (الخصال / ١٧٣)

إن منطق الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) هو منطق أبيها رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تماماً .. فهى بضعة منه ، وهى مطهرة من منطق المثاقيلين الى الأرض وتفكيرهم .. وكل تكوينها وتفكيرها ومشاعرها وتصرفاتها ربانيه ، ولذلك قال عنها أبوها (إن الله يرضى لرضا فاطمه ، ويغضب لغضبها !) ذلك أنها ليس لها شخصيتان : واحدة رساليه والأخرى شخصيه ، فتغلب هذه مره وهذه مره ، بل وجودها موحدٌ منسجمٌ دائماً .. فهى أمه هذا الرب العظيم لا غير ، وتابعه هذا الرسول والأب الحبيب لا غير .. (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وفاطمه الزهراء تعرف أنه سبحانه يتعامل مع الناس بإقامه الحججه عليهم فى أصول الإسلام وتفصيله ، فى أسس العقيدة وجزئيات الشريعه ، وفيما يجب على الأمه فى حياه نبيها ، وبعد وفاته ..

وقد أقام أبوها الحججه لربه كامله غير منقوصه ، فى جميع الأمور ، ومن أعظمها حق زوجها على ، وولديها الحسن والحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الذين أعطاهم الله حق الولاية على الأمه بعد أبيها !

بهذا المنطق قالت الزهراء ٣ للأُنصار : إن جوابكم لى جواب سياسى .. ومنطق الحجج الإلهيه أعلى من منطق اللعب السياسيه ، ومهيمنٌ عليه ، ومتقدم عليه رتبته ، وفاضحٌ له .. فقد بَلَغَ أبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن ربه ، وأخبركم أن المالك العظيم سبحانه قد قضى الأمر ، وجعل لأمه رسوله ولياً .. فمتى كان لكم الخيره من أمركم حتى تختاروا زيدا أو عمراً ، بعد أن قضى الله ورسوله أمراً !!

فالحجج عليكم تامه من أبى ، والآمن منى ، ونعم الموعدُ القيامه ، والزعيمُ محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وعند الساعه يخسر المبطلون !

**

لقد كان إعلان غدیر خمّ عملاً ربانياً خالداً ، بمنطق التبليغ والأعمال الرسوليّه .. وكانت الأعمال المقابله له أعمالاً قويه بمنطق الأعمال السياسيه ، وفرض الأمر الواقع .. والعمل السياسى قد يغلب العمل الرسولى .. ولكنها غلبه سياسيه جوفاء بلا حجج ! ولو استمرت سنين ، أو قروناً ، أو الى ظهور المهدي الموعود (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

**

ص: ٢٣٨

آخر ما نزل من القرآن

ليس من المبالغه القول : إن البحث الجاد فى أسباب نزول آيات القرآن وسوره ، من شأنه أن يحدث تحولاً علمياً ، لأنه سيكشف العديد من الحقائق ، ويبطل بعض المسلمات التى تصور الناس لقرون طويله أنها حقائق ثابتة !

ذلك أن الجانب الرياضى فى أسباب النزول أقوى منه فى موضوعات التفسير الأخرى ..

فعندما تجد خمس روايات فى سبب نزول آيه ، وكل واحده منها تذكر سبباً وتاريخاً لنزولها ، وهى متناقضه فى المكان أو الزمان أو الحادثه .. فلا يمكنك أن تقول كلها مقبوله وكل رواياتها صحابه ، وكلهم نجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا ..

بل لابد أن يكون السبب وأحدًا من هذه الأسباب ، أو من غيرها ، والباقي غير صحيح !

ولهذه الطبيعه المحدده فى سبب النزول ، كانت ماده أسباب النزول ماده حاسمه فى تفسير القرآن .. وإن كانت صعوبه البحث فيها تعادل غناها ، بل قد تزيد عليه أحياناً ، لكثرة التشويش والتناقض والوضع فى رواياتها !

ومهما يكن الأمر ، فلا بد للباحثين في تفسير القرآن وعلومه ، أن يدخلوا هذا الباب بفعاليهٍ وصبر ، ويقدموا نتائج بحوثهم الى الأمت والأجيال ، لأنها ستكون نتائج جديدة ومفيدة في فهم القرآن والسيرة ، بل في فهم العقائد والفقہ والإسلام عموماً ..

وأكتفى من هذا الموضوع بهذه الإشارة لنستفيد في موضوعنا من أسباب النزول.

* *

ليس من العجيب أن يختلف المسلمون في أول آيات نزلت على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، لأنهم لم يكونوا مسلمين آنذاك .. ثم إنهم باستثناء القله ، لم يكتبوا ما سمعوه من نبيهم في حياته ، فاختلفوا بعده في أحاديثه وسيرته.

ولهذا لا نعجب إذا وجدنا أربعة أقوال في تعيين أول ما أنزله الله تعالى من كتابه : أنه سورة اقرأ . وأنه سورة المدثر . وأنه سورة الفاتحه . وأنه البسملة .. كما في الإتيان للسيوطي : ٩١ / ١

ولكن العجيب اختلافهم في آخر ما نزل من القرآن ، وقد كانوا دولهً وأمةً ملتفةً حول نبيها ، وقد أعلن لهم نبيهم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنه راحلٌ عنهم عن قريب ، وحج معهم حجه الوداع ، ومرض قبل وفاته مدةً ، وودعوه وودعهم !!

فلماذا اختلفوا في آخر آية أو سورة نزلت عليه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !!؟

الجواب : أن الأغراض الشخصية والسياسية لم تدخل في مسأله أول ما نزل من القرآن كما دخلت في مسأله آخر ما نزل منه .. كما ستري !!

سوره المائده آخر ما نزل من القرآن

يصل الباحث في مصادر الحديث والفقہ والتفسير الى أن سوره المائده آخر سوره نزلت من القرآن .. وأن آيه « اليوم أكملت لكم دينكم » نزلت بعد إكمال نزول جميع الفرائض .. وأن بعض الصحابه حاولوا أن يجعلوا بدل المائده سوراً أخرى ، وبدل آيه إكمال الدين ، آيات أخرى !

ص: ٢٤٠

- قال العياشى فى تفسيره : ٢٨٨ / ١

عن عيسى بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جده ، عن على (عليه السلام) قال : كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً ، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بآخره ، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة ، فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء . لقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء ، وثقل عليه الوحي ، حتى وقفت وتدللى بطنها ، حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض ، وأغمى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى وضع يده على ذؤابه شبيه بن وهب الجمحى ، ثم رفع ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقرأ علينا سورة المائدة ، فعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعملنا . انتهى .

ويقصد على (عليه السلام) بذلك : أن المسح على القدمين فى الوضوء هو الواجب ، وليس غسلهما ، لأن المسح نزل فى سورة المائدة ، وعمل به النبى (صلى الله عليه وآله) والمسلمون ولم ينسخ . ورواه فى تفسير نور الثقلين : ١ / ٥٨٢ و : ٥ / ٤٤٧

- وفى الكافى : ٢٨٩ / ١

على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبى عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن زراره والفضيل بن يسار وبكير بن أعين ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية وأبى الجارود ، جميعاً عن أبى جعفر (عليه السلام) قال : أمر الله عز وجل رسوله بولاية على وأنزل عليه : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وفرض ولايته أولى الأمر ، فلم يدروا ما هى ؟ فأمر الله محمداً (صلى الله عليه وآله) أن يفسر لهم الولاية ، كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتخوف أن يرتدوا عن دينهم ، وأن يكذبوه ، فضاقت صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، فصدع بأمر الله تعالى ذكره ، فقام بولاية على (عليه السلام) يوم غدير خم ، فنادى الصلاة جامعه ، وأمر الناس أن يبلغوا الشاهد الغائب -

ص : ٢٤١

قال عمر بن أذنيه : قالوا جميعاً غير أبي الجارود - وقال أبو جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض ، فأنزل الله عز وجل : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي . قال أبو جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : يقول الله عز وجل : لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة ، قد أكملت لكم الفرائض .

- وفي تاريخ يعقوبى : ٢ / ٤٣

وقد قيل إن آخر ما نزل عليه : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، وهى الرواية الصحيحة ، الثابتة الصريحة .

مصادر السنين الموافقه لرأى أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

- الدر المنثور : ٢ / ٢٥٢

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، عن أبي مسيره قال : آخر سورة أنزلت سورة المائدة ، وإن فيها لسبع عشره فريضة .

- المحلى : ٩ / ٤٠٧

روينا من طريق عائشه أم المؤمنين رضى الله عنهما أن سورة المائدة آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها حلالاً - فحللوه ، وما وجدتم فيها حراماً فحرموه . وهذه الآية فى المائدة فبطل أنها منسوخه ، وصح أنها محكمة .

- المحلى : ٧ / ٣٨٩

فإن هذا قد عارضه ما رويناها عنها من طريق ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن جرى بن كليب ، عن جبير بن نفير قال : قالت لى عائشه أم المؤمنين : هل تقرأ سورة المائدة ؟ قلت : نعم ؟ قالت : أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها حراماً فحرموه . انتهى . ورواه أحمد فى مسنده : ٦ / ١٨٨ ، ورواه البيهقى فى سننه : ٧ / ١٧٢ عن ابن نفير ، ونحوه عن عبد الله بن عمرو . ورواه فى طبقات الحنابلة : ١ / ٤٢٧ ، ورواه الحاكم : ٢ / ٣١١ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ص : ٢٤٢

ثم روى عن عبد الله بن عمرو أن آخر سورة نزلت سورة المائدة وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى. واستعرف أنهما لم يخرجاه مراعاة لعمر حيث ادعى أن آخر ما نزل من القرآن غير المائدة.

- وفي مجمع الزوائد : ١ / ٢٥٦

وعن ابن عباس أنه قال : ذكر المسح على الخفين ، وعند عمر سعد وعبد الله بن عمر ، فقال عمر : سعد أفتقه منك ، فقال عبد الله بن عباس : ياسعد إنا لا ننكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح ، ولكن هل مسح منذ نزلت المائدة ، فإنها أحكمت كل شيء ، وكانت آخر سورة نزلت من القرآن ، ألا تراه قال ...

فلم يتكلم أحد.

رواه الطبراني في الأوسط ، وروى ابن ماجه طرفاً منه ، وفيه عبيد بن عبيده التمار وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يُغرب. انتهى.

يقصد الهيثمي أن الرواية ضعيفة بهذا الراوى ، الذى هو ثقة عند ابن حبان ، ولكنه يروى روايات غريبه ، أى مخالفه لمقررات المذهب الرسمى الذى يقول إن الواجب هو غسل الرجلين فى الوضوء ، ويقول إن المائدة ليست آخر سورة نزلت !

- وفى الدر المنثور : ٢ / ٢٥٢

وأخرج أبو عبيد عن ضميره بن حبيب وعطيه بن قيس قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المائدة (من) آخر القرآن تنزيلاً ، فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها. انتهى.

ويشك الإنسان فى كلمه (من) التى تفردت بها هذه الرواية ، وكأن راويها أضافها للمصالحه بين الواقع وبين ما تبنته السلطه ، وجعلته مشهوراً.

- وفى تفسير التبيان : ٣ / ٤١٣

وقال عبد الله بن عمر : آخر سورة نزلت المائدة.

ص : ٢٤٣

ونقل ابن كثير من طريق أحمد والحاكم والنسائي عن عايشه : أن المائدة آخر سورة نزلت. انتهى.

ويتضح من مجموع ذلك أن المتسالم عليه عند أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أن آخر ما نزل من القرآن سورة المائدة .. وأنه مؤيدٌ برواياتٍ صحيحة وكثيرة ، في مصادر إخواننا .. بل يمكن القول بأن آيه « اليوم أكملت لكم دينكم » وحدها تكفي دليلاً على أنها آخر نزلت في آخر ما نزل من كتاب الله تعالى ، لأنها تنص على أن نزول الفرائض قد تمت بها ، فلا يصح القول بأنه نزل بعدها فريضه ، على أنه وردت نصوصٌ بذلك كما تقدم عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وكما سيأتي من روايه الطبري والبيهقي وقول السدي. وعليه ، فكل ما نزل بعدها من القرآن ، لا بد أن يكون خالياً من الفرائض والأحكام ، لأن التشريع قد تم بنزولها ، فلا حكم بعدها !

الآراء المخالفة والمتناقضة

ولكن هذا الأمر المحدد الواضح ، صار غير واضحٍ ولا محددٍ عندهم !! وكثرت فيه الروايات وتناقضت ! وزاد في الطين بله أن المتناقض منها صحيحٌ بمقاييسهم ! وأنها آراء صحابه كبارٍ لا يجرؤون على ردهم !

ولعل السيوطي استحي من كثرة الأقوال في آخر ما نزل من القرآن ، فأجملها إجمالاً ، ولم يعددها أولاً وثانياً كما عدد الأقوال الأربعة في أول ما نزل !!

ونحن نعددها باختصار ، لنرى أسباب نشأتها !

١ - أن آخر آيه هي آيه الربا ، وهي الآية ٢٧٨ من سورة البقره.

٢ - أن آخر آيه هي آيه الكلاله ، أي الورثه من الأقرباء غير المباشرين ، وهي الآية ١٧٦ من سورة النساء.

٣ - أن آخر آيه هي آيه (واثقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ..) البقره - ٢٨١.

٤ - أن آخر آيه هي آيه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... » التوبه - ١٢٨.

٥ - أن آخر آيه هي آيه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ... » الأنبياء - ٢٥.

٦ - أن آخر آيه هي آيه (فمن كان يرجو لقاء ربه ... » الكهف - ١١٠.

٧ - أن آخر آيه هي آيه (ومن يقتل مؤمناً متعمداً ... » النساء - ٩٣.

٨ - أن آخر سورة نزلت هي سورة التوبه.

٩ - أن آخر سورة نزلت هي سورة النصر.

هذا ما جاء فقط في إتقان السيوطي ١ / ١٠١ ، وقد تبلغ أقوالهم ورواياتهم ضعف هذا العدد ، لمن يتتبع المصادر !!

كيف نشأت هذه الآراء المتناقضه

القصة التاليه تعطينا ضوءاً على نشأه هذا الإضطراب والضياح :

سئل الخليفه عمر ذات يوم عن تفسير آيه الربا وأحكام الربا ، فلم يعرفها فقال : أنا متأسف ، لأن هذه الآيه آخر آيه نزلت ، وقد توفي النبي ولم يفسرها لي !

ومن يومها دخلت آيات الربا على الخط ، وشوشت على سورة المائده ، وصار ختام ما نزل من القرآن مردداً بين المائده ، وبين آيات الربا !

ولكن الربا ذكر في أربع سور من القرآن : في الآيتين ٢٧٥ - ٢٧٦ من سورة البقره والآيه ١٦١ من سورة النساء ، والآيه ٣٩ من الروم ، والآيه ١٣٠ من آل عمران ... وبعض هذه السور مكي وبعضها مدني ! فأى آيه منها قصد الخليفه ؟!

وتبرع المبررون للخليفه وقالوا إن مقصوده الآيه ٢٧٨ من سورة البقره ! فصار مذهبهم أن آخر آيه نزلت من القرآن وضعت في سورة البقره ، التي نزلت في أول الهجره ! وصار مذهبهم أن تحريم الربا تشريع إضافي ، لأنه نزل بعد آيه إكمال الدين ! ولعلمهم يتصورون أنه لا بأس بهذه المفارقه في نزول القرآن والوحي ، مادام هدفهم هدفاً شرعياً صحيحاً هو الدفاع عن خليفه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

- قال الإمام أحمد في مسنده : ٣٦ / ١ :

عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر (رضى الله عنه) : إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يفسرها ، فدعوا الربا والريبه !! ورواه في كنز العمال : ١٨٦ / ٤ عن (ش وابن راهويه حم ه وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ق في الدلائل).

- وقال السرخسى في المبسوط : ١١٤ / ١٢ و ٥١ / ٢ :

فقد قال عمر (رضى الله عنه) : إن آية الربا آخر ما نزل ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبين لنا شأنها !

- وقال السيوطى فى الإتقان : ١٠١ / ١

وأخرج البخارى عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت آية الربا. وروى البيهقى عن عمر مثله ... وعند أحمد وابن ماجه عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا. انتهى.

ولكن إضافه (من) فى هذه الروايه لا تحل المشكله ، كما لم تحلها فى سوره المائده ، لأن الروايات الأخرى ليس فيها (من) وهى نص على أن آية الربا آخر ما نزل !

قصه ثانيه !

وذات يوم بل ذات أيام .. لم يعرف الخليفه عمر معنى الكلاله ، وتحير فيها ، واستعصى عليه فهمها ، الى آخر عمره ! فقال وقالوا عنه : إنها آخر آية نزلت ، وتوفى النبى قبل أن يبينها له ، أو بينها له بياناً ناقصاً !

- ففى البخارى : ١١٥ / ٥

عن البراء (رضى الله عنه) قال : آخر سوره نزلت كامله براءه ، وآخر آيه نزلت خاتمه سوره النساء : يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله ... ونحوه فى : ١٨٥ / ٥

- وقال السيوطى فى الإتقان : ١٠١ / ١

فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال آخر آيه نزلت : يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله ، وآخر سوره نزلت براءه.

ص : ٢٤٦

عن البراء قال : آخر سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم كاملة براءه ، وآخر آيه نزلت خاتمه سورة النساء : يستفتونك ... الى آخر السوره الى آخره !

ومن يومها دخلت آيه الكلاله على الخط ، وشاركت فى التشويش على سورة المائده ! وصار ختام ما نزل من القرآن مردداً بين آيات الربا والكلاله ، وبقية المائده بما فيها آيتا العصمه من الناس ، وإكمال الدين !

وقد راجعت ما تيسر لى من مصادر إخواننا فى مسأله الربا والكلاله ، فهالتنى مشكله الخليفه معهما ، خاصه مسأله الكلاله ، حتى أنه جعلها من القضايا الهامه على مستوى قضايا الأمه الإسلاميه الكبرى ، وكان يطرحها من على منبر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) واستمر يطرحها كمشكله كبرى ، حتى ساعات حياته الأخيره ، وأوصى المسلمين بحلها ! الأمر الذى يدل على شعوره العميق بالخرج أمام المسلمين ، لعدم تمكنه من استيعابها !! ففى صحيح البخارى : ٢٤٢ / ٦

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد نزل تحريم الخمر ، وهى من خمسه أشياء : العنب والتمر والحنظله والشعير والعتسل . والخمر ما خامر العقل . وثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً : الجذ ، والكلاله ، وأبواب من أبواب الربا . انتهى . ورواه مسلم فى : ٢ / ٨١ ، بتفصيل أكثر ، وروى نحوه فى : ٥ / ٦١ و ٨ / ٢٤٥ ، ورواه ابن ماجه فى : ٢ / ٩١٠ ، وقال عنه السيوطى فى الدر المنثور : ٢ / ٢٤٩ : وأخرج عبد الرزاق والبخارى ومسلم وابن جرير وابن المنذر عن عمر ...

ويدل هذا الصحيح المؤكد ، على أن عمر لم يسأل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن الكلاله .

وقد صرح بذلك صحيح الحاكم الذى رواه فى المستدرک : ٢ / ٣٠٣ ، فقال :

محمد بن طلحه بن يزيد بن ركانه يحدث عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال : أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلاث أحب إلى من حمر النعم : عن

الخليفه بعده ، وعن قوم قالوا نقرُّ بالزكاه فى أموالنا ولا نؤديها إليك ، أيجل قتالهم ؟ وعن الكلاله. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

ولكن فى صحيح مسلم أن عمر سأل النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عنها مرراً !!

- قال مسلم فى : ٥ / ٦١ : عن معدان بن أبى طلحه أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعه فذكر نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أباً بكر ثم قال : إنى لا أدع بعدى شيئاً أهم عندى من الكلاله ! ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء ما راجعته فى الكلاله! وما أغلظ لى فى شىء ما أغلظ لى فيه ، حتى طعن بإصبعه فى صدرى وقال : يا عمر ألا تكفيك آيه الصيف التى فى آخر سورة النساء؟! وإنى إن أعش أفض فيها بقضيه يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن. انتهى.

يعنى أنه سأل النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عنها مرراً فوضحها له مرراً ، ولكنه كرر سؤاله حتى غضب عليه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لعدم فهمه لشرحه إياها !

بل يدل الصحیحان التالیان على أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أخبر عمر أنه سوف لن يفهم الكلاله طول عمره ، أو دعا عليه بذلك !

- فى الدر المنثور : ٢ / ٢٥٠

وأخرج العدنى والبخارى فى مسنديهما ، وأبو الشيخ فى الفرائض ، بسند صحيح عن حذيفه قال : نزلت آيه الكلاله على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له ، فوقف النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو بحذيفه فلقاها إياه ، فنظر حذيفه فإذا عمر فلقاها إياه. فلما كان فى خلافة عمر ، نظر عمر فى الكلاله فدعا حذيفه فسأله عنها ، فقال حذيفه : لقد لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيتك كما لقاني ، والله لا أزيدك على ذلك شيئاً أبداً. انتهى.

- وفى كنز العمال : ١١ / ٨٠ حديث ٣٠٦٨٨ عن سعيد بن المسيب أن عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يورث الكلاله ؟ قال : أو ليس قد بين الله ذلك ، ثم قرأ : وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأه ... الى آخر الآيه ، فكأن عمر لم يفهم !

ص : ٢٤٨

فأنزل الله : يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله .. الى آخر الآيه ، فكأن عمر لم يفهم ! فقال لحفصه : إذا رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب نفس ، فاسأليه عنها فقال : أبوك ذكر لك هذا ؟ ما أرى أباك يعلمها أبداً !!

فكان يقول : ما أراني أعلمها أبداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال !! وذكر في مصدره أن ابن راهويه أو ابن مردويه صححه.

- بل روى السيوطي في الدر المنثور : ٢ / ٢٤٩ أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد كتبها لعمر في كتف ! قال : وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن مردويه عن طاوس ، أن عمر أمر حفصه أن تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلاله ، فسألته فأملاها عليها في كتف ، وقال : من أمرك بهذا أعمر ؟ ما أراه يقيمها ، أو ما تكفيه آيه الصيف ؟!!

قال سفيان : وآيه الصيف التي في النساء : وإن كان رجلٌ يورث كلاله أو امرأة ... فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزلت الآيه التي في خاتمه النساء. انتهى.

فانظر الى هذه التناقضات في أحاديث عمر والكلاله ، وكلها صحيحة !

ولاحظ أن الكلاله هي إحدى المسائل الثلاث التي قال البخاري إن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يبينها للأمة ، ولا سأل عمر النبي عنها .. مع أن روايتهم الصحيحه تقول إن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد كتب الكلاله لعمر في كتف !

وأما المسأله الثانيه التي هي الخلافه ، فقد روى البخاري نفسه أيضاً أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) دعا بدواه وكتف ليكتب للأمة الإسلاميه كتاباً لا تضل بعده أبداً ، ولكن عمر أبى ذلك ..

وأما المسأله الثالثه ، وهي أبواب الربا ، فيستحيل أن لا يكون النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد بينها وشرحها للمسلمين أيضاً ، وقد يكون كتبها لعمر أو غيره في كتف أيضاً !!

دلاله هاتين القصتين

تدل هاتان القصتان على أن صحاح إخواننا فيها متناقضات لا يمكن لباحثٍ أن يقبلها جميعاً ، بل لا بد له أن يرجح بعضها ويرد بعضها.

وكيف يمكن لعاقِلٍ أن يقبل في موضوعنا أن عمر لم يسأل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عن الآيه لأنها آخر آيه نزلت .. وأنه سأله عنها مراراً ، حتى دفعه ياصبعه في صدره ، وغضب منه ، الخ !!

وكيف يقبل أن الكلاله آخر آيه ، وآيات الربا آخر آيات .. الى آخر التناقضات التي ذكرناها ، وأكثر منها فيما لم نذكره !

وتدل القصة على أن سلطه الخليفه عمر على السنين بلغت حداً تستطيع معه أن تجعل ادعاءه غير المعقول معقولاً ! وأن المهم عندهم تكييف تفسير القرآن ، وأحداث نزول آياته ، وأسبابها ، وفق ما قاله الخليفه ، حتى لو تناقضت أقواله ، وحتى لو لزم من ذلك إثارة شبهه التناقض في دين الله تعالى ، وفي أفعاله تعالى !

وإذا اعترض أحدٌ على ذلك فهو رافضى ، عدوٌ للإسلام ورسوله وصحابته !.

وتدل القصة في موضوعنا على أن آيات الربا وإرث الكلاله ، وربما غيرهما ، حسب رأى الخليفه قد نزلت بعد آيه إكمال الدين ، ومعنى ذلك أن الله تعالى قال للمسلمين : اليوم أكملت لكم دينكم ، ولكنه لم يكن أكمل أحكام الإرث والربا وأحكام القتل !!

إن من يحترم نفسه لا يمكنه أن يقبل منطقاً يجادل عن إنسان غير معصوم ليرثه من التناقض ، حتى لو استلزم ذلك نسبة التناقض الى الله عز وجل ورسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

**

بقية الأقوال :

لا نطيل في ذكر بقية الأقوال ، وأحاديثها الصحيحه عندهم ، بل نجملها إجمالاً :

- ففى صحيح البخارى : ١٨٢ / ٥

قال سمعت سعيد بن جبیر قال : آيه اختلف فيها أهل الكوفه ، فرحلت فيها الى ابن عباس فسألته عنها فقال : نزلت هذه الآيه : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم (النساء - ٩٣) هي آخر ما نزل ، وما نسخها شيء .

ص : ٢٥٠

- وفى البخارى : ١٥ / ٦

عن سعيد بن جبير قال : اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن ، فرحلت فيه الى ابن عباس فقال : نزلت فى آخر ما نزل ، ولم ينسخها شىء .

- وفى الدر المنثور : ١٩٦ / ٢

وأخرج عبد بن حميد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن جرير والطبرانى من طريق سعيد بن جبير قال : اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن ، فرحلت فيها هى آخر ما نزل وما نسخها شىء .

وأخرج أحمد ، وسعيد بن منصور ، والنسائى ، وابن ماجه ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والنحاس فى ناسخه ، والطبرانى من طريق سالم بن أبى الجعد ، عن ابن عباس ... قال : لقد نزلت فى آخر ما نزل ما نسخها شىء حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل وحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : رأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟

قال : وأنى له بالتوبة !؟

- وفى مجموع النووى : ٣٤٥ / ١٨

قوله تعالى : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها .. الآية .

فى صحيح البخارى ... هى آخر ما نزل وما نسخها شىء . وكذا رواه مسلم والنسائى من طرق عن شعبه به . ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل بسنده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى الآية فقال : ما نسخها شىء . انتهى .

فهل يمكن لمسلم أن يقبل هذه الروايات (الصحيحة) من البخارى أو غيره ، ومن ابن عباس أو غيره ، ويلتزم بأن تحريم قتل المؤمن تشريع إضافى فى الإسلام ، نزل بعد آيه إكمال الدين !

**

ص : ٢٥١

- وفي مستدرک الحاكم : ٢ / ٣٣٨

عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضی الله عنهما عن أبي بن كعب (رضی الله عنه) قال : آخر ما نزل من القرآن : لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم. حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى. وهذه الرواية (الصحيحه) على شرط الشيخين تقصد الآيتين ١٢٨ - ١٢٩ ، من سورة التوبه.

- وفي الدر المنثور : ٣ / ٢٩٥

وأخرج ابن أبي شيبة ، واسحق بن راهويه ، وابن منيع في مسنده ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، من طريق يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : آخر آية أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم - وفي لفظ أن آخر ما نزل من القرآن - لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر .. الآية.

* وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن ، وابن الأنباري في المصاحف ، وابن مردويه ، عن الحسن أن أبي بن كعب كان يقول : إن أحدث القرآن عهداً بالله - وفي لفظ بالسما - هاتان الآيتان : لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. الى آخر السوره.

- الدر المنثور : ٣ / ٢٩٥

واخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند ، وابن الضريس في فضائله ، وابن أبي دؤاد في المصاحف : وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، والخطيب في تلخيص المتشابه ، والضياء في المختاره ، من طريق أبي العالیه ، عن أبي بن كعب ، أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر ، فكان رجال يكتبون ويمل عليهم أبي بن كعب ، حتى انتهوا الى هذه الآية من سورة براهه : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ... قوم لا يفقهون ، فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن ، فقال أبي بن كعب : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأني بعد هذا آيتين : لقد

ص : ٢٥٢

جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. فهذا آخر ما نزل من القرآن. قال فختم الأمر بما فتح به بلا إله إلا الله ، يقول الله : وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.

وأخرج ابن أبي دؤاد في المصاحف عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به ، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان ، فقتل وهو يجمع ذلك إليه.

فقام عثمان بن عفان فقال : من كان عنده شيء من كتاب الله فليأتنا به ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد به شاهدان ، فجاء خزيمة بن ثابت فقال : إنى رأيتمكم تركتم آيتين لم تكتبوهما !

فقالوا : ما هما ؟

قال : تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم .. الى آخر السوره.

فقال عثمان : وأنا أشهد أنهما من عند الله ، فأين ترى أن نجعلهما ؟

قال : إختتم بهما آخر ما نزل من القرآن ، فختمت بهما براءه. انتهى.

وشبيه به في سنن أبي داود : ١ / ١٨٢ ، وقد بحثنا هذه الروايات في كتاب تدوين القرآن.

* *

- وفي صحيح مسلم : ٨ / ٢٤٣

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لى ابن عباس : تعلم - وقال هارون تدرى - آخر سوره نزلت من القرآن نزلت جميعاً ؟

ص : ٢٥٣

قلت نعم ، إذا جاء نصر الله والفتح. قال : صدقت.

وفى روايه ابن أبى شيبه : تعلم أى سوره ، ولم يقل آخر.

- وفى سنن الترمذى : ٣٢٦ / ٤

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : آخر سوره أنزلت : إذا جاء نصر الله والفتح.

- وفى الغدير : ٢٢٨ / ١ : وروى ابن كثير فى تفسيره : ٢ / ٢

عن عبد الله بن عمر أن آخر سوره أنزلت سوره المائده والفتح (يعنى النصر).

- وفى الدر المنثور : ٤٠٧ / ٦

وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أبى هريره فى قوله : إذا جاء نصر الله والفتح ، قال : علمٌ وحدٌ حده الله لنبهه صلى الله عليه وسلم ، ونعى اليه نفسه ، إنك لا تبقى بعد فتح مكه إلا قليلا.

وأخرج ابن أبى شيبه وابن مردويه عن ابن عباس قال : آخر سوره نزلت من القرآن جميعاً : إذا جاء نصر الله والفتح.

**

- وفى المعجم الكبير للطبرانى : ١٢ / ١٩

عن ابن عباس قال : آخر آيه أنزلت : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله. انتهى. وهى الآيه ٢٨١ من سوره البقره !

**

ونذكر فى آخر ادعاءاتهم فى آخر آيه من القرآن : أن معاويه بن أبى سفيان أدلى بدلوه فى هذا الموضوع ، ونفى على المنبر أن تكون آيه « اليوم أكملت لكم دينكم .. » آخر ما نزل ، وأفتى للمسلمين بأن آخر آيه نزلت هى الآيه ١١٠ من سوره الكهف ، وأنها وكانت تأديباً من الله لنبهه !! فى المعجم الكبير للطبرانى : ٣٩٢ / ١٩ :

عمرو بن قيس أنه سمع معاويه بن أبى سفيان على المنبر نزع بهذه الآيه : اليوم

ص : ٢٥٤

أكملت لكم دينكم .. قال : نزلت يوم عرفه في يوم جمعه ، ثم تلا هذه الآية : فمن كان يرجو لقاء ربه ... وقال : إنها آخر آية نزلت تأديباً لرسول الله .. انتهى.

وقد التفت السيوطي الى أن كيل التناقض قد طُفح لإبعاد آية إكمال الدين عن ختم القرآن ، وحجه الوداع ، وغدير خم .. فاستشكل في قبول قول معاوية وعمر ! ولكنه مرَّ بذلك مروراً سريعاً ، على عادتهم في التغطية والتستر والروغان !

قال في الإتيان : ١٠٢ / ١

من المشكل على ما تقدم قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم ، فإنها نزلت بعرفه في حجه الوداع وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها. وقد صرح بذلك جماعه منهم السدي ، فقال : لم ينزل بعدها حلالاً ولا حراماً ، مع أنه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعدها !

وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال : الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم الدين بإفرادهم بالبلد الحرام ، وإجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون ، لا يخالطهم المشركون ! انتهى.

ومعنى كلام ابن جرير الطبري الذي ارتضاه السيوطي : أن حل التناقض في كلام الصحابة بأن نقله ونبعد إكمال الدين وإتمام النعمة عن التشريع وتنزيل الأحكام والفرائض ، ونحصره بتحريم مكة فقط ، حتى تسلم لنا أحاديث عمر عن الكلالة والربا وحديث معاوية في آخر آية في (تأديب النبي) !!

إنها فتوى تتكرر أمامك من العلماء السنيين بوجوب قبول كلام الصحابة - ما عدا أهل بيت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - حتى لو استلزم ذلك تفرغ آيات الله تعالى وأحاديث رسوله من معانيها ! فهم عملياً يعطون الصحابة درجة العصمة ، بل يعطونهم حق النقض على كلام الله تعالى وكلام رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، لأنهم يجعلون كلامهم حاكماً عليه !

ثم يفرضون عليك أن تقبل ذلك وتغمض عينيك ، وتصم سمعك عن صراخ ضحاياهم من الآيات الظاهرة والأحاديث الصحيحة !!

ص : ٢٥٥

ونتيجه هذا المنطق : أن آيه اليوم أكملت لكم دينكم ليست آخر آيه ، ولا سورتها آخر سوره ، ولا معناها أكملت لكم الفرائض والأحكام ، بل أكملت لكم فتح مكه !

وأن معنى (اليوم) فى الآيه ليس يوم نزول الآيه ، بل قبل سنتين من حجه الوداع !

وسوف تعرف أن الخليفه عمر أقر فى جواب اليهودى بأن معنى اليوم فى الآيه : يوم نزولها ، وليس يوم فتح مكه ! بل قال القرطبى إن اليوم هنا بمعنى الساعه التى نزلت فيها الآيه ، كما سيأتى .

نص الآيه الكريمه

يا أيها الذين آمنوا لا- تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ، وإذا حللتم فاصطادوا ، ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب .

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه وما أكل السبع إلا- ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ، اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا - فمن اضطر فى مخمسه غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم . المائده ٢ - ٣

**

آيه إكمال الدين واللحوم المحرمه

أول ما يواجه الباحث فى آيه إكمال الدين غرابه مكانها فى القرآن ، فظاهر ما رواه المحدثون والمفسرون عنها ، أنها نزلت فى حجه الوداع آيه مستقلة لا- جزء آيه .. ثم يجدها فى القرآن جزءً من آيه اللحوم المحرمه ، وكأنها حشرت حشراً فى وسطها ، بحيث لو رفعنا آيه إكمال الدين منها لما نقص من معناها شىء ، بل لاتصل السياق !!

ص: ٢٥٦

فما هي الحكمة من هذا السياق؟ وهل كان هذا موضعها الأصلي من القرآن، أم وضعت هنا باجتهاد بعض الصحابة؟!

نحن لا- نقبل القول بوقوع تحريف في كتاب الله تعالى، معاذ الله، لكن نتساءل عسى أن يعرف أحد الجواب: ما هو ربط آية إكمال الدين باللحوم المحرمة؟

ألا يحتمل أن تكون بالأساس في خاتمه سورة المائدة مثلاً، ولم يلتفت إلى ذلك الذين جمعوا القرآن، فوضعوها هنا.

ثم.. قد يقبل الإنسان أن تكون الآية نزلت بعد آيات بيان أحكام اللحوم، ولكن كيف يمكن أن ينزلها الله تعالى في وسط أحكام اللحوم! فإذا قال الله تعالى: أكملت لكم دينكم، فقد تمت الأحكام، فكيف يقول بعدها مباشرة: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم؟! ثم يقول بعدها مباشرة: يسألونك ماذا أحل لهم، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم... إلى آخر أحكام الدين الذي قال عنه أحكم الحكماء سبحانه قبل لحظات: إنه قد أكمله وأتمه!!؟

- قال في الدر المنثور: ٢ / ٢٥٩:

وأخرج ابن جرير عن السدي في قوله: اليوم أكملت لكم دينكم قال: هذا نزل يوم عرفه، فلم ينزل بعدها حراماً ولا- حلالاً. انتهى.

- وقال في: ٢ / ٢٥٧:

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.... فلما كان واقفاً بعرفات نزل عليه جبريل وهو رافع يده والمسلمون يدعون الله: اليوم أكملت لكم دينكم، يقول حلالكم وحرامكم، فلم ينزل بعد هذا حلالاً ولا حراماً. انتهى.

والأحاديث والأقوال في عدم نزول أحكام بعد الآية كثيرة، وقد مر بعضها، ولا تحتاج إلى استقصائها بعد أن كان ذلك يفهم من الآية نفسها.. ويؤيده ما ذكره اللغويون في معنى الكمال والتمام

ص: ٢٥٧

- قال الزبيدي في تاج العروس : ١٠٣ / ٨ :

(الكمال : التمام) وهما مترادفان كما وقع في الصحاح وغيره ، وقد فرق بينهما بعض أرباب المعانى ، وأوضحوا الكلام فى قوله تعالى اليوم : أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، وبسطه فى العناية ، وأوسع الكلام فيه البهاء السبكي فى عروس الأفراح . وقيل : التمام الذى تجزأ منه أجزاءه كما سيأتى ، وفيه ثلاث لغات (كمل كنصر وكرم وعلم) قال الجوهري والكسر أردؤها ، وزاد ابن عباد : كمل يكمل مثل ضرب يضرب ، نقله الصاغانى (كمالاً وكمولاً فهو كامل وكميل) جاؤوا به على كمل .

وقال فى ص ٢١٢ : (وتمام الشئ وتمايته وتتمته ما يتم به) وقال الفارسي : تمام الشئ ماتم به بالفتح لا غير يحكيه عن أبى زيد . وتتمه كل شئ ما يكون تمام غايته ، كقولك هذه الدراهم تمام هذه المائة ، وتتمه هذه المائة .

قال شيخنا : وقد سبق فى كمل أن التمام والكمال مترادفان عند المصنف وغيره ، وأن جماعه يفرقون بينهما بما أشرنا اليه . وزعم العيني أن بينهما فرقا ظاهراً ولم يفصح عنه .

وقال جماعه : التمام الإتيان بما نقص من الناقص ، والكمال الزيادة على التمام ، فلا يفهم السامع عربياً أو غيره من رجل تام الخلق إلا - أنه لا - نقص فى أعضائه ، ويفهم من كامل ، وخصه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضل الذاتى أو العرضى . فالكمال تمامٌ وزياده ، فهو أخص .

وقد يطلق كل على الآخر تجوزاً ، وعليه قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى . كذا فى كتاب التوكيد لابن أبى الإصبع .

وقيل التمام يستدعى سبق نقص ، بخلاف الكمال . وقيل غير ذلك ، مما حرره البهاء السبكي فى عروس الأفراح ، وابن الزمكاني فى شرح التبيان ، وغير واحد .

ص : ٢٥٨

قلت وقال الحراني : الكمال : الإنتهاء الى غايه ليس وراءها مزيد من كل وجه. وقال ابن الكمال : كمال الشيء : حصول ما فيه الغرض منه ، فإذا قيل كمل فمعناه حصل ما هو الغرض منه. انتهى.

وبعد السؤال عن مكان الآيه يواجها السؤال عن معناها ، وسبب نزولها .. وفي ذلك ثلاثة أقوال :

القول الأول

قول أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أنها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذى الحجه فى الجحفة ، فى رجوع النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من حجه الوداع ، عندما أمره الله تعالى أن يوقف المسلمين فى غدير خم ، قبل أن تتشعب بهم الطرق ، ويبلغهم ولاية على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من بعده ، فأوقفهم وخطب فيهم وبلغهم ما أمره به ربه. وهذه نماذج من أحاديثهم :

فقد تقدم ما رواه الكليني فى الكافى : ٢٨٩ / ١

عن الإمام محمد الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفيه (وقال أبو جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى ، وكانت الولاية آخر الفرائض ، فأنزل الله عز وجل : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، قال أبو جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : يقول الله عز وجل : لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة ، قد أكملت لكم الفرائض.

- وعن على بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن هارون بن خارجه ، عن أبى بصير ، عن أبى جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : كنت عنده جالسا فقال له رجل : حدثنى عن ولاية على ، أمن الله أو من رسوله ؟

فغضب ثم قال : ويحك كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أخوف (الله) من أن يقول ما لم يأمره به الله !! بل افترضه الله ، كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج. انتهى.

- وفى الكافى : ١٩٨ / ١

أبو محمد القاسم بن العلاء (رحمه الله) رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال : كنا مع الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بمرور ، فاجتمعنا فى الجامع يوم الجمعة فى بدء مقدمنا ، فأداروا أمر

ص : ٢٥٩

الامامه وذكروا كثره اختلاف الناس فيها ، فدخلت على سيدى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثم قال :

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى أكمل له الدين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شىء ، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً ، فقال عز وجل : ما فرطنا فى الكتاب من شىء ، وأنزل فى حجه الوداع وهى آخر عمره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً .

وأمر الامامه من تمام الدين ، ولم يمض (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى بين لأمته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم ، وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) علماً وإماماً ، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر به .

هل يعرفون قدر الإمامه ومحلها من الأمة ، فيجوز فيها اختيارهم؟!

إن الامامه أجل قدرأ ، وأعظم شأنأ ، وأعلى مكانأ ، وأمنع جانبأ ، وأبعد غورأ ، من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إمامأ باختيارهم .

إن الإمامه خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعد النبوه والخله ، مرتبهً ثالثه ، وفضيله شرفه بها ، وأشاد بها ذكره فقال : إني جاعلك للناس إمامأ ، فقال الخليل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سروراً بها : ومن ذريتى ؟ قال الله تبارك وتعالى : لا ينال عهدى الظالمين . فأبطلت هذه الآيه إمامه كل ظالم الى يوم القيامه ، وصارت فى الصفوه .

ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها فى ذريته أهل الصفوه والطهاره ، فقال : ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافله وكلاً جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمه يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاه وإيتاء الزكاه وكانوا لنا عابدين .

فلم تزل فى ذريته ، يرثها بعض عن بعض ، قرناً قرناً ، حتى ورثها الله تعالى النبى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال جل وتعالى : إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين

آمنوا والله ولى المؤمنين ، فكانت له خاصه فقلدها (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله ، فصارت فى ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان ، بقوله تعالى : قال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث ، فهى فى ولد على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خاصه الى يوم القيامة ، إذ لا نبى بعد محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فمن أين يختار هؤلاء الجهال !. انتهى.

القول الثانى

قول المفسرين السنين الموافق لقول أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) :

وأحاديثهم فى بيعه الغدير تبلغ المئات ، وفيها صحاح من الدرجه الأولى عندهم وقد جمعها عددٌ من علمائهم القدماء منهم الطبرى المؤرخ فى كتابه (الولايه) فبلغت طرقها ونصوصها عنده مجلدين ، وتنص رواياتها على أن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أصعد علياً معه على المنبر ، ورفع يده حتى بان بياض إبطيهما ، وبلغ الأمه ما أمره الله فيه ... الخ. وقد انتقد الطبرى بعض المتعصبين السنين لتأليفه هذه الكتاب فى أحاديث الغدير ، التى يحتج بها الشيعة عليهم ، ويجادلوهم بها عند ربهم !

وتنص بعض روايات الغدير عندهم على أن آيه إكمال الدين نزلت فى الجحفة يوم الغدير بعد إبلاغ النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولأيه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

لكن ينبغى الالتفات الى أن أكثر السنين الذين صحت عندهم روايات الغدير ، لم يقبلوا الأحاديث القائلة بأن آيه إكمال الدين نزلت يوم الغدير ، بل أخذوا بقول الخليفة عمر ومعاويه ، أنها نزلت يوم عرفه ، كما سيأتى.

وقد جمع أحاديث بيعه الغدير عدد من علماء الشيعة القدماء والمتأخرين ، ومن أشهر المتأخرين النقوى الهندى فى كتاب عبقات الأنوار ، والشيخ الأمينى فى كتاب الغدير ، والسيد المرعشى فى كتاب شرح إحقاق الحق ، والسيد الميلانى فى كتاب نفحات الأزهار.

وقد أورد صاحب الغدير عدداً من الروايات من مصادر السنين ، ذكرت أن آيه إكمال الدين نزلت في يوم الغدير ، بعد إعلان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ..

- وهذه خلاصه ما ذكره في الغدير : ١ / ٢٣٠ :

ومن الآيات النازله يوم الغدير في أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ثم ذكر الأميني (رحمه الله) عدداً من المصادر التي روتها ، نذكر منها :

١ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ روى في كتاب الولاية بإسناده عن زيد بن أرقم نزول الآيه الكريمه يوم غدير خم في أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ...

٢ - الحافظ ابن مردويه الأصفهاني المتوفى ٤١٠ ، روى من طريق أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ... ثم رواه عن أبي هريره ...

٣ - الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفى ٤٣٠ ، روى في كتابه (ما نزل من القرآن في علي) ... عن أبي سعيد الخدرى (رضى الله عنه) : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى علي في غدير خم ، أمر بما تحت الشجره من الشوك فقمم ، وذلك يوم الخميس فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما ، حتى نظر الناس الى بياض إبطى رسول الله ، ثم لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآيه : اليوم أكملت لكم دينكم .. الآيه .. الخ.

٤ - الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ ، روى في تاريخه ٨ / ٢٩٠ ... عن أبي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم ... قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فقال عمر بن الخطاب : بخِ يا بنِ أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأنزل الله : اليوم أكملت لكم دينكم .. الآيه.

٥ - الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفى ٤٧٧ ، في كتاب الولاية بإسناده عن يحيى بن عبد الحميد الحمانى الكوفى ، عن قيس بن الربيع ، عن أبي هارون ، عن أبي سعيد الخدرى ...

٦ - أبو الحسن ابن المغازلى الشافعى المتوفى ٤٨٣ ، روى في مناقبه عن أبي بكر

أحمد بن محمد بن طاوان قال : أخبرنا أبوالحسين أحمد بن الحسين بن السماك قال : حدثني أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدی ، حدثني علي بن سعيد بن قتيبة الرملي ، قال : .. عن أبي هريره

٧ - الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري : إن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ) لما نزلت هذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم ، قال : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمه ، ورضى الرب برسالتى ، وولايه على بن أبى طالب من بعدى.

٨ - الحافظ أبو القاسم بن عساكر الشافعى الدمشقى المتوفى ٥٧١ ، روى الحديث المذكور بطريق ابن مردويه ، عن أبى سعيد وأبى هريره ، كما فى الدر المنثور ٢ / ٢٥٩.

٩ - أخطب الخطباء الخوارزمى المتوفى ٥٦٨ ، قال فى المناقب / ٨٠ عن أبى سعيد الخدري إنه قال : إن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ) يوم دعا الناس إلى غدیر خم أمر بما كان تحت الشجره من الشوك فقمم ، وذلك يوم الخميس ثم دعا الناس الى على ، فأخذ بضعه فرفعها حتى نظر الناس الى إبطيه ، حتى نزلت هذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم .. الآية ...

وروى فى المناقب / ٩٤ عن ضميره ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوارق. الى آخر ما مر عن الخطيب البغدادى سنداً ومتمناً.

١٠ - أبو الفتح النطنزى روى فى كتابه الخصايص العلويه ، عن أبى سعيد الخدري بلفظ مر / ٤٣ ، وعن الخدري وجابر الأنصارى ...

١١ - أبو حامد سعد الدين الصالحانى ، قال شهاب الدين أحمد فى توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل : وبالإسناد المذكور عن مجاهد (رضى الله عنه) قال : نزلت هذه الآية : اليوم أكملت لكم ، بغدير خم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وبارك وسلم : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمه ، ورضى الرب برسالتى ، والولايه لعلی. رواه الصالحانى.

١٢ - شيخ الإسلام الحمويني الحنفى المتوفى ٧٢٢، روى فى فرايد السمطين فى الباب الثانى عشر، قال: أنبأنى الشيخ تاج الدين ... الخ. انتهى.

القول الثالث

قول الخليفة عمر بأنها نزلت فى حجة الوداع يوم عرفه يوم جمعه، وهذا هو القول المشهور عند السنين فقد رواه البخارى فى صحيحه: ١٦ / ١

عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آيه فى كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً!! قال أى آيه؟ قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفه، يوم جمعه.

- وفى البخارى ١٢٧ / ٥

عن طارق بن شهاب إن أناساً من اليهود قالوا: لو نزلت هذه الآية فىنا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: آيه آيه؟

فقالوا: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا.

فقال عمر: إني لا علم أى مكان أنزلت، أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفه ...

عن طارق بن شهاب: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آيه، لو نزلت فىنا لاتخذناها عيداً!

فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت. يوم عرفه وأنا والله بعرفه - قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة، أم لا - اليوم أكملت لكم دينكم.

ص: ٢٦٤

عن طارق بن شهاب قال : قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا .. لاتخذنا ذلك اليوم عيداً !

فقال عمر : إنى لا أعلم أى يوم نزلت هذه الآية ، نزلت يوم عرفه فى يوم جمعه . سمع سفيان من مسعر ، ومسعر قيساً ، وقيس طارقاً . انتهى .

وقد روت عامه مصادر السنين روايه البخارى هذه ونحوها بطرقٍ متعدده ، وأخذ بها أكثر علمائهم ، ولم يديروا بالألتشكيك بعضهم فى أن يكون يوم عرفه فى حجه الوداع يوم جمعه ، مثل سفيان الثورى والنسائى ! ولا لرواياتهم المؤيده لرأى أهل البيت (عليهم السّلام) ، التى تقدمت .. وذلك بسبب أن الخليفه عمر قال إنها لم تنزل يوم الغدير بل نزلت فى عرفات قبل الغدير بتسعه أيام ، وقوله مقدم عندهم على كل اعتبار .

- قال السيوطى فى الاتقان ١ / ٧٥ عن الآيات التى نزلت فى السفر :

منها : اليوم أكملت لكم دينكم . فى الصحيح عن عمر أنها نزلت عشيه عرفه يوم الجمعه عام حجه الوداع ، وله طرقٌ كثيره .

لكن أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى : أنها نزلت يوم غدیر خم .

وأخرج مثله من حديث أبى هريره وفيه : أنه اليوم الثامن عشر من ذى الحجه مرجعه من حجه الوداع . وكلاهما لا يصح . انتهى .

وقال فى الدر المنثور : ٢ / ٢٥٩

أخرج ابن مردويه ، وابن عساكر بسند ضعيف ، عن أبى سعيد الخدرى قال : لما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً يوم غدیر خم ، فنادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه بهذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم .

وأخرج ابن مردويه ، والخطيب ، وابن عساكر بسند ضعيف عن أبى هريره قال : لما كان غدیر خم وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فأنزل الله : اليوم أكملت لكم دينكم . انتهى .

وموقف السيوطى هو الموقف العام للعلماء السنينين .. ولكنه لا يعنى أنهم يضعفون حديث الغدير كما تقدم ، بل يقولون إن حديث الغدير صحيح ، ولكن الآيه نزلت قبل ذلك اليوم ، تمسكاً بقول الخليفه عمر الذى روته صحاحهم ، حتى لو خالفه حديث صحيح ، وحتى لو خالفه الحساب والتاريخ !

ومن المتعصبين لرأى عمر المذكور : ابن كثير ، وهذه خلاصه من تفسيره : ١٤ / ٢ :

قال أسباط عن السدى : نزلت هذه الآيه يوم عرفه ، ولم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ. وقال ابن جرير وغير واحد : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفه بأحد وثمانين يوماً ، رواهما ابن جرير.

ثم ذكر ابن كثير روايه مسلم وأحمد والنسائى والترمذى المتقدمه وقال :

قال سفيان : وأشكك كان يوم الجمعة أم لا : اليوم أكملت لكم دينكم الآيه.

وشكك سفيان (رحمه الله) إن كان فى الروايه فهو تورُّعٌ ، حيث شكك هل أخبره شيخه بذلك أم لا ، وإن كان شكاً فى كون الوقوف فى حجه الوداع كان يوم جمعه فهذا ما إخاله يصدر عن الثورى (رحمه الله) فإن هذا أمر معلومٌ مقطوعٌ به ، لم يختلف فيه أحدٌ من أصحاب المغازى والسير ولا من الفقهاء ، وقد وردت فى ذلك أحاديث متواتره ، لا يشكك فى صحتها ، والله أعلم. وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عمر.

وقال ابن جرير ... عن قبيصه يعنى ابن أبى ذئب قال : قال كعب لو أن غير هذه الأمه نزلت عليهم هذه الآيه لنظروا اليوم الذى أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه !!

فقال عمر : أى آيه يا كعب ؟

فقال : اليوم أكملت لكم دينكم.

فقال عمر : قد علمت اليوم الذى أنزلت والمكان الذى أنزلت فيه ، نزلت فى يوم الجمعة ويوم عرفه ، وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ (ورواه فى مختصر تاريخ دمشق ٢ جزء ٣٠٩ / ٤)

ص: ٢٦٦

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم حتى ختمها ، فقال : نزلت في يوم عرفه ، في يوم جمعه ...

وقال ابن جرير : وقد قيل ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس !!

ثم روى من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : اليوم أكملت لكم دينكم يقول ليس بيوم معلوم عند الناس . قال : وقد قيل إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره (الى) حجه الوداع .

ثم قال ابن كثير :

قلت : وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم ، حين قال لعلى : من كنت مولاه فعلى مولاه . ثم رواه عن أبي هريره ، وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذى الحجه ، يعنى مرجعه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من حجه الوداع .

ولا يصح لا هذا ولا هذا ، بل الصواب الذى لا شك فيه ولا مريه ، أنها أنزلت يوم عرفه وكان يوم جمعه ، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبى سفيان ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمره بن جندب (رضى الله عنه) ، وأرسله الشعبى ، وقتاده بن دعامة ، وشهر بن حوشب ، وغير واحد من الأئمه والعلماء ، واختاره ابن جرير الطبرى (رحمه الله). انتهى .

وتلاحظ أن ابن كثير لا يريد الإيعتراف بوجود تشكيك في أن يوم عرفه كان يوم جمعه ، لأن ذلك يخالف قول عمر ، وقد صعب عليه تشكيك سفيان الثورى الصريح فالتف عليه ليخرجه !!

ومما يدل على أن الرواه كانوا في شك من أن يوم عرفات كن يوم جمعه ما رواه الطبرى في تفسيره : ٤ / ١١١ مما لم يذكره ابن كثير قال :

حدثنا ابن المثنى قال : ثنا عبد الوهاب قال : ثنا داود قال قلت لعامر : إن اليهود تقول : كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذى أكمل الله لها دينها فيه ؟!

فقال عامر : أو ما حفظته ؟

قلت له : فأى يوم ؟

قال : يوم عرفه أنزل الله فى يوم عرفه !!

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآيه ، أعنى قوله : اليوم أكملت لكم دينكم يوم الإثنين ، وقالوا : أنزلت سورة المائدة بالمدينه .

ذكر من قال ذلك : حدثنى المثنى قال : ثنا إسحاق قال : أخبرنا محمد بن حرب قال : ثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن حنش عن ابن عباس : ولد نبيكم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يوم الإثنين ، وخرج من مكه يوم الإثنين ، ودخل المدينه يوم الإثنين ، وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين : اليوم أكملت لكم دينكم ، ورفع الذكر يوم الإثنين .

ثم قال الطبرى : وأولى الأقوال فى وقت نزول الآيه القول الذى روى عن عمر بن الخطاب أنها نزلت يوم عرفه يوم جمعه ، لصحه سنده وهى أسانيد غيره . انتهى .

الموقف العلمى فى سبب نزول الآيه

بإمكان الباحث أن يفتش عن الحقيقه فى سبب نزول الآيه فى أحاديث حجه الوداع ، لأن هذا الوداع الرسولى المهيب قد تم بإعلان ربانى مسبق ، وإعداد نبوى واسع .. وقد حضره ما بين سبعين ألفاً الى مئه وعشرين ألفاً من المسلمين ، ونقلوا العديد من أحداث حجه الوداع ، وأقوال النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأفعاله فيها ، بشىء من التفصيل ، ورووا أنه خطب فى أثنائها خمس خطب أو أكثر .. وسجلوا يوم حركته من المدينه ، والأماكن التى مر عليها أو توقف فيها ، ومتى دخل مكه ، ومتى وكيف أدى المناسك .. ثم رووا حركه رجوعه وما صادفه فيها .. الى أن دخل الى المدينه المنوره وعاش فيها نحو شهرين بقيه عمره الشريف (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وعلى هذا ، فإن عنصر التوقيت والتاريخ حاسمٌ في المسألة ، وهو الذى يجب أن يكون مرجحاً للرأى الصحيح من الرأىين المتعارضين .

وعنصر التوقيت هنا يرجح قول أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) والروايات السنيه الموافقه لهم ، مضافاً الى المرجحات الأخرى المنطقيه ، التى تنضم اليه كما يلى :

أولاً: أن التعارض هنا ليس بين حديثين أحدهما أصح سنداً وأكثر طرقةً كما توهموا .. بل هو تعارض بين حديث عن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وبين قولٍ للخليفه عمر .

فإن الأحاديث التى ضعفوها هى أحاديث نبويه مسنده ، بينما أحاديث البخارى وغيره هى قول لعمر ، لم يسنده الى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

فالباحث السننى لا يكفيه أن يستدل بقول عمر فى سبب نزول القرآن ، ويردّ به الحديث النبوى المتضمن سبب النزول ، بل لا بد له أن يبحث فى سند الحديث ونصه ، فإن صح عنده فعليه أن يأخذ به ويترك قول عمر .. وإن لم يصح رجوع الى أقوال الصحابه المتعارضه ، وجمع بين الموثوق منها أن أمكن الجمع ، وإلا رجح بعضها وأخذ به ، وترك الباقي .. ولكنهم لم يفعلوا ذلك مع الأسف !

ثانياً: لو تنزلنا وقلنا إن أحاديث أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فى سبب نزول الآيه والأحاديث السنيه المؤيده لها ليست أكثر من رأى لأهل البيت ومن أيدهم فى ذلك ، وأن التعارض يصير بين قولين لصحابيين فى سبب النزول ، أو بين قول صحابى وقول بعض أئمه أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

فنقول : إن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أوصى أمته بأخذ الدين من أهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ولم يوصها بأخذه من أصحابه .. وذلك فى حديث الثقلين الصحيح المتواتر عند الجميع ، وهو كما فى مسند أحمد : ٣ / ١٤ : عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني تاركٌ فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله جبلٌ ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . انتهى .

ورواه أيضاً فى : ٣ / ١٧ - ٢٦ و ٥٩ ، و : ٤ / ٣٦٦ ، و ٣٧١ ، والدارمى : ٢ / ٤٣١ ، ومسلم ٧ / ١٢٢ ، والحاكم ، وصححه على شرط الشيخين وغيرهما فى : ٣ / ١٠٩ و ١٤٨ ، والبيهقى فى سننه : ٢ / ١٤٨ ، وغيرهم .

وهذا الحديث الصحيح بدرجة عالية يدل على حصر مصدر الدين بعد النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأهل بيته صلى الله عليه وعليهم ، أو يدل على الأقل على ترجيح قولهم عند تعارضه مع قول غيرهم !

ثالثاً : أن الرواية عن الخليفة عمر نفسه متعارضه ، وتعارضها يوجب التوقف فى الأخذ بها ، فقد رواه عنه أن يوم عرفه فى حجه الوداع كان يوم خميس ، وليس يوم جمعه . قال النسائى فى سننه : ٥ / ٢٥١ :

أخبرنا إسحق بن إبراهيم قال : أنبأنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : قال يهودى لعمر : لو علينا نزلت هذه الآية لاتخذناه عيداً : اليوم أكملت لكم دينكم .

قال عمر : قد علمت اليوم الذى أنزلت فيه والليله التى أنزلت ، ليله الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات !

والطريف أن النسائى روى عن عمر فى : ٨ / ١١٤ ، أنها نزلت فى عرفات فى يوم جمعه !

رابعاً : تقدم قول البخارى فى روايته أن سفيان الثورى وهو من أئمة الحديث والعقيدة عندهم ، لم يوافق على أن يوم عرفه كان يوم جمعه (قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا ..) وهناك عددٌ من الروايات تؤيد شك سفيان ، بل يظهر أن سفياناً كان قاطعاً بأن يوم عرفه فى حجه الوداع لم يكن يوم جمعه ، وإنما قال (أشك) مداراهً لجماعه عمر ، الذين رتبوا كل الروايات لأحداث حجه الوداع ، بل وأحداث التاريخ الإسلامى كلها .. على أساس أن يوم عرفات كان يوم جمعه ، كما ستعرف .

خامساً : أن عيد المسلمين هو يوم الأضحى ، وليس يوم عرفه ، ولم أجد رواية

تدل على أن يوم عرفه عيدٌ شرعى ، فالقول بذلك مما تفرد به الخليفة عمر ، ولم يوافق عليه أحدٌ من المسلمين ! وهو عند السلفيين يدخل فى باب البدعه !

أما إذا أخذنا بروايه النسائي القائله إن عرفه كان يوم خميس ، وأن الآيه نزلت ليله عرفه .. فلا يبقى عيدٌ حتى يصطدم به العيد النازل من السماء ، ولا يحتاج الأمر الى قانون إدغام الأعياد الإلهيه المتصادمه ، كما ادعى الخليفه !.

فيكون معنى جواب الخليفه على هذه الروايه أن يوم نزول آيه إكمال الدين يستحق أن يكون عيداً ، ولكن آيته نزلت قبل العيد بيومين ، فلم نتخذ يومها عيداً !

وهذا كلام متهافت !

سادساً : أن قول عمر يناقض ما رووه عن عمر نفسه بسندٍ صحيحٍ أيضاً .. فقد فهم هذا اليهودى من الآيه أن الله تعالى قد أكمل تنزيل الإسلام وختمه فى يوم نزول الآيه ، وقبل عمر منه هذا التفسير .. فلا بد أن يكون نزولها بعد نزول جميع الفرائض ، فيصح على رأيه ما قاله أهل البيت (عليهم السّلام) وما قاله السدى وابن عباس وغيرهما من أنه لم تنزل بعدها فريضه ولا حكم.

مع أن الخليفه عمر قال إن آيه إكمال الدين نزلت قبل آيات الكلاله ، وأحكام الإرث ، وغيرها ، كما تقدم .. فوجب على مذهبه أن يقول لليهودى : ليس معنى الآيه كما ظننت ، بل كان بقى من الدين عده أحكامٍ وشرائعٍ نزلت بعدها ، وذلك اليوم هو الجدير بأن يكون عيداً !

وعندما تتعارض الروايات عن شخصٍ واحدٍ وتتناقض ، فلا بد من التوقف فيها جميعاً ، وتجميد كل روايات عمر فى آخر ما نزل من القرآن ، وفى وقت نزول آيه إكمال الدين !

ومن جهه أخرى ، فقد أقر الخليفه أن (اليوم) فى الآيه هو اليوم المعين الذى نزلت فيه ، وليس وقتاً مجملاً ولا يوماً مضى قبل سنه كفتح مكه ، أو يأتى بعد شهور

ص: ٢٧١

مثلاً. فهو يستوجب رد قول الطبرى الذى تعمد اختياره ليوافق عمر ، ويستوجب رد كل الروايات التى تريد تعويم كلمه (اليوم) فى الآيه ، أو تريد جعله يوم فتح مكه.

قال القرطبى فى تفسيره : ١ / ١٤٣

وقد يطلق اليوم على الساعه منه قال الله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وجمع يوم أيام وأصله أيوام فأدغم.

وقال فى : ٢ / ٦١

واليوم قد يعبر بجزء منه عن جميعه ، وكذلك عن الشهر ببعضه تقول : فعلنا فى شهر كذا كذا وفى سنه كذا كذا ، ومعلوم أنك لم تستوعب الشهر ولا السنه ، وذلك مستعملٌ فى لسان العرب والعجم.

سابعاً : أن جواب الخليفه لليهودى غير مقنع لا لليهودى ولا للمسلم !

فإن كان يقصد الاعتذار بأن نزولها صادف يوم عيد ، ولذلك لم نتخذ يومها عيداً !

فيمكن لليهودى أن يجيبه : لماذا خرب عليكم ربكم هذا العيد وأنزله فى ذلك اليوم !؟

وإن كان يقصد إدغام عيد إكمال الدين بعيد عرفه ، حتى صار جزءاً منه !

فمن حق سائل أن يسأل : هذا يعنى أنكم جعلتم يوم نزولها نصف عيد ، مشتركاً مع عرفه .. فأين هذا العيد الذى لا يوجد له أثر عندكم ، إلا عند الشيعة !؟

وإن كان يقصد أن هذا اليوم الشريف والعيد العظيم ، قد صادف يوم جمعه ويوم عرفه ، فأدغم فيهما وذاب ، أو أكلاه وانتهى الأمر !

فكيف أنزل الله تعالى هذا العيد على عيدين ، وهو يعلم أنهما سيأكلانه !

فهل تعمد الله تعالى تذويب هذا العيد ، أم أنه نسى والعياذ بالله فأنزل عيداً فى يوم عيد ، فتدارك المسلمون الأمر بقرار الدمج والإدغام ، أو التنصيف !!

ثم من الذى اتخذ قرار الإدغام ؟ ومن الذى يحق له أن يدغم عيداً إلهياً فى عيد آخر ، أو يطعم عيداً ربانياً لعيد آخر !

ص : ٢٧٢

ومابال الأمة الإسلاميه لم يكن عندها خبر من حادثه اصطدام الأعياد الربانيه فى عرفات ، حتى جاء هذا اليهودى فى خلافه عمر ونبههم ! فأخبره الخليفه عمر بأنه يوافق على كل ما يقوله ، وأخبره وأخير المسلمين بقصه تصادم الأعياد الإلهيه فى عرفات ! وأن الحكم الشرعى فى هذا التصادم هو الإدغام لمصلحه العيد السابق ، أو إطعام العيد اللاحق للسابق !

وهل هذه الأحكام للأعياد أحكاماً إسلاميه ربانيه ، أم استحسانيه شبيهاً بقانون تصادم السيارات ، أو قانون تصادم الأعياد الوطنيه والدينيه !!؟

إن المشكله التى طرحها اليهودى ، ما زالت قائمه عند الخليفه وأتباعه ، لأن الخليفه لم يقدم لها حلاً .. وكل الذى قدمه أنه اعترف بها وأقرها ، ثم رتب عليها أحكاماً لا يمكن قبولها ، ولم يقل إنه سمعها من النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

فقد اعترف خليفه المسلمين بأن يوم نزول الآيه يوم عظيمٌ ومهمٌ بالنسبه الى المسلمين ، لأنه يوم مصيرى وتاريخى أكمل الله فيه تنزيل الإسلام ، وأتم فيه النعمه على أمته ، ورضيه لهم ديناً يدينونه به ، ويسرون عليه ، ويدعون الأمم اليه .

وأن هذا اليوم العظيم يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمة الإسلاميه تحتفل فيه وتجتمع فيه ، فى صف أعيادها الشرعيه الثلاث : الفطر والأضحى والجمعه ، وأنه لو كان عند أمه أخرى يوم مثله ، لأعلنته عيداً ربانياً ، وكان من حقها ذلك شرعاً ..

لقد وافق الخليفه محاوره اليهودى على كل هذا ، وبذلك يكون عيد إكمال الدين فى فقه إخواننا عيداً شرعياً سنوياً ، يضاف الى عيدى الفطر والأضحى السنويين وعيد الجمعه الأسبوعى .

إن الناظر فى المسأله يلمس أن الخليفه عمر وقع فى ورطه (آيه على بن أبى طالب) من ناحيتين : فهو من ناحيه ناقض نفسه فى آخر ما نزل من القرآن .. ومن ناحيه فتح على نفسه المطالبه بعيد الآيه الى يوم القيامه !! وصار من حق المسلم أن يسأل أتباع عمر من الفقهاء عن هذا العيد الذى لا يرى له عيناً ولا أثراً ولا اسماً فى تاريخ المسلمين ، ولا فى حياتهم ، ولا فى مصادرهم .. إلا .. عند الشيعه !

ثم .. إن الأعياد الإسلامية توقيفيه ، فلا يجوز لأحد أن يشرع عيداً من نفسه .. وحجه الشيعة في جعل يوم الغدير عيداً ، أن أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وشيعتهم رووا عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يوم الآيه أى يوم الغدير عيدٌ شرعى ، وأن جبرئيل أخبره بأن الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كانوا يأمرون أممهم أن تتخذ يوم نصب الوصى عيداً.

فما هى حجة الخليفة فى تأييد كلام اليهودى ، وموافقته له بأن ذلك اليوم يستحق أن يكون عيداً شرعياً للأمم الإسلامية ! ثم أخذ يعتذر له بأن مصادفه نزولها فى عيدين أوجبت عدم إفراد المسلمين ليومها بعيد .. الخ.

فإن كان الخليفة حكم من عند نفسه بأن يوم الآيه يستحق أن يكون عيداً ، فهو تشريع وبدعه ، وإن كان سمعه من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فلماذا لم يذكره ، ولم يرو أحدٌ من المسلمين شيئاً عن عيد الآيه ، إلا ما رواه الشيعة ؟!

ثامناً : لو كان يوم عرفه يوم جمعه كما قال عمر فى بعض أقواله ، لصلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالمسلمين صلاة الجمعة ، مع أن أحداً لم يرو أنه صلى الجمعة فى عرفات ، بل روى النسائي وغيره أنه قد صلى الظهر والعصر !

والظاهر أن النسائي يوافق سفيان الثورى ولا يوافق عمر ، فقد جعل فى سننه : ١ / ٢٩٠ عنواناً باسم (الجمع بين الظهر والعصر بعرفه).

وروى فيه عن جابر بن عبد الله قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفه ، فوجد القبه قد ضربت له بنمره فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس ، أمر بالقصواء فرحلت له ، حتى إذا انتهى الى بطن الوادى خطب الناس ، ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً !! انتهى.

- وكذلك روى أبو داود فى سننه : ١ / ٤٢٩

عن ابن عمر قال : غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منى حين صلى الصبح صبيحه يوم عرفه ، حتى أتى عرفه فنزل بنمره ، وهى منزل الإمام الذى ينزل بعرفه ،

حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجراً ، فجمع بين الظهر والعصر ، ثم خطب الناس ، ثم راح فوقف على الموقف من عرفه . انتهى .

وأما الجواب بأن الجمعة تسقط في السفر ، فهو أمر مختلفٌ عندهم فيه ، ولو صح أن يوم عرفه كان يوم جمعه ولم يصل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صلاة الجمعة ، لذكر ذلك مئات المسلمين الذين كانوا في حجه الوداع !

وقد تمحل ابن حزم في الجواب عن ذلك فقال في المحلى : ٢٧٢ / ٧ :

مسأله : وإن وافق الإمام يوم عرفه يوم جمعه جهراً وهي صلاة جمعه ! ويصلى الجمعة أيضاً بمنى وبمكة ، لأن النص لم يأت بالنهي عن ذلك ، وقال تعالى : إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، فلم يخص الله تعالى بذلك غير يوم عرفه ومنى .

ورويانا ... عن عطاء بن أبي رباح قال : إذا وافق يوم جمعه يوم عرفه ، جهراً بالإمام بالقراءة ... فإن ذكروا خبراً رويناه ... عن الحسن بن مسلم قال : وافق يوم الترويه يوم الجمعة وحجه النبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال : من استطاع منكم أن يصلى الظهر بمنى فليفعل ، فصلى الظهر بمنى ولم يخطب ... فهذا خبرٌ موضوعٌ فيه كل بليه : ابراهيم بن أبي يحيى مذكور بالكذب متروك من الكل ، ثم هو مرسل ، وفيه عن ابن الزبير ، مع ابن أبي يحيى الحجاج بن أرطاه ، وهو ساقط ، ثم الكذب فيه ظاهر ، لأن يوم الترويه في حجه النبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إنما كان يوم الخميس ، وكان يوم عرفه يوم الجمعة ، رويانا ذلك من طريق البخارى ...

فإن قيل : إن الآثار كلها إنما فيها جمع رسول الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بعرفه بين الظهر والعصر ؟

قلنا : نعم وصلاة الجمعة هي صلاة الظهر نفسها ! وليس في شيء من الآثار أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم يجهر فيها ، والجهر أيضاً ليس فرضاً ، وإنما يفترق الحكم في أن ظهر يوم الجمعة في الحضر والسفر للجماعه ركعتان . انتهى .

وجواب ابن حزم : أنه صادر على المطلوب ، لأنه رد الروايه لمجرد مخالفتها لقول عمر بأن يوم عرفه لم يكن يوم جمعه !

فلماذا لم يرد قول عمر بقوله الثانى بأن عرفه كانت يوم خميس ، وروايته صحيحه ؟

أو بقول النسائى والثورى ، والأقوال العديده التى ذكرها الطبرى وغيره ؟

ولو صح ما قاله من أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اعتبر ركعتى الظهر فى عرفه صلاه جمعه لأنه جهر فيهما ، لاشتهد بين المسلمين أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) جهر فى صلاه الظهر التى لا يجهر بها لتصبح (أتوماتيكياً) صلاه جمعه !

بل إن الروايه التى كذبها وهاجمها بسبب مخالفتها لروايه عمر تنص على أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صلى الجمعه فى منى ، وهى أقرب الى حساب سفره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من المدينه الذى كان يوم الخميس لأربع بقين من ذى القعدة ، ووصوله الى مكه يوم الخميس لأربع مضين من ذى الحجه ، وأن أول ذى الحجه كان يوم الإثنين ، فيوم عرفه يوم الثلاثاء ، وعيد الأضحى الأربعاء ، ويوم الجمعه كان ثانى عشر ذى الحجه كما سيأتى .. فيكون قول الراوى إن الجمعه كانت فى منى قولاً صحيحاً ، ولكنه اشتبه وحسبها قبل موقف عرفات ، مع أنها كانت بعده !

تاسعاً : إن القول بأن يوم عرفه فى تلك السنه كان يوم جمعه ، تعارضه رواياتهم التى تقول إنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عاش بعد نزول الآيه إحدى وثمانين ليلةً أو ثمانين !

فقد ثبت عندهم أن وفاه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول ومن ٩ ذى الحجه الى ١٢ ربيع الأول أكثر من تسعين يوماً .. فلا- بد لهم إما أن يأخذوا بروايه وفاته قبل ذلك فيوافقونا على أنها فى ٢٨ من صفر ، أو يوافقونا على نزول الآيه فى يوم الغدير ١٨ ذى الحجه.

- قال السيوطى فى الدر المنثور : ٥٩ / ٢

وأخرج ابن جرير ، عن ابن جريج قال : مكث النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما نزلت هذه الآيه إحدى وثمانين ليلة ، قوله : اليوم أكملت لكم دينكم. انتهى.

- وذكر نحوه فى : ٢ / ٢٥٧ عن البيهقى فى شعب الإيمان.

ص : ٢٧٦

- وقال ابن حجر في تلخيص الحبير بهامش مجموع النووى : ٣ / ٧

وروى أبو عبيد ، عن حجاج ، عن ابن جريح أنه صلى الله عليه وسلم لم يبق بعد نزول قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم إلا إحدى وثمانين ليله. ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم ١٢٩٨٤ ، ورواه الطبرى فى تفسيره : ٤ / ١٠٦ عن ابن جريح قال : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج عن ابن جريح قال : مكث النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليله ، قوله : اليوم أكملت لكم دينكم.

- وقال القرطبى فى تفسيره : ٢٠ / ٢٢٣ :

وقال ابن عمر : نزلت هذه السوره بمنى فى حجه الوداع ثم نزلت : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى. فعاش بعدهما النبى صلى الله عليه وسلم ثمانين يوماً. ثم نزلت آيه الكلاله فعاش بعدها خمسين يوماً ، ثم نزل لقد جاءكم رسول من أنفسكم. فعاش بعدها خمسه وثلاثين يوماً. ثم نزل واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً. وقال مقاتل سبعة أيام. وقيل غير هذا. انتهى.

وروايه ابن عمر تؤيد قول أبيه بنزول آيه الكلاله بعد آيه إكمال الدين ، ولكنه نسي آيه الربا التى قال أبوه أيضاً إنها آخر آيه ، ومن ناحيه أخرى خالف أباه فى أن آيه إكمال الدين نزلت فى عرفه ، وقال إنها نزلت بعد سوره النصر بمنى ، يعنى بعد انتهاء حجه الوداع وسفر النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، واقترب من القول بنزولها فى الغدير !!

- وقال الأمينى فى الغدير : ١ / ٢٣٠

وهو الذى يساعده الإعتبار ويؤكداه النقل الثابت فى تفسير الرازى : ٣ / ٥٢٩ عن أصحاب الآثار : إنه لما نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم لم يعمر بعد نزولها إلا أحداً وثمانين يوماً ، أو اثنين وثمانين ، وعينه أبو السعود فى تفسيره بهامش تفسير الرازى : ٣ / ٥٢٣ ، وذكر المؤرخون منهم أن وفاته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى الثانى عشر من ربيع الأول ، وكأن فيه تسامحاً بزياده يوم واحد على الإثنين وثمانين يوماً ، بعد إخراج يومى الغدير والوفاه ..

ص : ٢٧٧

وعلى أى فهو أقرب الى الحقيقه من كون نزولها يوم عرفه ، كما جاء فى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما لزياده الأيام حينئذ . انتهى .

كما تعارض قول عمر بأن يوم عرفات كان يوم جمعه ، رواياتهم التى تنص على أن الآيه نزلت يوم الإثنين .. ففى دلائل البيهقى : ٢٣٣ / ٧ : عن ابن عباس قال : ولد نبيكم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يوم الإثنين ، ونبى يوم الإثنين ، وخرج من مكه يوم الإثنين ، وفتح مكه يوم الإثنين ، ونزلت سوره المائده يوم الإثنين : اليوم أكملت لكم دينكم وتوفى يوم الإثنين .

- وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ / ١٩٦ -

رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وزاد فيه : وفتح بدرأ يوم الإثنين ، ونزلت سوره المائده يوم الإثنين : اليوم أكملت لكم دينكم ، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وبقيه رجاله ثقات من أهل الصحيح . انتهى .

وللحديث طرقٌ ليس فيها ابن لهيعة .. ولكن علتة الحقيقه عندهم مخالفتة لما قاله الخليفه عمر ، كما صرح به السيوطى وابن كثير ! فقد قال ابن كثير فى سيرته : ١ / ١٩٨ : تفرد به أحمد ، ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة ، وزاد : نزلت سوره المائده يوم الإثنين : اليوم أكملت لكم دينكم ، وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضاً : وكانت وقعه بدر يوم الإثنين . وممن قال هذا يزيد بن حبيب . وهذا منكرٌ جداً !! قال ابن عساكر : والمحفوظ أن بدرأ ونزول : اليوم أكملت لكم دينكم يوم الجمعه وصدق ابن عساكر . انتهى .

وقد تقدم أن عله نكارتة عند ابن كثير أنه مخالف لقول عمر ، وقول معاويه ! وقد كان ابن عساكر أكثر اتزاناً منه حيث لم يصف الخبير بالضعف أو النكاره ، بل قال إنه مخالفٌ للمحفوظ ، أى المشهور عندهم ، وهو قول عمر .

وينبغى الإلفات الى أن الإشكال عليهم بأحاديث نزول الآيه فى يوم الإثنين إنما هو إلزامٌ لهم بما التزموا به ، وإلا فنحن لا نقبل أنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يبق بعد الآيه إلا ثمانين يوماً

لأن المعتمد عندنا أن الآيه نزلت يوم الثامن عشر من ذى الحجه ، وأن وفاته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت فى يوم الثامن والعشرين من صفر ، فتكون الفاصله بنحو سبعين يوماً.

وقد ثبت عندنا أن الآيه نزلت يوم الخميس ، وفى روايه يوم الجمعة ، كما ثبت عندنا أن بعثه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت يوم الإثنين ، وأن علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) صلى معه يوم الثلاثاء ، وأن وفاته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت فى يوم الإثنين أيضاً ، وقد تكون سوره المائده نزلت يوم الإثنين أى أكثرها ، ثم نزلت بقيتها بعد ذلك ، ومنها آيه التبليغ ، وآيه إكمال الدين .

عاشراً : إن القول بأن يوم عرفه فى تلك السنه كان يوم جمعه ، تعارضه الروايات التى سجلت يوم حركه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من المدينه ، وأنه كان يوم الخميس لأربع بقين من ذى القعدة . وهو الروايه المشهوره عن أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، وهى منسجمه مع تاريخ نزول الآيه فى يوم الغدير الثامن عشر من ذى الحجه .

وذلك ، لأن سفر النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان فى يوم الخميس ، أى فى اليوم السابع والعشرين من ذى القعدة ، لأربع بقين من ذى القعدة هى : الخميس والجمعه والسبت والأحد .. ويكون أول ذى الحجه يوم الإثنين ، ووصول النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى مكه عصر الخميس الرابع من ذى الحجه فى سلخ الرابع ، كما فى روايه الكافى : ٢٤٥ / ٤ ، ويكون يوم عرفه يوم الثلاثاء ، ويوم الغدير يوم الخميس الثامن عشر من ذى الحجه . وهذه نماذج من روايات أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فى ذلك :

- ففى وسائل الشيعة : ٣١٨ / ٩

محمد بن إدريس فى (آخر السرائر) نقلاً من كتاب المشيخه للحسن بن محبوب قال : خرج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأربع بقين من ذى القعدة ، ودخل مكه لأربع مضيئ من ذى الحجه ، دخل من أعلى مكه من عقبه المدينين ، وخرج من أسفلها .

- وفى الكافى : ٢٤٥ / ٤

عن أبى عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : حج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عشرين حجه ... إن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أقام بالمدينه عشر سنين لم يحج ، ثم أنزل الله عز وجل عليه : وأذن فى الناس بالحج

ص : ٢٧٩

يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق ، فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يحج في عامه هذا ، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب ، واجتمعوا لحج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه ، أو يصنع شيئاً فيصنعونه ، فخرج رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في أربع بقين من ذى القعدة ، فلما انتهى الى ذى الحليفة زالت الشمس فاغتسل ، ثم خرج حتى أتى المسجد الذى عند الشجرة فصلى فيه الظهر ، وعزم بالحج مفرداً ، وخرج حتى انتهى الى البيداء عند الميل الأول فصف له سماطان ، فلبى بالحج مفرداً ، وساق الهدى ستاً وستين أو أربعاً وستين ، حتى انتهى الى مكة فى سلخ أربع من ذى الحجة فطاف بالبيت سبعة أشواط ، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، ثم عاد الى الحجر فاستلمه ...

- وفى المسترشد / ١١٩ :

العبدى عن أبى سعيد أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) دعا الناس الى على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بغدير خم ، وأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقم ، وذلك يوم الخميس ، ثم دعا الناس ، وأخذ بضبعيه ورفع حتى نظر الناس الى بياض إبطيه ، ثم لم يترقوا حتى نزلت هذه الآية : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتى وبالولاية لعلى من بعدى. انتهى.

* *

ويؤيد قول أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ما روته مصادر الفريقين من أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كان لا يبدأ سفره إلا يوم الخميس ، أو قلما يبدأه فى غيره ، كما فى صحيح البخارى : ٤ / ٦ وسنن أبى داود ١ / ٥٨٦ ، وتنص روايه ابن سيد الناس فى عيون الأثر : ٢ / ٣٤١ على أن سفر النبى من المدينة كان يوم الخميس.

ص : ٢٨٠

وروى فى بحار الأنوار : ١٦ / ٢٧٢ عن الكافى بسندٍ مقبول عن أبى عبد الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال : كان النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إذا خرج فى الصيف من البيت خرج يوم الخميس ، وإذا أراد أن يدخل فى الشتاء من البرد ، دخل يوم الجمعة . انتهى .

ويؤيد قول أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أيضاً ما رووه عن جابر بأن حركته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانت لأربع بقين من ذى القعدة ، كما يأتى من سيره ابن كثير .

بل يؤيده أيضاً ، أن البخارى وأكثر الصحاح رووا أن سفره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان كان لخمسة بقين من ذى القعدة ، بدون تحديد يوم راجع البخارى : ٢ / ١٤٦ و ١٨٤ و ١٨٧ و ٧ / ٤ وفيه (وقدم مكة لأربع ليالٍ خلون من ذى الحجة) ، والنسائى : ١ / ١٥٤ و ٢٠٨ و : ٥ / ١٢١ ، ومسلم : ٤ / ٣٢ ، وابن ماجه : ٢ / ٩٩٣ ، والبيهقى : ٥ / ٣٣ ، وغيرها .

ويؤيده أيضاً أن مده سيره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من المدينة الى مكة لا تزيد على ثمانية أيام ، وذلك بملاحظه الطريق الذى سلكه ، والذى هو فى حدود ٤٠٠ كيلو متراً ، وملاحظه سرعه السير ، حتى أن بعض الناس شكوا له تعب أرجلهم فعلمهم شداها . وملاحظه أن أحداً لم يرو توقفه فى طريق مكة أبداً .

وملاحظه روايات رجوعه ووصوله الى المدينة أيضاً ، مع أنه توقف طويلاً نسبياً فى الغدير .. الخ .

ثم بملاحظه الروايات التى تتفق على وصوله الى مكة فى الرابع من ذى الحجة . كما رأيت فى روايات أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وروايه البخارى الآنفه .

وبذلك تسقط روايه خروجه من المدينة لست بقين من ذى الحجة ، كما فى عمده القارى ، وإرشاد السارى ، وابن حزم ، وهامش السير الحلييه : ٣ / ٢٥٧ ، لأنها تستلزم أن تكون مده السير الى مكة عشره أيام !

* *

وبهذا يتضح حال القول المخالف لروايه أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الذى اعتمد أصحابه روايه (خمس بقين من ذى القعدة) وحاولوا تطبيقها على يوم السبت ، ليجعلوا أول ذى الحجه الخميس ، ويجعلوا يوم عرفه يوم الجمعة تصديقاً لقول عمر ، بل تراهم ملكيين أكثر من الملك ، لما تقدم عن عمر من أن يوم عرفه كان يوم الخميس.

وممن قال بروايه السبت ابن سعد فى الطبقات : ١٢٤ / ٢ ، والواقدي فى المغازى : ١٠٨٩ / ٢ وكذا فى هامش السيره الحلييه : ٣ / ٣ ، والطبرى : ١٤٨ / ٣ ، وتاريخ الذهبى : ٧٠١ / ٢ ، وغيرهم.

وعلى هذه الروايه يكون الباقي من شهر ذى القعدة خمس أيام هى : السبت والأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء ، ويكون أول ذى الحجه الخميس ، ويكون يوم عرفه يوم الجمعة ، وتكون مدته السير الى مكه تسعه أيام ، إلا- أن يكون الراوى تصور أن ذى القعدة كان تاماً ، فظهر ناقصاً.

وقد حاول ابن كثير الدفاع عن هذا القول ، فقال فى سيرته : ٢١٧ / ٤ :

وقال أحمد ... عن أنس بن مالك الأنصارى قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فى مسجده بالمدينه أربع ركعات ، ثم صلى بنا العصر بذى الحليفه ركعتين آمنأ لا يخاف ، فى حجه الوداع. تفرد به أحمد من هذين الوجهين ، وهما على شرط الصحيح. وهذا ينفى كون خروجه ٧ يوم الجمعة قطعاً.

ولا- يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس كما قال ابن حزم ، لأنه كان يوم الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لأنه لا خلاف أن أول ذى الحجه كان يوم الخميس لما ثبت (بالتواتر والإجماع) من أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقف بعرفه يوم الجمعة ، وهو تاسع ذى الحجه بلا نزاع.

فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى القعدة ، لبقى فى الشهر ست ليال قطعاً : ليله الجمعة والسبت والأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء. فهذه ست ليال. وقد قال ابن عباس وعائشه وجابر إنه خرج لخمس بقين من ذى القعدة وتعذر

أنه يوم الجمعة لحديث أنس ، فتعين على هذا أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خرج من المدينة يوم السبت ، وظن الراوى أن الشهر يكون تاماً فاتفق فى تلك السنه نقصانه ، فانسلخ يوم الأربعاء واستهل شهر ذى الحجه ليله الخميس. ويؤيده ما وقع فى روايه جابر : لخمس بقين أو أربع.

وهذا التقريب على هذا التقدير لا محيد عنه ولا بد منه. والله أعلم. انتهى.

ويظهر من كلام ابن كثير عدم اطمئنانه بهذه التقديرات ، لأنه رأى تشكيك الخليفه عمر نفسه ، وتشكيك سفيان الثورى الذى رواه البخارى ، وتشكيك النسائى. وجزم ابن حزم بأن سفره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان يوم الخميس.

ونلاحظ أن ابن كثير استدل على أن خروج النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يوم الخميس بالمصادره على المطلوب فقال (لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقف بعرفه يوم الجمعة) فأى تواتر وإجماع يقصد ، وما زال فى أول البحث؟!!

كما أنه استدل على أن سفر النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يبدأ من المدينة يوم الجمعة بروايه أنس أن النبى صلى الظهر والعصر ولم يصل الجمعة ، وهو استدلالٌ يرد نفسه ويؤيد قول أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بأن بدء سفره كان الخميس لأربع بقين من ذى القعدة !

وتقدمت الروايه عندنا أنه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) صلى الظهر والعصر فى ذى الحليفه.

ولو صحت روايه أنس بأنه صلى الظهر فى مسجده فى المدينة ، ثم صلى العصر فى ذى الحليفه ، فلا ينافى ذلك أن يكون سفره الخميس ، بل يكون معناه أنه أحرم بعد العصر من ذى الحليفه ، وواصل سفره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

* *

والنتيجه : أن القول بنزول آيه إكمال الدين فى يوم عرفه ، يرد عليه إشكالاتٌ عديدة ، سواء فى منطقه ، أم فى تاريخه وتوقيته .. تستوجب من الباحث المنصف أن يتوقف ولا يأخذ به.

ص: ٢٨٣

فيبقى رأى أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ومن وافقهم فى سبب نزول الآيه بدون معارض ، لأن المعارض الذى لا يستطيع النهوض للمعارضه كعدمه .. والمتن الكسيح لا ينفع معه السند الصحيح !!

وفى الختام : فإن المجمع عليه عند جميع المسلمين أن يوم نزول الآيه عيدٌ إلهيٌّ عظيمٌ (عيد إكمال الدين وإتمام النعمه) بل ورد عن أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أنه أعظم الأعياد الإسلاميه على الاطلاق ، ودليله المنطقى واضحٌ ، حيث ارتبط العيد الأسبوعى للمسلمين بصلاه الجمعه ، وارتبط عيد الفطر بعباده الصوم ، وارتبط عيد الأضحى بعباده الحج .. أما هذا العيد ، فهو مرتبطٌ بإتمام الله تعالى نعمه الإسلام كله على الأمه ، وقد تحقق فى رأى إخواننا السنه بتنزيل أحكام الدين وإكماله من دون تعيين آليه لقياده مسيرته ..

وتحقق فى رأينا بإكمال تنزيل الأحكام ، ونعمه الحل الالهى لمشكله القياده وإرساء نظام الإمامه الى يوم القيامه ، فى عتره خاتم النبیین (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

ومادام جميع المسلمين متفقون على أنه عيدٌ شرعى ، فلماذا يقبل علماء المسلمين ومفكروهم ورؤساؤهم أن تخسر الأمه أعظم أعيادها ، ولا يكون له ذكرٌ فى مناسبه ، ولا مراسمٌ تناسب شرعيته وقداسته ؟!

فهل يستجيب علماء إخواننا السنه الى دعوتنا بالبحث فى فقه هذا العيد المظلوم المغيب .. وإعادته الى حياه كل المسلمين ، بالشكل الذى ينسجم مع عقائدهم وفقه مذاهبهم !

**

قال الله تعالى في مطلع سوره المعارج :

سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ، من الله ذى المعارج ... الى آخر السوره الكريمه التى تبلغ ٤٤ آيه.

أحداث كانت وراءها قريش

نمهد لتفسير الآيه بذكر فهرس عددٍ من الأحداث الخطيره فى أواخر حياه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. ثبت أن قريشاً كانت وراء بعضها ، وتوجد مؤشرات توجب الظن بأنها كانت وراء الباقي.

الأولى : محاوله اغتيال النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى حنين .. وقد تقدم فى البحث الخامس اعتراف بعض زعماء قريش بها !

الثانيه : محاوله اغتيال النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى العقبه فى طريق رجوعه من تبوك ، وقد كانت محاوله متقنّه ، نفذتها مجموعهٌ منافقه بلغت نحو عشرين شخصاً ، وقد عرفوا أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) سيمر ليلاً من طريق الجبل بينما يمر الجيش من طريقٍ حول الجبل ، وكانت خطتهم أن يكمنوا فوق الطريق الذى سيمر فيه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، حتى إذا وصل

الى المضيق ألقوا عليه ما استطاعوا من صخورٍ لتحدّر بقوةٍ وتقتله ، ثم يفرون ويضيعون أنفسهم في جيش المسلمين ، ويكون على الرسول ، ويأخذون خلافته !

وقد تركهم الله تعالى ينفذون خطتهم ، حتى إذا بدؤوا بدحرجه الصخور ، جاء جبرئيل وأضاء الجبل عليهم ، فرآهم الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وناداهم بأسمائهم ، وأراهم لمرافقيه المؤمنين : حذيفه بن اليمان وعمار بن ياسر ، وأشهدهما عليهم ، فسارع المنافقون ونزلوا من الجبهه الثانيه من الجبل ، وضيعوا أنفسهم في المسلمين !!

أما لماذا لم يعلن الرسول أسماءهم ؟!

فلا- جواب إلا أنهم من قريش ، ومن المعروفين فيها .. وإعلان أسمائهم يعنى معاقبتهم ، ومعاقبتهم تعنى خطر ارتداد قريش عن الإسلام ، وإمكان إقناعها بعض قبائل العرب بالإرتداد ، بحجه أن محمداً أعطى كل شىء من بعده لبنى هاشم ، ولم يعط لقريش والعرب شيئاً !

وهذا يعنى السمعته السيئه للإسلام ، وأن نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد أن آمن به أصحابه اختلف معهم ، وقاتلهم وقتلوه !

ويعنى الحاجه من جديد الى بدرٍ وأحدٍ والخندق وفتح مكة !

ولن تكون نتائج هذه الدوره للإسلام أفضل من الدوره الأولى !

فالحل الالهى هو : السكوت عنهم ما داموا يعلنون قبول الإسلام ، ونبوه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وينكرون فعلتهم.

ومن الملاحظ أن روايات مؤامره العقبه ذكرت أسماء قرشيه معروفه ، وقد ضعّفها رواه قريش طبعاً ، لكن أكثرهم وثقوا ابن جميع وغيره من الرواه الذين نقلوا عن حذيفه بن اليمان أسماء هؤلاء الزعماء المشاركين فيها !

كما أنهم رووا عن حذيفه وعمار رواياتٍ فاضحهٍ لبعض الصحابه الذين كانوا يسألونهما عن أنفسهم : هل رأياهم في الجبل ليله العقبه ؟! ويحاولون أن يأخذوا منهما براءهً من النفاق والمشاركه في المؤامره !

وروا أنهم كانوا يعرفون الشخص أنه من المنافقين أم لا-، عندما يموت .. فإن صلى حذيفه على جنازته فهو مؤمن ، وإن لم يصل على جنازته فهو منافق.

وروا أن حذيفه لم يصل على جنازه أى زعيمٍ من قريشٍ مات فى حياته !!

الثالثة : قصه سوره التحريم ، التى تنص على أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أُسْرََّ بِحَدِيثٍ خَطِيرٍ الى بعض أزواجه ، وأكد عليها أن لا تقوله لأحد ، ولا بد أن الله تعالى أمره بذلك لِحِكْمٍ ومصالح يعلمها سبحانه .. فخالفت (أم المؤمنين) حكم الله تعالى ، وأفشت سر زوجها رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وعملت مع صاحبته لمصلحه (قريش) ضد مصلحه زوجها الرسول .. فأطلع الله تعالى نبيه على مؤامرتهم ، فأخبرهما بما فعلتا ، ونزل القرآن بكشف سرهما وسر من ورائهما ، وهددهما وضرب لهما مثلاً بامرأتى نوح ولوط ، اللتين خانتهما ، فدخلتا النار !!

أما رواه الخلافه القرشيه فيقولون إن المسأله كانت عائليه ، تتعلق بغيره النساء من بعضهن ، وبيعض الأخطاء الفنيه الخفيفه لهن مع النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

إنهم يريدونك أن تغمض عينيك عن آيات الله تعالى فى سوره التحريم ، التى تتحدث عن خطرٍ عظيمٍ على الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والرساله ، وتحشد أعظم جيشٍ جرارٍ لمواجهه الموقف فتقول « إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه ، فإن الله هو مولاه ، وجبريل ، وصالح المؤمنين ، والملائكه بعد ذلك ظهير »

فلمن صغت قلوبهما ، ولمصلحه من تعاونتا على الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ؟!

وما هى القضيه الشخصيه التى تحتاج معالجتها الى هذا الجيش الالهى الجرار ، الذى لا يستنفره الله تعالى إلا لحالات الطوارئ القصوى ؟!

أما ابن عباس الذى يصفونه بحبر الأمه ، فكان يقرأ الآيه « زاغت قلوبكما » وبذلك تكون اثنتان من أمهات المؤمنين احتاجتا الى تجديد إسلامهما !

الرابعه : حادثه هجر النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لسنائه شهراً ، وشيوع خبر طلاقه لهن .. وذهابه بعيداً عنهن وعن المسجد ، الى بيت ماريه القبطيه الذى كان فى طرف المدينه أو خارجها ..

فقد صورت الروايات القرشيه هذه الحادثه على أنها حادثه شخصيه .. شخصيه بزعمهم وشغلت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والوحي والمسلمين !

وادعوا أن سببها كثره طلبات نسائه المعيشيه منه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأكدوا أنه لا- ربط للحادثه بقضايا الإسلام المالمه للساحه السياسيه آنذاك ، والشاغل لزعماء قريش خاصه ..

الخامسه : تصعيد عمل قريش ضد على بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لإسقاط شخصيته ، وغضب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وشدته عليهم في دفاعه عن على ، وتركيزه لشخصيته .. ولهذا الموضوع مفردات عديده في حروب النبي وسلمه وسفره وحضره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ونلاحظ أنها كثر في السنه الأخيره من حياته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وغضب بسببها مراراً ، وخطب أكثر من مره ، مبيناً فضل على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وفسق أو كفر من يؤذيه !

ولو لم يكن من ذلك إلا قصه بريده الأسلمى الكاسحه ، التي روتها مصادر السنين بطرق عديده ، وأسانيد صحيحه عاليه ، وكشفت عن وجود شبكه عمل منظم ترسل الرسائل وتضع الخطط ضد على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وسجلت إدانته النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الغاضبه لهم ، وتصريحه بأن علياً وليكم من بعدى ، وحكمه بالنفاق على كل من ينتقد علياً وكل من لا يحب علياً ، ولا يطيعه ..!

وهي حادثه تكفى دليلاً على ظلم زعماء قريش وحسد هم لعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ... الخ ..!

السادسه : منع تدوين سنه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حياته .. أما القرآن فقد كان عامه الناس يكتبونه من حين نزوله ، وكان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يأمر بوضع ما ينزل منه جديداً بين منبره والحائط ، وكان يوجد هناك ورق ودواة ، لمن يريد أن يكتبه.

وكان على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يكتب القرآن ، وحديث النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذي يأمره بكتابته.

وكان آخرون يكتبون حديث النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ومنهم شبان قريشون يعرفون الكتابه مثل عبد الله بن عمرو بن العاص ..

وقد أحست قريش بأن ذلك يعنى تدوين مقولات النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) العظيمه في حق عترته وبنى هاشم ، ومقولاته في ذم عدد كبير من فراعنه قريش وشخصياتها ..

فعملت على منع كتابه سنة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حياته ، في حين أن بعض زعمائها كان يكتب أحاديث اليهود ، ويحضر درسه في كل سبت !! وقد وثقنا ذلك في كتاب تدوين القرآن.

وقد روت مصادر السنين أن عبد الله بن عمرو شكى الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن (قريشاً) نهته عن كتابه حديثه ، لأن أحاديثه التي فيها غضبٌ عليها ليست حجه شرعا !

قال أبو داود في سننه : ١٧٦ / ٢ :

عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيءٍ أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه ، فنهتني قريش (؟) وقالوا : أكتب كل شيء تسمعه ؟! ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشرٌ يتكلم في الغضب والرضا ؟! فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوماً بإصبعه الى فيه فقال : أكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق!. انتهى. ورواه أحمد في مسنده : ١٩٢ / ٢ ، و٢١٥ ، والحاكم في المستدرک : ١ / ١٠٥ و : ٣ / ٥٢٨ ، وصححه.

السابعة : محاوله اغتيال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في طريق عودته من حجه الوداع عند عقبه هرشي ، وقد كشف الوحي المؤامرة ، وكانت شبيهة الى حد كبير بمؤامره اغتياله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في العقبة ، في طريق رجوعه من مؤته !

الثامنة : تصعيد قريش انتقادها لأعمال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لتركيز مكانه عترته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وأسرته بنى هاشم في الأمة ، واعتراض عددٍ منهم عليه بصراحه ووقاحه ، ومطالبتهم بأن يجعل الخلافة لقريش تدور في قبائلها ، أو يشرك مع على غيره من قبائل قريش ، وقد رفض النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كل مطالبهم ، لأنه لا يملك شيئاً مع الله تعالى ، ولم يعط شيئاً من عنده حتى يمنعه ، وإنما هو عبدٌ ورسولٌ مبلغ !! (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وقد تقدم نص تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى / ١٦٧ ، وفيه (جاء قوم من قريش فقالوا له : يا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إن الناس قريبو عهد بالإسلام ، لا- يرضون أن تكون النبوه فيك والإمامه في ابن عمك على بن أبي طالب. فلو عدلت به الى غيره لكان أولى.

فقال لهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ما فعلت ذلك برأى فأتخير فيه ، لكن الله تعالى أمرني به وفرضه علي .

فقالوا له : فإذا لم تفعل ذلك مخافه الخلاف على ربك ، فأشرك معه في الخلافه رجلاً من قريش تركن الناس اليه ، ليتم لك أمرك ، ولا يخالف الناس عليك .

التاسعه : أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عندما كان مريضاً شكل جيشاً بقياده أسامه بن زيد ، وجعل تحت إمرته كل زعماء قريش غير بنى هاشم ، وعقد اللواء لأسامه بن زيد ، وأمره أن يسير الى مؤته في الأردن لمحاربه الروم .. أراد بذلك أن يرسخ قدره الدوله الإسلاميه ويأخذ بثار شهداء مؤته ، وأراد أن يفرغ المدينه من المعارضين لعلي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قبيل وفاته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

فخرج أسامه بمن معه وعسكر خارج المدينه ، ولكن زعماء قريش أحبطوا خطه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بتشاقلمهم عن الإنضمام الى جيش أسامه ، وتأخيرهم من استطاعوا عنه ، ثم طعنوا في تأمير النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأسامه الأفريقي الشاب ، بحجه صغر سنه ، وواصلوا تسويقهم الوقت ، والذهاب الى معسكر أسامه ثم الرجوع الى المدينه .. حتى صعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) المنبر وشدد على إنفاذ جيش أسامه ، وأبلغ المسلمين صدور اللعنه من ربه عز وجل ومنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على كل من تخلف عن جيش أسامه !!

العاشره : تصعيد قريش فعاليتها في مواجهه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وقرارها الخطير بمواجهته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مباشرة إذا أراد أن يستخلف علياً وأهل بيته من بعده رسمياً !

وبالفعل فقد قام بمهمه مواجهه زعيم قريش الجديد عمر بن الخطاب ، وذلك عندما جمع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) زعماء قريش والأنصار في مرض وفاته ، وأخبرهم أنه قرر أن يكتب لأتمته كتاباً لن تفضل بعده أبداً ، فعرفوا أنه يريد أن يثبت ولايه على أهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) على الأمه بصوره مكتوبه ، فواجهه عمر بصراحه : لا نريد كتابك وأمانك من الضلال ، ولا سنتك ولا عترتك ، وحسبنا كتاب الله ! وحتى تفسيره من حقنا نحن لا من حقك ، وحق عترتك !!

وأيده القرشيون الحاضرون ومن أثروا عليه من الأنصار ، وصاحوا في محضر نبيهم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : القول ما قاله عمر !!
وانقسم المودعون لنبيهم في آخر أيامه ، وتشادوا بالكلام فوق رأسه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !! منهم من يقول قربوا له قلماً
وقرطاساً يكتب لكم أماناً من الضلال. وأكثرهم يصيح : القول ما قاله عمر ، لا تقربوا له شيئاً ، ولا تدعوه يكتب !!

ولعل جبرئيل حينذاك كان عند النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقد كثر نزوله عليه في الأيام الأخيرة ، فتشاور معه وأخبره أن
الحججه قد تمت ، والإصرار على الكتاب يعني دفع قريش نحو الرده ، والحل هو الإعراض عنهم ، وإكمال تبليغهم بطردهم !!
فطردهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقال لهم : قوموا فما ينبغي عند نبي تنازع ! قوموا ، فما أنا فيه خير مما تدعونى اليه ..!!

وحديث إيتوني بدواهٍ وقرطاسٍ حديث معروفٌ ، وقد سمي ابن عباس تلك الحادثة (رزيه يوم الخميس) ، وقد رواها البخارى
في ست مواضع من صحيحه !

الحاديه عشره : كان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مصاباً بحمى شديده فى مرضه ، وكان يغشى عليه لدقائق من شده الحمى ويفيق
.. فأحس بأن بعض من حوله أرادوا أن يسقوه دواء عندما أغمى عليه ، فأفاق ونهاهم ، وشدد عليهم النهى بأن لا يسقوه أى دواء
إذا أغمى عليه .. ولكنهم اغتتموا فرصه الإغماء عليه بعد ذلك ، وصبوا فى فمه دواء فرفضه ، ولكنهم سقوه إياه بالقوه !!

فأفاق النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ووبخهم على عملهم ! وأمر كل من كان حاضراً أن يشرب من ذلك الدواء ، ما عدا بنى
هاشم !!

وروا أن الجميع شربوا من (ذلك) الدواء !!

هذه الحادثة المعروفه فى السيره بحادثه (لمد النبي) (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ينبغي أن تعطى حقها من البحث والتحقيق ، فربما
كانت محاوله لقتل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالسم !!

إن وكل واحد من هذه الحوادث تصلح أن تكون موضوعاً لرساله دكتوراه .. ولكننا أردنا منها التمهيد لتفسير آيه « سأل سائل » في مطلع سوره المعارج.

وإذا أردت أن تعرف الأبطال الحقيقيين لهذه الحوادث ، والأدمغه المخططة لها .. فابحث عن قريش !!

وإذا أردت أن تفهم أكثر وتعمق أكثر ، فابحث .. عن علاقه قريش باليهود !! فاعجب من ذلك ، وافهم كيف عصم الله تعالى رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من أن ترتد قريش في حياته ، وتعلن كفرها بنبوته !

ولكنه لم يعصمه من أذاها ومؤامراتها .. فذلك هو طريق الأنبياء (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وتكاليفه .. لا تغيير فيها !

استنفاً قريش بعد الغدير

تحركت قافلته النبوه والإمامه من غدير خم نحو المدينه .. وسكن قلب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) واطمأن .. ولكن قريشاً لم تسكن ، بل صارت في حاله غليانٍ من الغيظ !

هكذا تقول الأحاديث ، ومنطق الأحداث .. فقريش لا تسكت حتى ترى العذاب الأليم ! وقد قال لهم الصادق الأمين الذي لا ينطق إلا وحياً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : لا أراكم منتهين يا معشر قريش !!

إن آيه العصمه من الناس كما قدمنا ، لا تعنى أن الله تعالى جعل الطريق أمام رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ناعماً كالحرير ، ولا أنه جعل له قريشاً فرساً رِيضاً طائعاً ..

إن قدرته تعالى لا يمتنع منها شيء .. ولكنه أراد للأمر أن تجرى بأسبابها ، وللأمة أن تجرى عليها سنن الأمم الماضيه ، فتمتحن بإطاعه نبيها من بعده ، أو معصيته ..

وهذا يستوجب أن تبقى لها القدره على معصيته .. أما على الرده في حياته وفي وجهه .. فلا.

إن قدرتها تصل الى حد قولها لنبيها (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : لا نريد وصيتك ولا ستتك ولا عترتك ، حسبنا كتاب الله !!

لكن ما بعدها ذلك خطّ أحمر .. هكذا أراد الله تعالى !!

لقد تحققت عصمه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من قريش في منعطفات كثيره في حجه الوداع .. في مكه ، وعرفات ، وفي ثلاث خطبٍ في منى ، خاصة خطبه مسجد الخيف ..

وما تنفست قريش الصعداء إلا برحيله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) دون أن يطالبها بالبيعه لعلی !

ولكن الله تعالى لم يكتف بذلك ، حتى أمر نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يوقف المسلمين في طريق عودتهم في حر الظهيره ، في صحراء ليس فيها كلاً لخيولهم وجمالهم ، ولا سوق ليشتروا منه علوفه وطعاماً ، إلا دوحه من بضع أشجار على قليل من ماء .. وذلك بعد مسير ثلاثه أيام ، ولم يصبر عليهم حتى يصلوا الى مدينه الجحفه التي لم يبق عنها إلا ميلان أو أقل ، بل كان أول القافله وصل الى مشارفها ، فبعث اليهم وأرجعهم الى صحراء الغدير !

كل ذلك لكى يصعد الرسول ٩ المنبر في غير وقت صلاه ، ليرفع بيد ابن عمه وصهره على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ويقول لهم : هذا وليكم من بعدى ، ثم من بعده ولداه الحسن والحسين ، ثم تسعه من ذريه الحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) !

هنا تجلت آيه العصمه من الناس مجسمه للعيان .. فقد كَمَّم الله تعالى أفواه قريش عن المعارضه ، وفتح أفواههم للموافقه ، فقالوا جميعاً : نشهد أنك بلغت عن ربك .. وأنتك نعم الرسول .. سمعنا وأطعنا .. وتهافتوا مع المهنيين الى خيمه على .. وكبروا مع المكبرين عندما نزلت آيه « اليوم أكملت لكم دينكم » !

ثم أصغوا جميعاً الى قصيده حسان بن ثابت في وصف نداء النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وإبلاغه عن ربه ولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من بعده.

واستمرت التهنيئه من بعد صلاه العصر الى ماشاء الله .. ومن بعد صلاه المغرب والعشاء تتابع عدد من المهنيين في العتمه ، حتى طلع قمر ليله التاسع عشر من ذى الحجه .. فقد بات النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في غدير الإمامه ، وتحرك الى المدينه بعد صلاه فجره .. وقيل بقي فيه يومان !

أما كيف سلب الله تعالى قريشاً قدره على تخريب مراسم الغدير .. وكيف كف ألسنتها .. وهي السليطة بالإعتراض .. الجريئة على الأنبياء!؟

وكيف جعلها تفكر بأن تمرر هذا اليوم لمحمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يفعل لبني هاشم وعلّي ما يشاء؟! فذلك من عمله عز وجل ، وقدرته المطلقة .. المطلقة !

هذا هو الأسلوب الأول الذى عصم الله به رسوله من ارتداد قريش ، ولا بد أن ما خفى عنا من أطفاه تعالى أعظم.

أما الأسلوب الثانى فكان لغه العذاب السماوى ، التى تفهمها قريش جيداً ، كما كان يفهمها اليهود فى زمان أنبيائهم !!

أحجار من السماء للناطقين باسم قريش

ورد فى أحاديث السنه والشيعه أسماءً عديدةً لأشخاصٍ اعترضوا على إعلان النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولا-يه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى غدير خم.

ويفهم منها أن عدداً منها تصحيفات لاسم شخص واحد ، ولكن عدداً آخر لا يمكن أن يكون تصحيفاً ، بل يدل على تعدد الحادثة ، خاصة أن العقاب السماوى فى بعضها مختلف عن الآخر .. وهم :

جابر بن النضر بن الحارث بن كلده العبدرى ..

والحارث بن النعمان الفهرى ..

والحرث بن النعمان الفهرى

وعمر بن عتبة المخزومى ..

والنضر بن الحارث الفهرى ..

والحارث بن عمرو الفهرى

والنعمان بن الحارث اليهودى

والنعمان بن المنذر الفهرى

وعمر بن الحارث الفهري

ورجل من بنى تيم

ورجل أعرابي ...

ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة.

وكل هؤلاء قرشيون إلا الربيعي واليهودي إذا صحت روايتهما! وليس فيهم أنصاري واحد، إذ لم يعهد من الأنصار اعتراضاً على الإمتيازات التي أعطاها الله تعالى لعترة رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ! وإن عهد منهم عدم الوفاء لهم بعد وفاه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وخلصه الحادثة: أن أحد هؤلاء الأشخاص - أو أكثر من واحد - اعترض على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) واتهمه بأن إعلانه علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ولياً على الأمة، كان عملاً من عنده وليس بأمر الله تعالى! ولم يقتنع بتأكيد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) له، بأنه ما فعل ذلك إلا بأمر ربه!

وذهب المعترض من عند النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مغاضباً وهو يدعو الله تعالى أن يمطر الله عليه حجاره من السماء إن كان هذا الأمر من عنده.. فرماه الله بحجرٍ من سجيلٍ فأهلكه! أو أنزل عليه ناراً من السماء فأحرقتة!

وهذه الحادثة تعني أن الله تعالى استعمل التخويف مع قريش أيضاً، ليعصم رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من تكاليف حركة الردة التي قد تُقَدِّم عليها.. وبذلك تعزز عند زعماء قريش الإتجاه القائل بفشل المواجهه العسكريه مع النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وضروره الصبر حتى يتوفاه الله تعالى!

* *

وفي هذا الحديث النبوي، والحادثه الربانيه، مسائل وبحوث عديده أهمها:

المسأله الأولى: في أن مصادر السنين روت هذا الحديث

إشاره

لم تختص بروايته مصادرنا الشيعيه بل روته مصادر السنين أيضاً، وأقدم من رواه من أئمتهم: أبو عبيد الهروي في كتابه: غريب القرآن.

ص: ٢٩٥

أبو عبيد ، والثعلبي ، والنقاش ، وسفيان بن عيينه ، والرازي ، والقزويني ، والنيسابوري ، والطبرسي ، والطوسي في تفاسيرهم ، أنه لما بلغ رسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بغدير خم ما بلغ ، وشاع ذلك في البلاد ، أتى الحارث بن النعمان الفهري وفي روايه أبي عبيد : جابر بن النضر بن الحارث بن كلده العبدري فقال :

يا محمد ! أمرتنا عن الله بشهاده أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وبالصلاه ، والصوم ، والحج ، والزكاه ، فقبلنا منك ، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلى مولاه ! فهذا شيء منك أم من الله ؟! فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله .

فولى جابر يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر ، فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع .. الآية . انتهى .

وقد أحصى علماؤنا كصاحب العباقت ، وصاحب الغدير ، وصاحب إحقاق الحق ، وصاحب نفحات الأزهار ، وغيرهم .. عدداً من أئمة السنين وعلماؤهم الذين أوردوا هذا الحديث في مصنفاتهم ، فزادت على الثلاثين .. نذكر منهم اثني عشر :

١ - الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفى بمكة ٢٢٣ ، في تفسيره (غريب القرآن)

٢ - أبو بكر النقاش الموصلي البغدادي المتوفى ٣٥١ ، في تفسيره .

٣ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفى ٤٢٧ ، في تفسيره (الكشف والبيان)

٤ - الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب (أداء حق الموالاه)

٥ - أبو بكر يحيى القرطبي المتوفى ٥٦٧ ، في تفسيره

٦ - شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى ٦٥٤ في تذكرته

٧ - شيخ الإسلام الحمويني المتوفى ٧٢٢ ، روى في فرائد السمطين في الباب

الثالث عشر قال : أخبرني الشيخ عماد الدين الحافظ بن بدران بمدينة نابلس ، فيما أجاز لي أن أروي عنه إجازة ، عن القاضي جمال الدين عبد القاسم بن عبد الصمد الأنصاري إجازة ، عن عبد الجبار بن محمد الحواري البيهقي إجازة ، عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدى قال : قرأت على شيخنا الأستاذ أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره : أن سفيان بن عيينه سئل عن قوله عز وجل : سأل سائل بعذاب واقع فيمن نزلت فقال

٨ - أبو السعود العمادى المتوفى ٩٨٢ ، قال في تفسيره ٨ / ٢٩٢ : قيل هو الحرث بن النعمان الفهرى ، وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في علي (رضى الله عنه) : من كنت مولاه فعلى مولاه ، قال

٩ - شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي المتوفى ٩٧٧ ، قال : في تفسيره السراج المنير : ٤ / ٣٦٤ : اختلف في هذا الداعى فقال ابن عباس : هو النضر بن الحرث ، وقيل : هو الحرث بن النعمان

١٠ - الشيخ برهان الدين على الحلبي الشافعي المتوفى ١٠٤٤ ، روى في السيره الحلبيه : ٣ / ٣٠٢ وقال : لما شاع قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : من كنت مولاه فعلى مولاه في ساير الأمصار وطار في جميع الأقطار ، بلغ الحرث بن النعمان الفهرى الى آخر لفظ سبط ابن الجوزى.

١١ - شمس الدين الحفنى الشافعي المتوفى ١١٨١ ، قال في شرح الجامع الصغير للسيوطى : ٢ / ٣٨٧ في شرح قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : من كنت مولاه فعلى مولاه.

١٢ - أبو عبد الله الزرقانى المالكي المتوفى ١١٢٢ ، في شرح المواهب اللدنيه ، ١٣ / انتهى. وسيأتى ذكر بقيه مصادر الحديث في بحث أسانيد.

المسألة الثانية : هل أن سوره المعارج مكيه أو مدنيه

يلاحظ القارئ أن الجو العام للسوره الشريفه الى آيه ٣٦ ، أقرب الى جو السور

المدنيه وتشريعات سوره النور والمؤمنين ، وأن جو الآيات ٣٦ الى آخر السوره أقرب الى جو السور المكيه ، التي تؤكد على مسائل العقيدة والآخره.

ولذلك لا- يمكن معرفه مكان نزول السوره من آياتها ، حسب ما ذكره من خصائص للسور المكيه والمدنيه ، وضوابط للتمييز بينها .. على أن هذه الخصائص والضوابط غير دقيقه ولا علميه !

وإذا صح لنا أن نكتفى بها ، فلا بد أن نقول إن القسم الأخير من السوره من قوله تعالى « فما للذين كفروا قبلك مهطعين » الى آخرها ، نزلت أولاً في مكه ، ثم نزل القسم الأول منها في المدينه ، ووضع في أولها !!

ولكن ذلك ليس أكثر من ظن! والطريق الصحيح لتعيين مكيتها أو مدنيته هو النص ، والنص هنا متعارضٌ سواءً في مصادرنا أو مصادر السنين ، ولكن المفسرين السنين رجحوا مكيتها وعدوها في المكي.

ولا يبعد أن ذلك هو المرجح حسب نصوص مصادرنا أيضاً.

- فقد روى القاضي النعمان في شرح الأخبار ١ / ٢٤١

عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنه قال : نزلت والله بمكه للكافرين بولاية علي ٧. انتهى.

والظاهر أن مقصوده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : أنها نزلت في مكه وكان مقدرًا أن يأتي تأويلها في المدينه عند اعتراضهم على إعلان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولاية علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

- وقال الكليني في الكافي ٥ / ٤٥٠ :

قال : سألت أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق ، فقال له : يا أبا جعفر ما تقول في المتعه ، أتزعم أنها حلال ؟ قال : نعم.

قال : فما يمنعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك ؟

فقال له أبو جعفر : ليس كل الصناعات يرغب فيها ، وإن كانت حلالاً ، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم. ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ ، أتزعم أنه حلال ؟

ص : ٢٩٨

فقال : نعم.

قال : فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكتسبن عليك ؟

فقال أبو حنيفة : واحدةً بواحدة ، وسهمك أنفذ.

ثم قال له : يا أبا جعفر إن الآيه التي فى سأل سائل ، تنطق بتحريم المتعه والروايه عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قد جاءت بنسخها ؟

فقال له أبو جعفر : يا أبا حنيفة إن سوره سأل سائل مكيه ، وآيه المتعه مدنيه ، وروايتك شاذه رديه.

فقال له أبوحنيفه : وآيه الميراث أيضاً تنطق بنسخ المتعه ؟

فقال أبو جعفر : قد ثبت النكاح بغير ميراث.

قال أبو حنيفة : من أين قلت ذاك ؟

فقال أبو جعفر : لو أن رجلاً من المسلمين تزوج امرأه من أهل الكتاب ، ثم توفى عنها ما تقول فيها ؟

قال : لا ترث منه.

قال : فقد ثبت النكاح بغير ميراث. ثم افترقا. انتهى.

وقول أبى حنيفة إن سوره سأل سائل تنطق بتحريم المتعه ، يقصد به قوله تعالى فى السوره « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ».

فأجابه مؤمن الطاق بأن السوره مكيه وآيه « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن » مدنيه ، فكيف ينسخ المتقدم المتأخر ؟

ولكن الجواب الأصح : أن المتمتع بها زوجته شرعيه ، فهى مشموله لقوله تعالى « إلا على أزواجهم » وقد أفتى عدد من علماء السنيين بأنه يجوز للرجل أن يتزوج امرأه حتى لو كان ناوياً أن يطلقها غداً ، وهو نفس المتعه التى يشنعون بها علينا.

بل أفتى أبو حنيفة نفسه بأن الرجل لو استأجر امرأه لخدمته وكُنس منزله وغسل ثيابه ، فقد جاز له مقاربتها بدون عقد زواج ، لا دائم ولا منقطع !! بحجه أن عقد

الإجاره يشمل ذلك ! وهذا أوسع من المتعه التي يقول بها الفقه الشيعي ، لأن عقد الزواج شرطٌ فيها ، وإلا كانت زنا.

والنتيجة أن المرجح أن تكون سوره المعارج مكيه ، ولكن ذلك لا- يؤثر على صحه الحديث القائل بأن العذاب الواقع هو العذاب النازل على المعترض على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عندما أعلن ولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، لأن ذلك يكون تأويلاً لها ، وإخباراً من جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بأن هذه الحادثه هي من العذاب الواقع الموعود.

فقد تقدمت روايه شرح الأخبار في ذلك ، وستأتى منه روايه فيها (فأصابته الصاعقه فأحرقته النار ، فهبط جبرئيل وهو يقول : إقرأ يا محمد : سأل سائلٌ بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع). وهي كالنص في أن جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نزل على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بتطبيق الآيه أو تأويلها.

بل يظهر من أحاديثنا أن ما حل بالعبدري والفهرى ما هو جزءٌ صغيرٌ من « العذاب الواقع » الموعود ، وأن أكثره سينزل تمهيداً لظهور الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أو نصره له ..

- وقد أوردنا في معجم أحاديث الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ٥ / ٤٥٨ عدّه أحاديث عن الإمام الباقر والإمام الصادق (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) في تفسير العذاب الواقع بأحداثٍ تكون عند ظهور الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

- منها ما رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره : ٢ / ٣٨٥ قال :

سأل سائلٌ بعذاب واقع ، قال : سئل أبو جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن معنى هذا ، فقال : نارٌ تخرج من المغرب ، وملكٌ يسوقها من خلفها حتى تأتي دار بني سعد بن همام عند مسجدهم ، فلا تدع داراً لبني أميه إلا أحرقتها وأهلها ، ولا تدع داراً فيها وتزّ لآل محمدٍ إلا أحرقتها ، وذلك المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

- ومنها ما رواه النعماني في كتاب الغيبه / ٢٧٢ قال :

حدثنا محمد بن همام قال : حدثنا جعفر بن محمد بن مالك قال : حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن الحسن بن علي ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد

الله جعفر بن محمد (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) في قوله تعالى : سأَل سائل بعذاب واقع ، قال : تأويلها فيما يأتي عذابٌ يقع في الثويه يعنى ناراً حتى تنتهى الى الكناسه كناسه بنى أسد ، حتى تمر بثقيف لا- تدع وتراً لآل محمد إلا أحرقتة ، وذلك قبل خروج القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ). انتهى.

والأمكنه التي ذكرتها الروايتان ، من أمكنه الكوفه التي ثبت أن الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سيتخذها عاصمً له.

وقول الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (تأويلها فيما يأتي) يدل على أن مذهب أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلَامُ) أن العذاب الواقع في الآيه وعيدٌ مفتوحٌ منه ما وقع فيما مضى على المشركين والمنافقين ، ومنه ما يقع فيما يأتي على بقيتهم .. وهو المناسب مع إطلاق التهديد في الآيه ، ومع سنه الله تعالى وانتصاره لدينه وأوليائه.

المسألة الثالثة : هل العذاب في سورة المعارج دنيوى أم أخروى

المتأمل في السوره نفسها بقطع النظر عن الأحاديث والتفاسير .. يلاحظ أن موضوعها ومحور كل آياتها هو العذاب الأخرى وليس الدنيوى.

كما أن آياتها لا تنص على ذم السائل عن ذلك العذاب ، فقد يكون مجرد مستفهم لا ذنب له ، وقد يكون السائل بالعذاب هنا بمعنى الداعى به ، وقد رأيت أن القرطبي ذكر قولاً بأن السائل بالعذاب نبي الله نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وقولاً آخر بأنه نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

ولذلك يرد في الذهن سؤال : من أين أطبق المفسرون الشيعة والسنه على أنها تشمل العذاب الدنيوى ، وأن ذلك السائل بالعذاب سأل متحدياً ومكذباً؟!

والجواب : أن سر ذلك يكمن في (باء) العذاب ، وأن (سأل به) تعنى التساؤل عن الشيء المدعى وطلبه ، استنكاراً وتحدياً !

فكلمه : سأل به ، تدل على أن السائل سمع بهذا العذاب ، لأين النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان ينذرهم بالعذاب الدنيوى والأخرى معاً .. فتساءل عنه ، وأنكره ، وتحدى أن يقع !

وقد أجابه الله تعالى بالسوره ، ولم ينف سبحانه العذاب الدنيوى لأعدائه ، وإن كان ركز على العذاب الأخرى وأوصافه ، لأنه الأساس والأكثر أهميه واستمراراً ،

ولأن صفتة الجزائيه أكثر وضوحاً.

فكأن السوره تقول : أيها المستهزؤون بالعذاب الذى ينذركم به رسولنا .. إن كل ما أنذركم به من عذاب دنيوى أو أخروى سوف يقع ، ولا دافع له عن الكفار .. فأمنوا بالله ليدفعه عنكم ، بحسب قوانينه تعالى فى دفع عذابه عن المؤمنين .

فقوله تعالى « للكافرين ليس له دافع » ينفى إمكان دفعه عن الكافرين ، فهو ثابت لمن يستحقه منهم ، وهو أيضاً ثابت لمن يستحقه من الذين قالوا آمنا ، لكن دافع هو التوبه والإستغفار مثلاً .

كما أن « الكافرين » فى الآيه لا يبعد أن تكون بالمعنى اللغوى ، فتشمل الكافرين ببعض آيات الله تعالى ، أو بنعمه ، ولو كانوا مسلمين .

وعندما نشك فى أن كلمه استعملت بمعناها اللغوى أو الإصطلاحى ، فلا- بد أن نرجح المعنى اللغوى ، لأنه الأصل ، والإصطلاحى يحتاج الى قرينه .

وقد وقع المفسرون السنيون فى تهافتٍ فى تفسير السوره ، لأنهم جعلوا (العذاب الواقع) عذاباً أخروياً أو لغير المسلمين ، وفى نفس الوقت فسروه بعذاب النضر بن الحارث العبدرى بقتله يوم بدر ، فصار بذلك شاملاً للعذاب الدنيوى !

ويلاحظ الباحث فى التفاسير السنيه أنه يوجد منهجٌ فيها ، يحاول أصحابه دائماً أن يفسروا آيات العذاب الوارده فى القرآن الكريم - خاصة التى نزلت فى قريش - بالعذاب الأخرى ، أو يرموها على أهل الكتاب ، ويبعدوها عن المسلمين ، حتى المنافقين منهم ! وقد أوجب عليهم هذا المنهج فى تبرئه قريش ، أن يتهموا النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنه دعا ربه بالعذاب على قومه ، فلم يستجب له ! بل وبخه الله تعالى بقوله : ليس لك من الأمر شىء .. الخ ..

وهكذا ركزت الدوله القرشيه مقوله اختيار الله لقريش ، وعدم سماحه بعذابها ، وجعلتها أحاديث نبويه ، ولو كان فيها تحطئة وإهانته للنبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأدخلتها فى مصادر التفسير والحديث .

أما عندما يضطرون الى الإعتراف بوقوع العذاب الدنيوى لأحد فراعنه قريش ، فيقولون إنه خاصٌ بحاله معينه ، مثل حاله النضر بن الحارث ، وقد وقعت فى بدر وانتهى الأمر !

- فقد اختار الفخر الرازى فى تفسيره : ٣٠ / ١٢٢

أن العذاب المذكور فى مطلع السوره هو العذاب الأخرى ، وأن الدنيوى مخصوص بالنضر بن الحارث ، قال : (لأن العذاب نازل للكافرين فى الآخره لا يدفعه عنهم أحد ، وقد وقع بالنضر لأنه قتل يوم بدر) ثم وصف هذا الرأى بأنه سديد .. وهو بذلك يتبع جمهور المفسرين السنيين ، مع أن السوره لا تشير الى انتهاء أى نوع من العذاب الموعود !!

على أن منهج المفسرين فى إبعاد العذاب عن قريش ، أقل تشدداً من منهج المحدثين الرسميين ، فهولاء لا يقبلون (العذاب الواقع) لأحدٍ من قريش ، حتى للنضر بن الحارث ، وحتى لأبى جهل ! بل هم الذين فتحوا باب تهمة النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأنه دعا على قومه ، فخطأه الله تعالى ووبخه !!

- فقد روى البخارى فى صحيحه : ٥ / ١٩٩

عن أنس بن مالك قال : قال أبو جهل : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فنزلت : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. ورواه البخارى فى عده أماكن أخرى ، ورواه مسلم فى : ٨ / ١٢٩ ..

وإذا أردت أن تقرأ ما لا- تكاد تصدقه عيناك ، فاقرأ ما رووه فى تفسير قوله تعالى « ليس لك من الأمر شيء » فهى آية تنفى عن النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كل أنواع الألوهيه والشراكه لله تعالى ، ولكنها فى نفس الوقت لا تسلب عنه شيئاً من مقامه النبوى وخلقه العظيم وحكمته ، وحرصه على هدايه قومه .. ولكن انظر كيف صور المحدثون النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فى تفسيرها بأنه ضيق الصدر ، مبغضٌ لقريش ، يريد الإعتداء عليها وظلمها !!

ص: ٣٠٣

فنزّل الوحي مدافعاً عن هذه القبائل المقدسه ، ورد عدوانيه نبيها !!

ولا يتسع المجال للإفاضة في هذا الموضوع ، ولكن القارئ السني يجد نفسه متحيراً بين ولاء المفسرين لقريش كمجاهد الذي يسمح بكون قتل بعض فراعنتها كالنضر عذاباً لها ، وبين ولاء المحدثين لقريش كالبخاري الذي يقول إن قتل النضر وأبي جهل ليس هو العذاب الالهي ، فهؤلاء قومٌ برزوا الى مضاجعهم ، فقد رفع الله عذابه عن قريش ، ووبخ رسوله ، لأنه دعا عليها !!

* *

وأخيراً يمكن للباحث أن يستدل لنصره رأى المفسرين القائل بأن العذاب السوره يشمل العذاب الدنيوي ، بما رواه ابن سعد في الطبقات ، من قصه اختلاف طلحه والزبير وابنيهما على إمامه الصلاه في معسكر عائشه في حرب الجمل ، قال :

ولما قدموا البصره أخذوا بيت المال ، وختماه جميعاً طلحه والزبير ، وحضرت الصلاه فتدافع طلحه والزبير حتى كادت الصلاه تفوت ، ثم اصطلحا على أن يصلى عبد الله بن الزبير صلاةً ومحمد بن طلحه صلاةً ، فذهب ابن الزبير يتقدم فأخره محمد بن طلحه ، وذهب محمد بن طلحه يتقدم فأخره عبد الله بن الزبير عن أول صلاه !! فاقتراعا فقرعه محمد بن طلحه ، فتقدم فقراً : سألت بعذاب واقع !! انتهى. فقد فهم محمد بن طلحه القرشي التيمي من السوره أنها تهديدٌ بعذاب دنيوي ولذلك هدد بها ابن الزبير. وهو دليلٌ على أن الارتكاز الذهني عند الصحابه المعاصرين للنزول ، أن العذاب في السوره يشمل العذاب الدنيوي أيضاً.

المسأله الرابعه : موقف السنين من الحديث

اشاره

ولكن الذين ذكروا الحديث من السنين ليس موقفهم منه واحداً ، فمنهم من قبله ورجحه على غيره كأبي عبيد والثعلبي والحميني ، ومنهم من نقله بصيغته : روى أو قيل. ومنهم من رجح غيره عليه ، ولكن أحداً منهم لم يطعن فيه .. وأقل موقفهم منه أنه حديثٌ موجودٌ ، قد يكون سنده صحيحاً ، ولكن غيره أرجح منه ، كما ستري.

ص: ٣٠٤

إن العالم السننى يرى نفسه ملزماً باحترام هذا الحديث ، بل يرى أنه بإمكانه أن يطمئن إليه ويأخذ به ، لأن الذين قبلوه من أئمه العلم والدين قد يكتفى العلماء بمجرد نقل أحدهم للحديث وقبوله له ، كأبى عبيد وسفيان بن عيينه ..

وقد رأينا المحدث الألبانى الذى يعتبره الكثيرون المجتهد الأول فى التصحيح والتضعيف فى عصرنا ، ربما يكتفى فى سلسلته أحاديثه الصحيحه للحكم بصحة الحديث بتصحيح عالمين أو ثلاثه من قبيل : ابن تيميه والذهبي وابن قيم.

مضافاً الى أن المحدثين السنه ذكروا له طرقاً أخرى ، عن حذيفه ، وعن أبى هريره وغيرهما.

وتجد ترجمات هؤلاء الأئمه مفصله فى مصادر الجرح والتعديل السنيه ، وفى عبقات الأنوار ، والغدير ، ونفحات الأزهار ، من مصادرنا.

نماذج من تفسيرات السنين لآيه : سأل سائل

- قال الشوكانى فى فتح القدير : ٣٥٢ / ٥ :

وهذا السائل هو النضر بن الحارث حين قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجار من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وهو ممن قتل يوم بدر صبراً.

وقيل : هو أبو جهل. وقيل : هو الحارث بن النعمان الفهرى. والأول أولى لما سيأتى. انتهى.

وقصده بما يأتى ما ذكره فى ص ٣٥٦ ، من رواياتهم التى تثبت أن السوره مكيه وأن صاحب العذاب الواقع هو النضر ، وليس ابنه جابراً ، ولا الحارث الفهرى قال : وقد أخرج الفريابى وعبد بن حميد والنسائى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : سأل سائل ، قال : هو النضر بن الحارث قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجار من السماء. انتهى.

ولم يذكر الشوكانى الحديث المروى فى جابر والحارث ، ومن رووه ، ولماذا رجح عليه حديث النضر ؟ هل بسبب السند أو الدلاله ... الخ.

ص: ٣٠٥

ولو أنه اقتصر على ذكر ما اختاره في سبب نزولها لكان له وجهه ، ولكنه ذكر القولين ، وذكر روايه أحدهما دون الآخر ، وبذلك ابتعد عن إنصاف العالم الباحث.

لكن شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي المتوفى سنة ٩٧٧ ، صاحب التفسير المعروف ، كان أكثر إنصافاً من الشوكاني ، فقد ذكر السببين معاً ، فقال كما نقل عنه صاحب عبقات الأنوار : ٣٩٨ / ٧ :

سأل سائل بعذاب واقع : اختلف في هذا الداعي ، فقال ابن عباس : هو النضر بن الحارث. وقيل : هو الحارث بن النعمان ، وذلك أنه لما بلغه قول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من كنت مولاة فعلى مولاة ، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته في الأبطح ثم قال : يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك ... الخ .. انتهى.

أما أبو عبيد المتوفى سنة ٢٢٣ ، فقد جعل الحديث سبباً لنزول الآية على نحو الجزم ، لأنه ثبت عنده ، ولعله لم يثبت عنده غيره حتى يذكره ، فقال كما في نفحات الأزهار : ٢٩١ / ٧ :

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم غدير خم ما بلغ ، وشاع ذلك في البلاد ، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلده العبدري فقال :

يا محمد ! أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وبالصلاه ، والصوم والحج ، والزكاة ، فقبلنا منك .. ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقت : من كنت مولاة فعلى مولاة ! فهذا شيء منك أم من الله !؟

فقال رسول الله : والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله.

فولى جابر يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع .. الآية. انتهى.

- وقال القرطبي في تفسيره : ٢٧٨ / ١٨

أى سأل سائل عذاباً واقعاً. للكافرين : أى على الكافرين. وهو النضر بن الحارث

حيث قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو اثنتا بعذاب أليم ، فنزل سؤاله . وقتل يوم بدر صبراً هو وعقبه بن أبي معيط ، لم يقتل صبراً غيرهما ، قاله ابن عباس ومجاهد .

وقيل : إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهرى ، وذلك أنه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم فى على (رضى الله عنه) من كنت مولاه فعلى مولاه (ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح .. الى آخره ، بنحو روايه أبى عبيد . ثم قال :

وقيل : إن السائل هنا أبو جهل ، وهو القائل لذلك ، قاله الربيع .

وقيل : إنه قول جماعه من كفار قريش .

وقيل : هو نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سأل العذاب على الكافرين .

وقيل : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أى دعا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالعقاب ، وطلب أن يوقعه الله بالكفار ، وهو واقع بهم لا محاله ، وامتد الكلام الى قوله تعالى : فاصبر صبراً جميلاً أى : لا تستعجل فإنه قريب . انتهى .

وبذلك نلاحظ أن المفسرين السنيين وإن كانوا يرجحون تفسير الآيه بالنضر بن الحارث العبدري ، ويرجحون أن العذاب الموعود فيها هو قتله فى بدر .. ولكنهم فى نفس الوقت يذكرون تفسيرها بوقوع العذاب على من اعترض على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لإعلانه ولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من بعده فى غدير خم .

ومجرد ورود هذا التفسير فى مصادرهم بصفته قولاً محترماً فى تفسير الآيه ، ولو رجحوا عليه غيره ، يدل على وجود إعلان نبوى رسمى بحق على ، ووجود اعتراض عليه ! فالمسلم لا يحتاج الى أكثر من اعتراف المفسرين بذلك ، سواء وقعت الصاعقه على المعترض أم لم تقع ، وسواء نزلت سوره المعارج عند هذه الحادثه أو لم تنزل !! فلا بد للشيعى من توجيه الشكر لهم ، وإن ناقشهم فى الوجه الآخر الذى رجحوه . وأهم الإشكالات التى ترد عليه : أن روايته ليست مرفوعه الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، بينما تفسير الشيعة مرفوع .

وروايه تفسيرهم عن ابن عباس ومجاهد لا تحل المشكله ، خاصه إذا كانت من روايه عكرمه المجروح عندنا وعندهم .

ويرد على تفسيرهم أيضاً : أن من المتفق عليه عندهم تقريباً أن السؤال فى الآيه حقيقى وليس مجازياً ، فقد حدث أن سأل النضر بن الحارث بالعذاب ، وطلب نزوله فقال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فعذبه الله فى بدرٍ بالقتل .

مع أن آيه مطر الحجاره من سوره الأنفال التى نزلت مع أحكام الأنفال ، بعد بدر وبعد قتل النضر .. ومن البعيد أن يكون جواب قول النضر نزل فى سوره مكيه قبل الهجره ، ونفس قوله نزل فى سوره مدنيه ، بعد هلاكه .

ويرد عليه أيضاً : أن قولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأنزل علينا حجاره من السماء) أكثر تناسباً وانطباقاً على تفسيرنا ، وأصعب انطباقاً على تفسيرهم .. لأن معناه على تفسيرهم : اللهم إن كان هذا الدين منزلاً من عندك فأمطر علينا حجاره . ومعناه على تفسيرنا : اللهم إن الحكم لآل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من بعده منزلاً من عندك ، فأمطر علينا حجاره .. وهذا أكثر تناسباً ، لأن الدعاء بحجاره من السماء لا يقوله قائله إلا فى حاله اليأس من التعايش مع وضع سياسى جديد ، يتحدى وضعه القبلى المتجذر فى صميمه !!

ويرد عليه أيضاً : أنه لو صح ، فهو لا يمنع من تفسيرنا ، فلا وجه لافتراضهم التعارض بينهما .. فأى تعارض بين أن يكون العذاب الواقع هو العذاب الذى وقع على النضر بن الحارث فى بدر ، ثم وقع على ولده جابر بن النضر ، كما فى روايه أبى عبيد ، ثم وقع ويقع لى آخرين من مستحقيه !

وينبغى أن نشير هنا الى قاعده مهمه فى تفسير القرآن والنصوص عامه ، وهى : ضروره المحافظه على إطلاقات النص ما أمكن وعدم تضييقها وتقييدها .. فالآيه الكريمة تقول إن أحدهم تحدى وتساءل عن العذاب الموعود ، الذى أنذر به

النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فأجابه الله تعالى إنه واقع بالكفار لا محاله كما أنذرهم به رسولنا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حرفياً، في الدنيا والآخرة، وأنه جارٍ في الكفار وفي من آمن، حسب القوانين الخاصة التي وضعها له الله تعالى.

وعليه فيكون عذاب الله تعالى لقريش في بدر والخندق من ذلك العذاب الواقع الموعود، وعذابهم بالجوع والقحط منه أيضاً، وعذابهم بفتح مكة وتسليمهم وخلعهم سلاحهم منه أيضاً.. ويكون عذاب المعترضين على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لإعلانه ولايه عترته من بعده منه أيضاً!

فلا موجب لحصر الآيه بالنضر وحده، ولا لتضييق العذاب المنذر به بقتل شخص، ولو كان من الفراعنه، ولا حصره في عصر دون العصور الآتية، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

وكم تجد عند المفسرين السنيين من هذه التضيقات في آيات العذاب والرحمة حيث يحصرون أنفسهم فيها بلا موجب، ويحصرون فيها كلام الله المطلق، بلا دليل!

المسألة الخامسة: موقف النواصب من حديث حجر السجيل

اشاره

أما النواصب المبعوضون لأهل بيت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فلم نعثر على أحدٍ منهم رد هذا الحديث وكذبه قبل ابن تيميه، فقد هاجمه بعنف وتخبط في رده! وتبعه على ذلك من المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه تفسير المنار.. ومن الملاحظ أن هذا الشخص متأثرٌ بابن تيميه وتلميذه ابن قيم المدرسه الجوزيه، بل مقلدٌ لهما في كثير من أفكارهما، وقد أدخلها في تفسيره، واستفاد لذلك من اسم أستاذه الشيخ محمد عبده (رحمه الله) وادعى أنه ميز بين أفكاره وأفكار أستاذه!

ومن يقرأ تفسير المنار يلمس الفرق بين الجزئين الأولين اللذين كتبهما في حياه الشيخ محمد عبده، واستفاد مما سجله من دروسه، وفيهما من عقلانيته (رحمه الله) واعتقاده بولايه أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).. وبين الأجزاء التي أخرجها الشيخ رشيد رضا بعد

وفاه الشيخ محمد عبده ، أو أعاد طباعتها ، وفيها الكثير من الأفكار الجامده والناصبه لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

وقد نقل صاحب تفسير المنار في ٦ / ٤٦٤ وما بعدها عن تفسير الثعلبي :

أن هذا القول من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في موالاته على شاع وطار في البلاد ، فبلغ الحارث بن النعمان الفهري فأثنى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على ناقةه وكان بالأبطح فنزل وعقل ناقته وقال للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهو في ملاً من أصحابه : يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ... ثم ذكر سائر أركان الإسلام ... ثم لم ترض بهذا حتى مددت بضعي ابن عمك وفضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلى مولاه ! فهذا منك أم من الله ! فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : والله الذي لا إله إلا هو هو أمر الله.

فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب اليم! فما وصل الى راحلته حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وأنزل الله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع الحديث ...

وهذه الروايه موضوعه ، وسوره المعارج هذه مكيه ، وما حكاه الله من قول بعض كفار قريش : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك كان تذكيراً بقول قالوه قبل الهجره وهذا التذكير في سوره الأنفال ، وقد نزلت بعد غزوه بدر قبل نزول المائده ببضع سنين ، وظاهر الروايه أن الحارث بن النعمان هذا كان مسلماً فارتد ، ولم يعرف في الصحابه ، والأبطح بمكه والنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يرجع من غدير خم الى مكه ، بل نزل فيه منصرفه من حجه الوداع الى المدينه. انتهى.

وكان رشيد رضا اغتاز من هذا الحديث ، وحاول تكذيبه من ناحيه سنده فلم يجد ما يشفى غليله ، ولما وجد تكذيب ابن تيميه له بنقد متنه فرح به وتبناه ، ولكنه لم ينسبه اليه !

وعمده ما قاله ابن تيميه وصاحب المنار : أن مكان الروايه الأبطح ، وهو مكان في

مكة ، والنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يرجع بعد الغدير الى مكة .. وقد جهلا أو تجاهلا أبطح المدينة المشهور !

ثم قال: إن الرواية تدعى أن الآية نزلت في المدينة ، مع أن سورة المعارج مكيه .. وقد تجاهلا أن جوَّ السوره الى الآية ٣٦ على الأقل مدنى ، وأن هذا الحديث دليل على مدنيته.

ثم لو صح كونها مكيه ، فقد يتكرر نزول الآية لبيان تفسيرها أو تأويلها ، فتكون الحادثة تأويلاً لها. وقد روى المفسرون نزول آيه « إنا أعطيناك الكوثر » في عدة مواضع تسلياً لقلب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فما المانع أن يكون تأويلها قد تحقق في (عشيره العذاب الواقع) فتحقق في الأب النضر بن الحارث عندما قتله النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في بدر ، ثم تحقق في الإبن جابر عندما قتله الله بحجر من السماء في أبطح المدينة ، وأن يكون جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أكد الآية كلما تحقق تأويلها.

ثم من حق الباحث أن يقول لهما : لو سلمنا أن ذكر نزول الآية في الحادثة خطأ ، أو زياده ، فما ذنب بقيه الحديث ! ولماذا يردونه كله ولا يقتصرون على رد زيادته وهو نزول الآية بمناسبهه !؟

- وقد ناقش صاحب تفسيرالميزان ٥٤ / ٦ تضعيف صاحب المنار للحديث فقال :

وأنت ترى ما في كلامه من التحكم. أما قوله إن الرواية موضوعه وسوره المعارج هذه مكيه ، فيعول في ذلك على ما في بعض الروايات عن ابن عباس وابن الزبير أن سورة المعارج نزلت بمكة ، وليت شعري ما هو المرجح لهذه الروايه على تلك الروايه ، والجميع آحاد.

سلمنا أن سورة المعارج مكيه كما ربما تؤيده مضامين معظم آياتها ، فما هو الدليل على أن جميع آياتها مكيه ؟ فلتكن السوره مكيه والآيتان خاصه غير مكيتين.

كما أن سورتنا هذه أعنى سوره المائده مدنيه نازله في آخر عهد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقد

وضعت فيها الآيه المبحوث عنها ، أعنى قوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، الآيه ، وهو كغيره من المفسرين مصرّون على أنها نزلت بمكه في أول البعته ! ...

وأما قوله وما حكاه الله من قول بعض كفار قريش الى آخره ، فهو في التحكم كسابقه ، فهب أن سوره الأنفال نزلت قبل المائده ببضع سنين ، فهل يمنع ذلك أن يوضع عند التأليف بعض الآيات النازله بعدها فيها ، كما وضعت آيات الربا وآيه : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله : البقره - ٢٨١ ، وهى آخر ما نزل على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عندهم ، فى سوره البقره النازله فى أوائل الهجره ، وقد نزلت قبلها ببضع سنين ؟

ثم قوله إن آيه : وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق ، الآيه ، تذكيرٌ لما قالوه قبل الهجره ، تحكّمٌ آخر من غير حجه ، لو لم يكن سياق الآيه حجه على خلافه ، فإن العارف بأساليب الكلام لا يكاد يرتاب فى أن هذا أعنى قوله : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، لاشتماله على قوله : إن كان هذا هو الحق من عندك بما فيه من اسم الاشاره وضمير الفصل والحق المحلى باللام ، وقوله من عندك ، ليس كلام وثنى مشرك يستهزئ بالحق ويسخر منه ، إنما هو كلام من أذعن بمقام الربوبيه ، ويرى أن الأمور الحقه تتعين من لدنه وأن الشرائع مثلاً تنزل من عنده ، ثم إنه يتوقف فى أمر منسوب الى الله تعالى يدعى مدع أنه الحق لا غيره ، وهو لا يتحمل ذلك ويتحرج منه ، فيدعو على نفسه دعاء منزجر ملول سئم الحياه .

وأما قوله : وظاهر الروايه أن الحارث بن النعمان هذا كان مسلماً فارتد ، ولم يعرف فى الصحابه ، تحكّمٌ آخر ، فهل يسع أحداً أن يدعى أنهم ضبطوا أسماء كل من رأى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وآمن به ، أو آمن به فارتد ! وإن يكن شىء من ذلك فليكن هذا الخبر من ذلك القبيل .

وأما قوله والأبطح بمكه والنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يرجع من غدير خم الى مكه ، فهو يشهد

على أنه أخذ لفظ الأبطح اسماً للمكان الخاص بمكه ، ولم يحمله على معناه العام وهو كل مكان ذى رمل .. ولا دليل على ما حمله عليه ، بل الدليل على خلافه وهو القصة المسروده فى الروايه وغيرها ...

قال فى مرصد الاطلاع : أبطح بالفتح ثم السكون وفتح الطاء والحاء المهمله : كل مسيل فيه رقاق الحصى فهو أبطح

على أن الروايه بعينها رواها غير الثعلبى ، وليس فيه ذكر من الأبطح ، وهى ما يأتى من روايه المجمع من طريق الجمهور وغيرها.

وبعد هذا كله ، فالروايه من الآحاد وليست من المتواترات ، ولا- مما قامت على صحتها قرينه قطعيه ، وقد عرفت من أبحاثنا المتقدمه أنا لا- نعول على الآحاد فى غير الأحكام الفرعيه ، على طبق الميزان العام العقلاى ، الذى عليه بناء الإنسان فى حياته ، وإنما المراد بالبحث الأنف بيان فساد ما استظهر به من الوجوه التى استنتج منها أنها موضوعه. انتهى.

**

وكلام صاحب الميزان فى رد تضعيف رشيد رضا للحديث كلامٌ قوى ، لكن ليته بدل أن يضعفه هو بدعوى أنه من أخبار الآحاد ، اطلع على مصادره ورواته .. وعلى بحث الأمينى حوله فى المجلد الأول من الغدير ، وبحث السيد النقوى الهندى فى عبقات الأنوار : ٧ و ٨ ، وغيرهما.

- ونورد فيما يلى خلاصهً لما كتبه صاحب الغدير / فى : ١ / ٢٣٩ ، قال :

ومن الآيات النازله بعد نص الغدير ، قوله تعالى من سوره المعارج : سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج.

وقد أذعنت به الشيعة وجاء مثبتاً فى كتب التفسير والحديث لمن لا يستهان بهم من علماء أهل السنه ، ودونك نصوصها.

ص: ٣١٣

ثم أورد صاحب الغدير نصوص ثلاثين مؤلفاً رَووا الحديث بعده طرق ، وفيهم محدثان أقدم من الثعلبي كما تقدم .. ثم أفاض في رد الوجوه التي ذكرها ابن تيميه في كتابه منهاج السنه : ١٣ / ٤ ، وأجاب عنها ، ونورد فيما يلي خلاصتها ، قال :

الوجه الأول : إن قصه الغدير كانت في مرتجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجه الوداع ، وقد أجمع الناس على هذا ، وفي الحديث : أنها لما شاعت في البلاد جاءه الحارث ، وهو بالأبطح بمكه ، وطبع الحال يقتضى أن يكون ذلك بالمدينه ، فالمفتعل للروايه كان يجهل تاريخ قصه الغدير.

الجواب : أولاً- ما سلف في روايه الحلبي في السيره ، وسبط ابن الجوزي في التذكره ، والشيخ محمد صدر العالم في معارج العلى ، من أن مجيء السائل كان في المسجد - إن أريد منه مسجد المدينه - ونص الحلبي على أنه كان بالمدينه ، لكن ابن تيميه عذب عن ذلك كله ، فطفق يهملج في تنفيذ الروايه بصوره جزميه فحسب اختصاص الأبطح بحوالي مكه ، ولو كان يراجع كتب الحديث ومعاجم اللغه والبلدان والأدب لوجد فيها نصوص أربابها بأن الأبطح كل مسيل فيه دقاق الحصى.

- روى البخارى في صحيحه : ١ / ١٨١ ، ومسلم في صحيحه : ١ / ٣٨٢

عن عبد الله ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ بالبطحاء بذي الحليفه فصلى بها.

الوجه الثانى : أن سوره المعارج مكيه باتفاق أهل العلم ، فيكون نزولها قبل واقعه الغدير بعشر سنين أو أكثر من ذلك.

الجواب : أن المتيقن من معقد الإجماع المذكور هو نزول مجموع السوره مكياً ، لا- جميع آياتها ، فيمكن أن يكون خصوص هذه الآيه مدنياً ، كما فى كثير من السور.

ولا- يرد عليه أن المتيقن من كون السوره مكيه أو مدنيه ، هو كون مفاتيحها كذلك أو الآيه التى انتزع منها اسم السوره ، لما قدمناه من أن هذا الترتيب هو ما اقتضاه التوقيف ، لا ترتيب النزول ، فمن الممكن نزول هذه الآيه أخيراً ، وتقدمها

ص: ٣١٤

على النزالات قبلها بالتوقيف ، وإن كنا جهلنا الحكمه فى ذلك ، كما جهلناها فى أكثر موارد الترتيب فى الذكر الحكيم ، وكم لها من نظير ومن ذلك :

١ - سورة العنكبوت ، فإنها مكيه إلا من أولها عشره آيات ، كما رواه الطبرى فى تفسيره فى الجزء العشرين / ٨٦ ، والقرطبى فى تفسيره ١٣ / ٣٢٣

٢ - سورة الكهف ، فإنها مكيه إلا من أولها سبع آيات ، فهى مدنيه ... كما فى تفسير القرطبى ١٠ / ٣٤٦ ، وإتقان السيوطى ١ / ١٦ ...

ثم عدد الأينى سبع عشره سورة مكيه فيها آيات مدنيه ، وسوراً مدنيه فيها آيات مكيه ..

الوجه الثالث : أن قوله تعالى : وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء ، نزلت عقيب بدر بالإتفاق قبل يوم الغدير بسنين .

الجواب : كأن هذا الرجل يحسب أن من يروى تلك الأحاديث المتعاضده يرى نزول ما لهج به الحارث بن النعمان الكافر من الآيه الكريمه ... فى اليوم المذكور .

والقارئ لهايتك الأخبار جد عليم بمينه فى هذا الحسبان ، أو أنه يرى حجراً على الآيات السابق نزولها أن ينطق بها أحداً ، فهل فى هذه الروايه غير أن الرجل المرتد الحارث أو جابر تفوه بهذه الكلمات ؟ وأين هو من وقت نزولها ، فدعها يكن نزولها فى بدر أو أحد ، فالرجل أبدى كفره بها كما أبدى الكفار قبله إلحادهم بها !

لكن ابن تيميه يريد تكثير الوجوه فى إبطال الحق الثابت .

الوجه الرابع : أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون بمكه ، ولم ينزل عليهم العذاب هناك لوجود النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، لقوله تعالى : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون .

الجواب : لا - ملازمه بين عدم نزول العذاب فى مكه على المشركين ، وبين عدم نزوله هاهنا على الرجل ، فإن أفعال المولى سبحانه تختلف باختلاف وجوه الحكمه .

ثم أورد الأئمة عدداً من الذين دعا عليهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فعذبهم الله تعالى ، ثم قال : ولو كان وجود الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مانعاً عن جميع أقسام العذاب بالجملة ، لما صح ذلك التهديد ، ولما أصيب نفر الذين ذكرناهم بدعوته ، ولما قتل أحد في مغازيه بعضه الرهيف ، فإن كل هذه من أقسام العذاب ، أعادنا الله منها.

الوجه الخامس : أنه لو صح ذلك لكان آية كآية أصحاب الفيل ، ومثلها تتوفر الدواعي لنقله ، ولما وجدنا المصنفين في العلم من أرباب المسانيد والصحاح والفضائل والتفسير والسير ونحوها ، قد أهملوه رأساً فلا يروى إلا بهذا الإسناد المنكر ، فعلم أنه كذب باطل.

الجواب : إن قياس هذه التي هي حادثه فرديه ، لا- تحدث في المجتمع فراغاً كبيراً يؤبه له ، وورائها أغراض مستهدفة تحاول إسدال ستور الإنساء عليها كما أسدلوها على نص الغدير نفسه ... مجازفة ظاهرة ، فإن من حكم الضرورة أن الدواعي في الأولى دونها في الثانية

وأما ما ادعاه ابن تيمية من إهمال طبقات المصنفين لها ، فهو مجازفة أخرى ، لما أسلفناه من روايه المصنفين لها من أئمة العلم ، وحمله التفسير ، وحفاظ الحديث ، ونقله التاريخ

لم نعرف المشار إليه في قوله : بهذا الإسناد المنكر ! فإنه لا ينتهي إلا الى حذيفة بن اليمان الصحابي العظيم ، وسفيان بن عيينه المعروف بإمامته في العلم والحديث والتفسير ، وثقته في الرواية.

وأما الإسناد إليهما ، فقد عرفه الحفاظ والمحدثون والمفسرون المنقبون في هذا الشأن ، فوجدوه حرياً بالذكر والإعتماد ، وفسروا به آيات من الذكر الحكيم ، من دون أى نكير ، ولم يكونوا بالذين يفسرون الكتاب بالتافهات.

نعم : هكذا سبق العلماء وفعّلوا ، لكن ابن تيمية استنكر السند ، وناقش في المتن لأن شيئاً من ذلك لا يلائم دعاره خطته.

الوجه السادس : أن المعلوم من هذا الحديث أن حارثاً المذكور كان مسلماً باعترافه بالمبادئ الخمسه الإسلاميه ، ومن المعلوم بالضروره أن أحداً من المسلمين لم يصبه عذاب على العهد النبوى.

الجواب : إن الحديث كما أثبت إسلام الحارث ، فكذلك أثبت رده قول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وتشكيكه فيما أخبر به عن الله تعالى ، والعذاب لم يأت حين إسلامه ، وإنما جاءه بعد الكفر والإرتداد ... على أن فى المسلمين من شملته العقوبه لما تجرؤوا على قدس صاحب الرساله ... ثم ذكر الأئمنى عدداً من الذين دعا عليهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من المسلمين ، منهم من ذكره مسلم فى صحيحه عن سلمه بن الأ-كوع : أن رجلاً أكل عند النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بشماله ، فقال : كل يمينك. قال : لا أستطيع ، قال : لا استطعت ! قال : فما رفعها الى فيه بعد .. الخ. !

الوجه السابع : أن الحارث بن النعمان غير معروف فى الصحابه ، ولم يذكره ابن عبد البر فى الإستيعاب وابن منده وأبو نعيم الإصبهانى وأبو موسى فى تأليف ألفوها فى أسماء الصحابه ، فلم نتحقق وجوده.

الجواب : إن معاجم الصحابه غير كافله لاستيفاء أسمائهم ، فكل مؤلف من أربابها جمع ما وسعته حيطة وأحاط به إطلاعه ، ثم جاء المتأخر عنه فاستدرك على من قبله بما أوقفه السير فى غضون الكتب وتضاعيف الآثار ، وأوفى ما وجدناه من ذلك كتاب الإصابه بتميز الصحابه لابن حجر العسقلانى ، ومع ذلك فهو يقول فى مستهل كتابه : ومع ذلك فلم يحصل لنا من ذلك جميعاً الوقوف على العشر من أسامى الصحابه بالنسبه الى ما جاء عن أبى زرعه الرازى قال : توفى النبي صلى الله عليه وسلم ومن رآه وسمع منه زياده على مائه ألف إنسان ، من رجل وامراه ، كلهم قد روى عنه سماعاً أو رؤيه

وبعد هذا كله فالنافى لشخص لم يجد اسمه فى كتب هذا شأنها خارج عن ميزان النصفه ، ومتحايد عن نواميس البحث ، على أن من المحتمل قريباً أن مؤلفى معاجم الصحابه أهملوا ذكره لردته الأخيره. انتهى.

ونضيف الى ما ذكره صاحب الغدير (رحمه الله) وما تقدم :

أولاً: أن من الأدله القويه على صحه هذا الحديث أنه لا- يمكن أن ينشأ من فراغ ، وأن احتمال وضعه من قبل رواه الخلافه القرشيه غير معقول ، لأنهم لا يقدمون على وضع حديث يثبت أن ولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نزلت من السماء قبل بيعه أبي بكر فى السقيفه وأن الله تعالى عاقب من اعترض عليها بحجر من السماء ، كما عاقب أصحاب الفيل الكفار !

كما أن القول بتسرب الحديث من مصادر الشيعة الى مصادر السنه بابٌ خطيرٌ عليهم .. فلو قبلوا بفتحه لانهار بناء صحاحهم كلها ، ثم انهارت الخلافه القرشيه وسقيفتها ! وذلك لأن رواه هذه الأحاديث (الشيعيه) هم رواه أصول عقيدته الخلافه القرشيه وبناه قواعدها .. فهم مجبورون على توثيقهم وقبول رواياتهم ، ومنها هذه الروايات التى تضر أصول مبانيهم !

ثانياً : أن المتفق عليه فى مصادر الشيعة والسنه أقوى من المختلف فيه .. لأنك عندما ترى أن مذاهب المسلمين كلها تروى حديثاً ، يقوى عندك احتمال أن يكون صدر عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وعندما يرويه بعضها ويرده بعضها تنزل عندك درجه الإحتمال ومما يزيد فى درجه احتمال الصحه : أن يكون الطرف الراوى للحديث متضرراً منه ضرراً مؤكداً ، ومتحيراً فى كيفية التخلص منه !

وحديثنا من هذا النوع ، فهو حديثٌ يتضرر منه أتباع خلافه قريش من المسلمين ويغضه عبده قبيله قريش من النواصب.

أما أتباع أهل بيت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فيحتجون به ، وتخت له قلوبهم.

ثالثاً : أن الإختلاف فى اسم الشخص الذى نزل عليه حجر السجيل ، لا يضر فى صحه الحديث ، إذا تمت بقيه شروطه .. خاصة أن اسمه صار سوأه على أقاربه وعشيرته ، ولا بد أنهم عملوا على إخفائه ونسيان أمره ، حتى لا يعيرهم به المسلمون ، كما قال الامينى .

على أن للباحث أن يرجح أن اسم المعترض هو : جابر بن النضر بن الحارث بن كلده العبدري ، وليس الحارث بن النعمان الفهري .. بدليل أن الحافظ أبي عبيد الهروي المتوفى سنة ٢٢٣ ، ضبطه في تفسيره بهذا الاسم ، وكل العلماء السنين يحترمون علم أبي عبيد ، وخبرته بالأحاديث ، وقدم عصره .

وجابر بن النضر شخصية قرشية معروفة ، لأنه ابن زعيم بني عبد الدار ، حامل لواء قريش يوم بدر .. فلا يبقى لابن تيميه والنواصب حجة في رد الحديث !

على أن الباقيين الذين وردت أسماؤهم في روايات الحديث ، كالحارث الفهري وغيره ، ترجم لهم المترجمون للصحابه أيضاً ، أو ترجموا لمن يصلحوا أن يكونوا أقارب لهم .

المسألة السادسة : طرق وأسانيد حديث حجر الغدير

أولاً : طرق وأسانيد المصادر السنية

إشاره

الطريق الأول : حديث أبي عبيد الهروي في كتابه : غريب القرآن ، وقد تقدم ، وهو بمقاييس أهل الجرح والتعديل السنين بقوه المسند المقبول .

الطريق الثاني : حديث الثعلبي عن سفيان بن عيينه .. وله أسانيد كثيره ، وأكثر الذين ذكرهم صاحب الغدير ، رووه عن الثعلبي بأسانيدهم اليه ، أو نقلوه من كتابه .

- وذكر السيد المرعشي عدداً منهم في إحقاق الحق : ٦ / ٣٥٨ ، قال :

- العلامة الثعلبي في تفسيره (مخطوط) : روى بسنده عن سفيان بن عيينه (رحمه الله) سئل عن قوله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع ، فيمن نزلت ؟ فقال للسائل : لقد سألتني عن مسأله لم يسألني عنها أحد قبلك ، حدثني أبي ، عن جعفر بن محمد عن آبائه رضی الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا ، فأخذ بيد علي (رضی الله عنه) وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فشاع ذلك فطار في البلاد ، وبلغ ذلك الحارث (خ . الحرث) بن النعمان الفهري ، فأتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم على ناقه له ، فأناخ راحلته ونزل عنها ، وقال : يا محمد أمرتنا عن الله عز وجل أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصلى خمساً فقبلنا منك ، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصوم رمضان وأمرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه ! فهذا شئ منك أم من الله عز وجل !؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله عز وجل .

فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل الى راحلته حتى رماه الله عز وجل بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله ، فأنزل الله عز وجل « سئل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج .»

- ومنهم العلامة الحموينى فى فرائد السمطين (المخطوط) قال :

أخبرنى الشيخ عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بن شبل المقدسى بمدينة نابلس فيما أجازنى أن أرويه عنه ، عن القاضى جمال الدين عبد القاسم بن عبد الصمد بن محمد الأنصارى إجازة ، عن عبد الجبار بن محمد الخوارزمى البيهقى إجازة ، عن الإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى (رحمه الله) قال : قرأت على شيخنا الأستاذ أبى إسحاق الثعلبى (رحمه الله) فى تفسيره أن سفيان بن عيينة .. فذكر الحديث بعين ما تقدم عن تفسير الثعلبى .

- ومنهم العلامة الزرندي فى نظم درر السمطين / ٩٣ ط . مطبعة القضاء :

روى الحديث بعين ما تقدم عن تفسير الثعلبى .

- ومنهم العلامة ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمه / ٢٤ ط . الغرى

روى الحديث نقلاً عن الثعلبى بعين ما تقدم عن تفسيره بلا واسطه .

- ومنهم العلامة عبد الرحمن الصفورى فى نزاهة المجالس ٢ / ٢٠٩ ط . القاهره :

روى الحديث نقلاً عن تفسير القرطبى بعين ما تقدم عن تفسير الثعلبى .

- ومنهم العلامة السيد جمال الدين عطاء الله الشيرازى الهروى فى الأربعين حديثاً

(مخطوط) روى الحديث بعين ما تقدم عن تفسير الثعلبى ، لكنه زاد بعد قوله : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله : وأدر الحق معه حيث كان ، وفى روايه اللهم أعنه وأعن به وارحمه وارحم به ، وانصره وانصر به .

- ومنهم العلامة عبد الله الشافعى فى المناقب / ٢٠٥ مخطوط

روى الحديث بعين ما تقدم عن تفسير الثعلبى .

- ومنهم العلامة القندوزى فى ينباع الموده / ٢٧٤ ط . اسلامبول

روى الحديث عن الثعلبى بعين ما تقدم عنه فى تفسيره .

- ومنهم العلامة الأمرتسرى فى أرجح المطالب / ٥٦٨ ط . لاهور

روى الحديث من طريق شهاب الدين الدولت آبادى ، والسيد السمهودى فى جواهر العقدين ، وجمال الدين المحدث صاحب روضه الأحباب فى أربعينه

- وعبد الرؤوف المناوى فى فيض القدير

- ومحمد بن محمد القادرى فى الصراط السوى

- والحلبى فى إنسان العيون

- وأحمد بن الفضل بن محمد باكثير فى وسيله الامال

- ومحمد بن إسماعيل الامير فى الروضه النديه

- والحافظ محمد بن يوسف الكنجى فى كفايه الطالب بعين ما تقدم عن تفسير الثعلبى . انتهى .

سندا القاضى الحسكانى الى ابن عينه

- قال فى شواهد التنزيل : ٢ / ٣٨٢

١٠٣٠ - أخبرنا أبو عبد الله الشيرازى أخبرنا أبو بكر الجرجائى ، حدثنا أبو أحمد البصرى قال : حدثنى محمد بن سهل حدثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصارى ،

حدثنا محمد بن أيوب الواسطي ، عن سفيان بن عيينه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : عن علي قال : لما نصب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) علياً يوم غدِير خم فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه. طار ذلك في البلاد ، فقدم علي رسول الله النعمان بن الحرث الفهري فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وأمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة والصوم فقبلناها منك ، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟!!!

فقال : أمرٌ من عند الله.

قال : الله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله ؟

قال : الله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله.

قال : فولى النعمان وهو يقول (اللهم) إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فرماه الله بحجر على رأسه فقتله ، فأنزل الله تعالى « سأل سائل ».

١٠٣١ - حدثونا عن أبي بكر السبيعي ، حدثنا أحمد بن محمد بن نصر أبو جعفر الضبيعي ، قال : حدثني زيد بن إسماعيل بن سنان ، حدثنا شريح بن النعمان حدثنا سفيان بن عيينه ، عن جعفر عن أبيه ، عن علي بن الحسين قال : نصب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) علياً يوم غدِير خم (و) قال : من كنت مولاه فعلى مولاه. فطار ذلك في البلاد. الحديث به ، سواء معنى.

الطريق الثالث : للقاضي الحسكاني عن جابر الجعفي

- قال في شواهد التنزيل : ٢ / ٣٨٢

١٠٣٢ - و (رواه أيضاً) في (التفسير) العتيق (قال) : حدثنا إبراهيم بن محمد الكوفي قال : حدثني نصر بن مزاحم ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، عن محمد بن علي قال : أقبل الحارث بن عمرو الفهري الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال : إنك أتيتنا

ص : ٣٢٢

بخبر السماء فصدقناك وقبلنا منك. فذكر مثله الى قوله : فارتحل الحارث ، فلما صار يطحاء (مكة) أتته جندله من السماء فشدت رأسه ، فأنزل الله « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين » بولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وفى الباب عن حذيفه ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريره ، وابن عباس .

الطريق الرابع : للقاضى الحسكاني عن حذيفه بن اليمان

- قال فى شواهد التنزيل : ٣٨٣ / ٢

١٠٣٣ - حدثنى أبو الحسن الفارسى ، حدثنا أبو الحسن محمد بن إسماعيل الحسنى ، حدثنا عبد الرحمان بن الحسن الأسدى ، حدثنا إبراهيم .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن محمد البغدا دى ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيبانى ، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن الأسدى ، حدثنا إبراهيم بن الحسن الكسائى ، حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان بن سعيد ، حدثنا منصور ، عن ربعى ، عن حذيفه بن اليمان قال : لما قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ) لعلى : من كنت مولاه فهذا مولاه . قام النعمان بن المنذر الفهرى (كذا) فقال : هذا شىء قلته من عندك أو شىء أمرك به ربك .

قال : لا ، بل أمرنى به ربى .

فقال : اللهم أنزل علينا حجاره من السماء . فما بلغ رحله حتى جاءه حجرٌ فأدماه فخر ميتاً ، فأنزل الله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع » و (الطريقان) لفظهما واحد .

الطريق الخامس : للقاضى الحسكاني عن أبى هريره

- قال فى شواهد التنزيل : ٣٨٣ / ٢

١٠٣٤ - وأخبرنا عثمان أخبرنا فرات بن إبراهيم الكوفى قال : حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب البجلي قال : حدثنا أبو عماره محمد بن أحمد المهدي ، حدثنا

ص : ٣٢٣

محمد بن أبي معشر المدني ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريره قال : أخذ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعضد على بن أبي طالب يوم غدیر خم ، ثم قال : من كنت مولاه فهذا مولاه. فقام إليه أعرابي فقال : دعوتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فصدقناك ، وأمرتنا بالصلاه والصيام فصلينا وصمنا ، وبالزكاه فأديننا ، فلم يقعنك إلا أن تفعل هذا ! فهذا عن الله أم عنك ؟

قال : عن الله ، لا عنى.

قال : الله الذى لا إله إلا هو لهذا عن الله لا عنك !؟

قال : نعم ، ثلاثاً ، فقام الأعرابي مسرعاً الى بعيره ، وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، الآييه ، فما استتم الكلمات حتى نزلت ناراً من السماء فأحرقته ، وأنزل الله فى عقب ذلك : سألت سائل ، الى قوله دافع. انتهى.

وقد ذكر الحسكاني كما رأيت طريقين آخرين الى سعد بن أبي وقاص ، وابن عباس ، ولم يذكر سندهما .. ولعلهما الطريقان الموجودان فى تفسير فرات الكوفى.

**

ثانياً : طرق وأسانيد مصادرنا الى سفيان بن عيينه

أسانيد فرات بن ابراهيم الكوفى الى سفيان بن عيينه

- تفسير فرات الكوفى ص ٥٥٥

٣ - فرات قال : حدثنى محمد بن أحمد ظبيان معنعناً : عن الحسين بن محمد الخارفي قال : سألت سفيان بن عيينه عن : سألت سائل ، فيمن نزلت : قال : يا ابن أخى سألتنى عن شىء ما سألتنى عنه أحد قبلك ، لقد سألت جعفر بن محمد (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عن مثل الذى سألتنى عنه ، فقال : أخبرنى أبى عن جدى عن أبيه عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال : لما كان يوم غدیر خم ، قام رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) خطيباً فأوجز فى خطبته ، ثم دعا على بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فأخذ بضبعه ثم رفع بيده حتى رثى بياض إبطيهما وقال : ألم أبلغكم

ص : ٣٢٤

الرساله ؟ ألم أنصح لكم ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله. ففشت في الناس فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري ، فرحل راحلته ثم استوى عليها - ورسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إذ ذاك بمكة - حتى انتهى الى الأبطح ، فأناخ ناقته ثم عقلها ثم جاء الى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فسلم فرد عليه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال :

يا محمد إنك دعوتنا أن نقول لا إله إلا الله فقلنا ! ثم دعوتنا أن نقول إنك رسول الله فقلنا ، وفي القلب ما فيه ، ثم قلت صلوا فصلينا ، ثم قلت صوموا فصمنا فأظمانا نهارنا وأتعبنا أبداننا ، ثم قلت حجوا فحججنا ، ثم قلت إذا رزق أحدكم مأتى درهم فليصدق بخمسه كل سنه ، ففعلنا.

ثم انك أقمت ابن عمك فجعلته علماً وقلت : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، أفعنك أم عن الله ؟! قال : بل عن الله - قال فقالها ثلاثاً - قال : فنهض ، وإنه لمغضب وإنه ليقول : اللهم إن كان ما قال محمد حقاً فأمطر علينا حجاره من السماء ، تكون نقمه في أولنا وآيه في آخرنا ، وإن كان ما قال محمد كذباً فأنزله به نقتك.

ثم أثار ناقته فحل عقالها ثم استوى عليها ، فلما خرج من الأبطح رماه الله تعالى بحجر من السماء فسقط على رأسه وخرج من دبره ، وسقط ميتاً فأنزل الله فيه : سألت سائل بعداب واقع ، للكافرين ليس له دافع ، من الله ذى المعارج. انتهى.

أسانيد محمد بن العباس الى سفيان بن عيينه

- تأويل الآيات : ٢ / ٧٢٢

قال محمد بن العباس (رحمه الله) : حدثنا علي بن محمد بن مخلد ، عن الحسن بن القاسم ، عن عمر بن الأحسن ، عن آدم بن حماد ، عن حسين بن محمد قال : سألت سفيان بن عيينه عن قول الله عز وجل : سألت سائل ، فيمن نزلت ؟ فقال ... بنحو روايه فرات الأخيره.

ص : ٣٢٥

٢٧٠ - السيد المرتضى فى عيون المعجزات : قال : حدث أبو عبد الله محمد بن أحمد قال : حدثنا أبي قال : حدثنى على بن فروخ السمان قال : حدثنى يحيى بن زكرياء المنقرى قال : حدثنا سفيان بن عيينه قال : حدثنى عمر بن أبى سليم العيسى ، عن جعفر بن محمد الصادق ، عن أبيه (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قال : لما نصب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) علياً يوم غدير خم وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ...

قلت : قد ذكرت فى معنى هذا الحديث روايه المفضل بن عمر الجعفى ، عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى كتاب البرهان فى تفسير القرآن بالروايه عن أهل البيت فى قوله تعالى : قل فله الحجه البالغه من سوره الأنعام.

وفى سوره المعارج فى قوله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع ، روايه اخرى.

الحكاية الخامسة : أنا أبو العلاء زيد بن على بن منصور الأديب والسيد أبو تراب المرتضى بن الداعى بن القاسم الحسنى قال : أنا الشيخ المفيد عبد الرحمن بن أحمد الواعظ الحافظ املاءً : أنا محمد بن زيد بن على الطبرى أبو طالب بن أبى شجاع البريدى بآمل بقراءتى عليه ، أنا أبو الحسين زيد بن إسماعيل الحسنى ، أنا السيد أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسنى ، أنا عبد الرحمن بن الحسن الخاقانى ، أنا عباس بن عيسى ، أنا الحسن بن عبد الواحد الخزاز ، عن الحسن بن على النخعى ، عن رومى بن حماد المخارقى قال : قلت لسفيان بن عيينه : أخبرنى عن « سأل سائل » فيمن أنزلت ط قال : لقد سألتنى عن مسأله ما سألتنى عنها أحد قبلك ، سألت عنها جعفر بن محمد الصادق (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فقال : لقد سألتنى عن مسأله ما سألتنى عنها أحد قبلك ، حدثنى أبى عن آباءه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قال : لما حج النبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حجه الوداع فنزل بغدير خم ، نادى فى

الناس فاجتمعوا فقال : يا أيها الناس ألم أبلغكم رسالته ؟ قالوا : اللهم بلى . قال : أفلم أنصح لكم ؟ قالوا : اللهم بلى . قال : فأخذ بضيق على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فرفعه حتى رأى بياض إبطيهما ، ثم قال : أيها الناس من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ووالاه وعاد من عاداه .

قال : فشاع ذلك ، فبلغ الحارث بن النعمان الفهرى ، فأقبل يسير على ناقه له حتى نزل بالأبطح فأناخ راحلته وشد عقالها ، ثم أتى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهو فى ملام من أصحابه فقال : يا رسول الله والله الذى لا إله إلا هو إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله فشهدنا ، ثم أمرتنا أن نشهد أنك رسول الله فشهدنا ، ثم أمرتنا أن نصلى خمساً فصلينا ، ثم أمرتنا أن نصوم شهر رمضان فصمنا ، ثم أمرتنا أن نزكى فزكينا ، ثم أمرتنا أن نحج فحججنا ، ثم لم ترض حتى نصبت ابن عمك علينا ، فقلت : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه . هذا عنك أو عن الله تعالى !؟

قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : لا بل عن الله .

قال : فقام الحارث بن النعمان مغضباً وهو يقول : اللهم إن كان ما قال محمد حقاً فأنزل بى نقمه عاجله .

قال : ثم أتى الأبطح فحل عقال ناقته واستوى عليها ، فلما توسط الأبطح رماه الله بحجر فوقع وسط دماغه وخرج من دبره ، فخر ميتاً ، فأنزل الله تعالى : سألت سائل بعداب واقع للكافرين ليس له دافع . وقد أورد أبو إسحاق الثعلبي إمام أصحاب الحديث فى تفسيره هذه الحكاية بغير إسناد .

سند الطبرسى الى سفيان بن عيينه

- تفسير الميزان : ٥٨ / ٦

وفى المجمع أخبرنا السيد أبو الحمد قال : حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال : أخبرنا أبو عبد الله الشيرازى قال : أخبرنا أبو بكر الجرجاني قال : أخبرنا أبو أحمد البصرى قال : حدثنا محمد بن سهل قال : حدثنا زيد بن إسماعيل مولى

ص : ٣٢٧

الأنصار قال : حدثنا محمد بن أيوب الواسطي قال : حدثنا سفيان بن عيينه ، عن جعفر بن محمد الصادق ، عن آباءه قال : لما نصب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) علياً يوم غدِير خم قال من كنت مولاه فهذا علي مولاه

* *

ثالثاً : طرق وأسانيد من مصادرنا من غير طريق سفيان بن عيينه

أسانيد محمد بن يعقوب الكليني

- الكافي : ١ / ٤٢٢

٤٧ - علي بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قول الله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع للكافرين (بولايه علي) ليس له دافع .

ثم قال : هكذا والله نزل بها جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) علي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). انتهى.

ومعنى قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (هكذا والله نزل بها جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) علي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أنه نزل بتأويلها ، وهذا مثل قول ابن مسعود المتقدم في آيه التبليغ أنهم كانوا يقرؤون علي عهد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) « بلغ ما أنزل اليك - في علي » وما ورد عن ابن عباس في آيات الخندق أنه كان يقرأ (وكفى الله المؤمنين القتال - بعلي » فهذه ليست قراءات ، لأنه لا يجوز إضافه أى حرفٍ الى نص كتاب الله تعالى ، بل كلها تفاسير من الصحابه ، أو تفسيرٌ نزل به جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فبلغهم إياها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فكانوا يقرؤونها كالذي يشرح آيةً ، أو كتبوها في تفاسيرهم كالهامش .

- وفي الكافي : ٨ / ٥٧

١٨ - عده من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي بصير قال : بينا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذات يوم جالساً إذ أقبل أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال له رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : إن فيك شبيهاً من عيسى بن مريم ، ولو لا أن تقول فيك طوائف من

ص : ٣٢٨

أمتى ما قالت النصرارى فى عيسى بن مريم ، لقلت فيك قولاً - لا - تمر بملاً من الناس إلا - أخذوا التراب من تحت قدميك ، يلتمسون بذلك البركه .

قال : فغضب أعرابيان والمغيره بن شعبه وعدة من قريش معهم ، فقالوا : ما رضى أن يضرب لابن عمه مثلاً إلا عيسى ابن مريم ، فأنزل الله على نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال : ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ، وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل . ولو نشاء لجعلنا منكم - يعنى من بنى هاشم - ملائكة فى الأرض يخلفون . قال : فغضب الحارث بن عمرو الفهرى فقال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك أن بنى هاشم يتوارثون هرقلًا بعد هرقل ، فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم الى آخره ، ولعل فى متنه اضطراباً ، وفيه :

ثم قال له : يا بن عمرو إما تبت وإما رحلت .

فقال : يا محمد ، بل تجعل لسائر قريش شيئاً مما فى يدىك ، فقد ذهبت بنو هاشم بمكرمه العرب والعجم !

فقال له النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : ليس ذلك إلى ، ذلك إلى الله تبارك وتعالى .

فقال : يا محمد قلبى ما يتابعنى على التوبه ، ولكن أرحل عنك ، فدعا براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة ، أتته جندلة فرضخت هامته ، ثم أتى الوحى الى النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال : سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين - بولايه على - ليس له دافع ، من الله ذى المعارج .

أسانيد فرات بن ابراهيم الكوفى

- تفسير فرات الكوفى ص ٥٠٣

١- قال : حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب البجلي قال : حدثنا أبو عماره محمد بن أحمد المهتدى قال : حدثنا محمد بن معشر المدنى ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريره قال : طرحت الأفتاب لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يوم غدير خم

ص : ٣٢٩

قال فعلا عليها فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخذ بعضد على بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فاستلها فرفعها ، ثم قال : اللهم من كنت مولاه فعلى فهذا على مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله.

فقام إليه أعرابي من أوسط الناس فقال : يا رسول الله دعوتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله فشهدنا وأنك رسول الله فصدقنا ، وأمرتنا بالصلاة فصلينا ، وبالصيام فصمنا ، وبالجهاد فجاهدنا ، وبالزكاة فأدينا ، قال : ولم يقنعك إلا أن أخذت بيد هذا الغلام على رؤس الأشهاد ، فقلت : اللهم من كنت مولاه فهذا على مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ! فهذا عن الله أم عنك !؟

قال : هذا عن الله ، لا عنى .

قال : الله الذى لا إله إلا هو لهذا عن الله لا عنك !؟

قال : الله الذى لا إله إلا هو لهذا عن الله لا عنى .

ثم قال ثالثة : الله الذى لا إله إلا هو لهذا عن ربك لا عنك ؟

قال : الله الذى لا إله إلا هو لهذا عن ربي لا عنى .

قال : فقام الأعرابي مسرعاً الى بعيه وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

قال : فما استتم الأعرابي الكلمات حتى نزلت عليه نارٌ من السماء فأحرقته ، وأنزل الله فى عقب ذلك : سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ، من الله ذى المعارج .

٢ - قال فرات : حدثنى جعفر بن محمد بن بشرويه القطان معنعناً ، عن الأوزاعى ، عن صعصعه بن صوحان والأحنف بن قيس قالاً - جميعاً : سمعنا ابن عباس (رضى الله عنه) قال : كنت مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إذ دخل علينا عمرو بن الحارث الفهرى قال : يا أحمد أمرتنا بالصلاة والزكاة أفمنك هذا أم من ربك يا محمد ؟ قال : الفريضة من ربي وأداء الرسالة منى ، حتى أقول : ما أديت إليكم إلا ما أمرنى ربي .

قال : فأمرتنا بحب علي بن أبي طالب ، زعمت أنه منك كهارون من موسى ، وشيعته علي نوق غر محجله يرفلون في عرصه القيامه ، حتى يأتى الكوثر فيشرب ويسقى هذه الأمه ، ويكون زمره في عرصه القيامه ، أبهذا الحب سبق من السماء أم كان منك يا محمد ؟

قال : بلى سبق من السماء ثم كان منى. لقد خلقنا الله نوراً تحت العرش !

فقال عمرو بن الحارث : الآن علمت أنك ساحر كذاب ! يا محمد أُلستما من ولد آدم ؟

قال : بلى ، ولكن خلقنى الله نوراً تحت العرش قبل أن يخلق الله آدم باثنى عشر ألف سنه ، فلما أن خلق الله آدم ألقى النور فى صلب آدم ، فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب الى صلب ، حتى تفرقنا فى صلب عبد الله بن عبد المطلب وأبى طالب ، فخلقنا ربى من ذلك النور ، لكنه لکن لا نبى بعدى.

قال : فوثب عمرو بن الحارث الفهرى مع اثنى عشر رجلاً من الكفار ، وهم ينفضون أرديتهم فيقولون : اللهم إن كان محمد صادقاً فى مقالته فارم عمراً وأصحابه بشواظٍ من نار.

قال فرمى عمرو وأصحابه بصاعقه من السماء ، فأنزل الله هذه الآيه : سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج. فالسائل عمرو وأصحابه.

٤ - فرات قال : حدثنا أبو أحمد يحيى بن عبيد بن القاسم القزوينى معنعناً ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : صلى بنا النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صلاة الفجر يوم الجمعة ، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم الحسن وأثنى على الله تبارك وتعالى ، فقال : أخرج يوم القيمه وعلى بن أبى طالب أمامى ، ويده لواء الحمد ، وهو يومئذ من شقتين شقه من السنسندس وشقه من الإستبرق ، فوثب إليه رجل أعرابى من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعه ، فقال : قد أرسلونى إليك لأسألك ، فقال : قل يا أخا البادية.

قال : ما تقول فى علي بن أبى طالب ، فقد كثر الإختلاف فيه ؟

فتبسم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ضاحكاً فقال: يا أعرابي، ولم يكثر الإختلاف فيه؟ عليّ منى كراسى من بدنى، وزرى من قميصى.

فوثب الأعرابي مغضباً ثم قال: يا محمد إنى أشد من على بطشاً، فهل يستطيع على أن يحمل لواء الحمد؟

فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): مهلاً- يا أعرابي، فقد أعطى على يوم القيامة خصالاً شتى: حسن يوسف، وزهد يحيى، وصبر أيوب، وطول آدم، وقوه جبرئيل. وييده لواء الحمد وكل الخلائق تحت اللواء، يحف به الأئمة والمؤذنون بتلاوه القرآن والأذان، وهم الذين لا يتبددون فى قبورهم.

فوثب الأعرابي مغضباً وقال: اللهم إن يكن ما قال محمد فيه حقاً فأنزل على حجراً. فأنزل الله فيه: سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج.

سندا محمد بن العباس

- تأويل الآيات: ٢ / ٧٢٢

- وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمد السيارى، عن محمد بن خالد، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنه تلا: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين - بولايه على - ليس له دافع، ثم قال: هكذا هي فى مصحف فاطمه (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

- ويؤيده: ما رواه محمد البرقى، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى قوله عز وجل: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين - بولايه على - ليس له دافع، ثم قال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). انتهى.

وقد تقدم أن عبارته (بولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ)) تفسيرٌ للآية، وكانوا يكتبون ذلك فى هامش مصاحفهم، كما ورد عن مصحف ابن عباس أنه كان فيه: وكفى الله المؤمنين القتال، بعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ص: ٣٣٢

٤٢ - جامع الأخبار : أخبرنا علي بن عبد الله الزيادي ، عن جعفر بن محمد الدوريسى ، عن أبيه ، عن الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن زراره قال : سمعت الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال : لما خرج رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى مكة فى حجه الوداع فلما انصرف منها - وفى خبر آخر : وقد شيعه من مكة اثنا عشر ألف رجل من اليمن وخمسه آلاف رجل من المدينة - جاءه جبرئيل فى الطريق فقال له :

يا رسول الله إن الله تعالى يقرؤك السلام ، وقرأ هذه الآية : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .. فقال له رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : يا جبرئيل إن الناس حديثو عهد بالإسلام فأخشى أن يضطربوا ولا يطيعوا

فقال له : يا جبرئيل أخشى من أصحابي أن يخالفوني ، فخرج جبرئيل ونزل عليه فى اليوم الثالث وكان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بموضع يقال له غدِير خم ، وقال له : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس.

فلما سمع رسول الله هذه المقالة قال للناس : أنيخوا ناقتي فوالله ما أبرح من هذا المكان حتى أبلغ رساله ربي ، وأمر أن ينصب له منبر من أقتاب الإبل وصعداها وأخرج معه علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وقام قائماً وخطب خطبه بليغه ، وعظ فيها وزجر ، ثم قال فى آخر كلامه : يا أيها الناس ألسن أولى بكم منكم ؟

فقالوا : بلى يا رسول الله

فلما كان بعد ثلاثه ، وجلس النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مجلسه أتاه رجل من بنى مخزوم يسمى عمر بن عتبة - وفى خبر آخر حارث بن النعمان الفهرى ، فقال :

يا محمد أسألك عن ثلاث مسائل.

فقال : سل عما بدا لك.

فقال : أخبرني عن شهاده أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أمنك أم من ربك ؟

قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أَوْحَى إِلَى مِنْ اللَّهِ ، وَالسَّفِيرِ جِبْرِئِيلَ ، وَالْمُؤَذِّنَ أَنَا ، وَمَا أذْنَتُ إِلَّا مِنْ أَمْرِ رَبِّي .

قال : فأخبرني عن الصلاة والزكاة والحج والجهاد ، أمنك أم من ربك ؟

قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مثل ذلك .

قال : فأخبرني عن هذا الرجل - يعنى على بن أبى طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - وقولك فيه : من كنت مولاه فهذا على مولاه .. الى آخره ، أمنك أم من ربك ؟

قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : الْوَحَى إِلَيَّ مِنْ اللَّهِ ، وَالسَّفِيرِ جِبْرِئِيلَ ، وَالْمُؤَذِّنَ أَنَا ، وَمَا أذْنَتُ إِلَّا مَا أَمَرَنِي .

فرفع المخزومي رأسه الى السماء فقال : اللهم إن كان محمد صادقاً فيما يقول فأرسل على شواظاً من نار ، وفي خبر آخر فى التفسير فقال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء ، وولى ، فوالله ما سار غير بعيد حتى أظلمته سحابه سوداء ، فأرعدت وأبرقت فأصعقت ، فأصابته الصاعقه فأحرقتة النار ! فهبط جبرئيل وهو يقول : إقرأ يا محمد : سألت سائل بعداب واقع ، للكافرين ليس له دافع .

فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لأصحابه : رأيتم ؟!

قالوا : نعم .

قال : وسمعتم ؟

قالوا : نعم .

قال : طوبى لمن والاه والويل لمن عاداه ، كأنى أنظر الى على وشيعته يوم القيامة يزفون على نوقٍ من رياض الجنة ، شبابٌ متوجون مكحلون لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، قد أيدوا برضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم ، حتى سكنوا حظيره القدس من جوار رب العالمين ، لهم فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون ، ويقول لهم الملائكة : سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

ص : ٣٣٤

العلامة الحلبي في الكشكول : عن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان الباوردي

فقال النضر بن الحارث الفهري : إذا كان غداً اجتمعوا عند رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حتى أقبل أنا وأتقاضاه ما وعدنا به في بدء الإسلام ، وانظر ما يقول ، ثم نحتج ، فلما أصبحوا فعلوا ذلك فأقبل النضر بن الحارث فسلم على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال :

يا رسول الله إذا كنت أنت سيد ولد آدم ، وأخوك سيد العرب ، وابنتك فاطمة سيده نساء العالمين ، وابناك الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وعمك حمزة سيد الشهداء ، وابن عمك ذو الجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء. وعمك جلدته بين عينيك وصنو أبيك ، وشيبه له السدانه ، فما لسائر قومك من قریش وسائر العرب ؟!

فقد أعلمتنا في بدء الإسلام أنا إذا آمنا بما تقول لنا مالك وعلينا ما عليك.

فأطرق رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طويلاً ثم رفع رأسه فقال :

أما أنا والله ما فعلت بهم هذا ، بل الله فعل بهم هذا فما ذنبي ؟!

فولى النضر بن الحارث وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم.

يعنى الذى يقول محمد فيه وفى أهل بيته ، فأنزل الله تعالى : وإذ قالوا إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم .. الى قوله : وهم يستغفرون.

فبعث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الى النضر بن الحارث الفهري وتلا- عليه الآية فقال : يا رسول الله إني قد سررت ذلك جميعه أنا ومن لم تجعل له ما جعلته لك ولأهل بيتك من الشرف والفضل فى الدنيا والآخرة ، فقد أظهر الله ما أسررنا به.

أما أنا فأسألك أن تأذن لى أن أخرج من المدينة ، فإنى لا أطيق المقام بها ! فوعظه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إن ربك كريم ، فإن أنت صبرت وتصابرت لم يخلك من مواهبه ، فارض

وسلم ، فإن الله يمتحن خلقه بضروب من المكاره ، ويخفف عمن يشاء ، وله الخلق والأمر ، مواهبه عظيمه ، وإحسانه واسع .

فأبى الحارث ، وسأله الإذن فأذن له رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فأقبل الى بيته وشد على راحلته وركبها مغضباً ، وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

فلما صار بظهر المدينة وإذا بطيرٍ في مخلبه حجرٌ ، فأرسله إليه فوقع على هامته ، ثم دخلت في دماغه وخرج من جوفه ووقع على ظهر راحلته وخرج من بطنها ، فاضطربت الراحله وسقطت وسقط النضر بن الحارث من عليها ميتين ، فأنزل الله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع للكافرين - بعلى وفاطمه والحسن والحسين وآل محمد - ليس له دافع من الله ذى المعارج . انتهى .

وقال في هامشه : لم نجد كتاب الكشكول للعلامة الحلبي (رحمه الله) بل هو للمحدث الجليل العلامة السيد حيدر بن علي الحسيني الآملي من علماء القرن الثامن الهجري أوله : أما البدايه فليس بخفى من علمك ولا يستتر عن فهمك وآخره : والحمد لله رب العالمين والعاقبه للمتقين . انتهى .

روايه المناقب لابن شهر آشوب

- بحار الأنوار : ٣١ / ٣٢٠

١٧ - قب : أبو بصير عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : يا على لولا أننى أخاف أن يقول فيك ما قالت النصرارى فى المسيح لقلت اليوم فيك مقاله لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدمك . الخبر .

قال الحارث بن عمرو الفهرى لقوم من أصحابه : ما وجد محمد لابن عمه مثلاً إلا عيسى بن مريم يوشك أن يجعله نبياً من بعده . والله إن آلهتنا التى كنا نعبد خيرٌ منه ! فأنزل الله تعالى : ولما ضرب بن مريم مثلاً - الى قوله : وإنه لعلم للساعة فلا - تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم .

ص : ٣٣٦

وفى روايه : أنه نزل أيضاً : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه الآية. فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) :

يا حارث اتق الله وارجع عما قلت من العداوه لعلى بن أبى طالب.

فقال : إذا كنت رسول الله وعلى وصييك من بعدك وفاطمه بنتك سيده نساء العالمين والحسن والحسين ابناك سيدا شباب أهل الجنة ، وحمزه عمك سيد الشهداء ، وجعفر الطيار ابن عمك يطير مع الملائكة فى الجنة ، والسقايه للعباس عمك ، فما تركت لسائر قريش وهم ولد أبيك !

فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : ويلك يا حارث ما فعلت ذلك بنى عبد المطلب ، لكن الله فعله بهم !

فقال : إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء الآية.

فأنزل الله تعالى : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، ودعا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الحارث فقال : إما أن تتوب أو ترحل عنا.

قال : فإن قلبى لا يطاوعنى الى التوبه ، لكنى أرحل عنك !

فركب راحلته فلما أصحر ، أنزل الله عليه طيراً من السماء فى منقاره حصاه مثل العدسه فأنزلها على هامته وخرجت من دبره الى الأرض ، ففحص برجله وأنزل الله تعالى على رسوله : سأل سائل بعذاب واقع للكافرين - بولايه على.

روايه على بن ابراهيم القمى

- تفسير القمى : ٢ / ٣٨٥

أخبرنا أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الله ، عن محمد بن على ، عن على بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبى الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى قوله : سأل سائل بعذاب واقع قال : سأل رجل عن الأوصياء وعن شأن ليله القدر ، وما يلهمون فيها ؟ فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : سألت عن عذاب واقع ، ثم كفر بأن ذلك لا يكون ، فإذا وقع فليس له من دافع.

ص : ٣٣٧

وهناك أسانيد أخرى ، يصعب استقصاؤها فراجع شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ، وكنز الحقائق للكرجكي ، والفضائل لشاذان بن جبرئيل ، وتفسير القمي ، والمناقب لابن شهر آشوب ، وغاية المرام للبحراني .. وغيرها.

النتيجة صحة أصل الحديث ، وتعدد العقاب الإلهي

المتأمل في روايات العقاب الالهى العاجل لمن اعترض على ولاية علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يصل الى نتيجتين :

الأولى : أن أصل الحديث مستوفٍ لشروط الصحة .. فمهما كان الباحث بطيء التصديق ، ميالاً للتشكيك ، وأجاز لنفسه القول إن الشيعة وضعوا هذا الحديث ودونوه في مصادرهم .. فلا يمكنه أن يفسر وجوده في مصادر السنه بذلك ، لأن عدداً من أئمتهم المحدثين قد رووه وتبنوه ، كما رأيت.

نعم قد يعترض متعصبٌ بأن هؤلاء الأئمة السنيين ، قد رووا ذلك عن أئمة أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

وجوابه أولاً ، أن مقام أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) عند السنه لا يقل عن مقام كبار أئمتهم ، خاصةً مثل الإمامين الباقر والصادق (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) اللذين يروى عنهما مباشرةً أو بالواسطة عددٌ من كبار أئمتهم ، مثل أبي عبيد والسفيانيين والزهرى ومالك وأحمد .. وغيرهم.

والحساسيه التي قد تراها عند السنيين من أحاديث أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إنما هي مما نزويه نحن الشيعة ، أما ما يرويه عنهم أئمتهم ، فقد قبلوه ودونوا عدداً منه في صحاحهم.

وجوابه ثانياً ، أن طرق الحديث ليست محصورةً بأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فقد تقدم طريق الحاكم الحسكاني عن حذيفه ، وأبي هريره ، وغيرهما أيضاً.

والنتيجة الثانيه : أن الحادثه التي وردت في الأحاديث المتقدمه وغيرها لا يمكن أن تكون حادثه واحده ، بل هي متعدده .. وذلك بسبب تعدد الأسماء ، ونوع العقوبه والأمكنه ، والأزمنه ، والملابسات المذكوره في روايات الحديث.

فروايه أبي عبيد والثعلبي وغيرها تقول إن الحادثه كانت فى المدينه أو قربها ، وأن العذاب كان بحجرٍ من سجيل .. وروايه أبى هريره وغيرها تقول إن الاعتراض كان فى نفس غدیر خم بعد خطبه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وأن العقوبه كانت بنازٍ نزلت من السماء .. وبعضها يقول إنها كانت بصاعقه ..

والأسماء الوارده متعدده أيضاً ، والتصحيح يصح فى بعضها ، لكن لا يصح فى جميعها.

المسأله السابعه : عشيره سأل بعذاب واقع

اشاره

بقيت عده مسائل وبحوث ، تتعلق بموضوعنا :

منها ، عدد المعترضين على النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد الغدير ، وهوياتهم .. ونوع العقوبه الإلهيه ، التى وقعت عليهم ..

ومننا ، ما أحدثه الإعلان النبوى عن ولايه العتره من تأثيرٍ على المسلمين عامه ، وعلى قريشٍ خاصه .. وما يتصل به من الجو العام فى الشهرين الأخيرين من حياه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، والآيات التى نزلت ، والأحداث التى وقعت .. ومن أهمها تشاور الأنصار وعرضهم على النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يخصصوا له ولعترته ثلث أموالهم لمصارفهم ، ونزول آيه « قل لأسألكم عليه أجراً إلا الموده فى القربى » وزيادة حساسيه قريش بسبب ذلك.

ومن أهمها أيضاً ، أن النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قرر أن يرسل كل شخصيات قريش المؤثرين فى جيشٍ الى مؤته ، وأمر عليهم شاباً أسود البشره من أصل إفريقى عمره تسع عشره سنه ، هو أسامه بن زيد ! وهدفه من ذلك أن يوجه نظر الأمه الى الجبهه الخارجيه ، ويفرغ المدينه من المخالفين لعترته ، حتى إذا توفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يكن فيها إلا على والأنصار .. الى آخر الأحداث والأوضاع التى كانت فى هذه الفتره الحاسمه ..

ومنها ، بحث محاولتي اغتيال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد إعلان الغدير ، في طريق رجوعه في عقبه هرشي ، وفي قصة لده وإعطائه الدواء عندما أغمى عليه من الحمى في مرضه رغم أنه كان نهاهم عنه !

ومنها ، قصة الصحف الملعونه الثالثه ، التي ورد في مصادرنا أن المعارضين لإعلان ولايه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كتبوها في المدينه ، وتعاهدوا ضد آل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) !

ومن البحوث المفيده أيضاً ، بحث فضل يوم الغدير ، وما ورد في مصادر الفريقين من استحباب صومه ، والشكر وإظهار السرور فيه .. الخ.

ومع أنها جميعاً بحوث مفيده ، ترتبط بموضوعنا .. لكن فضلنا عدم الإطاله بها ، واقتصرنا على أولها ، وهو عشيره بنى عبد الدار القرشيه ، التي ورد عند الفريقين أن آيه « سأل سائل بعذاب واقع » نزلت في رئيسها النضر بن الحارث ، وفي ابنه جابر بن النضر .. وغرضنا من هذا البحث أيضاً أن يكون مكملاً للتصور الصحيح عن قبائل قريش ، وحسدها الشديد للنبي وأهل بيته الطاهرين ، صلى الله عليه وعليهم.

الحسد القديم وحلف لعقه الدم

كانت الجزيره العربيه مجتمعات قبليه ، ومعظم مناطقها تحكمها القبائل وليس فيها حكومه مركزيه.

وكانت الصراعات والحروب ، والتحالفات القبليه أمراً شائعاً بين قبائلها ، ومنها قبائل قريش.

ومن أهم الأحلاف القرشيه التي سجلتها مصادر التاريخ ، حلف الفضول الذي دعا اليه عبد المطلب جد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .. وسمى حلف المطيبين ، لأنهم أكدوا تحالفهم بغمس أيديهم في جفنه طيب صنعها لهم بنت عبد المطلب.

وكانت أهم بنود هذا الحلف : أن يحموا الكعبه الشريفه ممن يريد بها شراً ، ويمنعوا الظلم فيها ، وينصروا المظلوم حتى يصل الى حقه.

وهو الحلف الذى شارك فيه النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وكان عمره الشريف نحو عشرين سنة .. بل تدل بعض الأحاديث على أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أمضاه بعد بعثته ، كما فى مسند أحمد : ١ / ١٩٠ قال : شهدت حلف المطيين مع عمومى وأنا غلامٌ ، فما أحب أن لى حمر النعم ... وصححه الحاكم : ٢ / ٢٢٠.

وكان هذا الحلف جواباً لحلف مضادٍ ، دعا اليه بنو عبد الدار ، فأجابتهم بعض قبائل قريش ، وعرف حلفهم باسم (لعقه الدم) لأنهم ذبحوا بقره ، وأكدوا تحالفهم بأن يلحق ممثل القبيلة لعقه من دمها !

وقد اختلفت النصوص فى سبب الحلفين ووقتتهما ، فذكر بعضها أنه عند بناء الكعبة بسبب اختلافهم على القبيلة التى تفوز بشرف وضع الحجر الأسود فى موضعه.

وذكر بعضها أنه كان بسبب شكاية بائع مظلوم ، اشترى منه قرشى بضاعه ، وأراد أن يأكل عليه ثمنها ..

والأرجح ما ذكره ابن واضح اليعقوبى من أن بنى عبد الدار حسدوا عبد المطلب ، فدعوا الى حلف لعقه الدم ، فدعا عبد المطلب فى مقابلهم الى حلف المطيين.

- قال اليعقوبى فى تاريخه : ١ / ٢٤٨

ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر ، طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا ، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب ، فمشت بنو عبد الدار الى بنى سهم فقالوا : إمنعونا من بنى عبد مناف فتطيب بنو عبد مناف ، وأسد ، وزهره ، وبنو تيم ، وبنو الحارث بن فهر ، فسموا حلف المطيين.

فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقره وقالوا : من أدخل يده فى دمها ولعق منه ، فهو منا ! فأدخلت أيديها بنو سهم ، وبنو عبد الدار ، وبنو جمح ، وبنو عدى ، وبنو مخزوم ، فسموا اللعقه.

وكان تحالف المطيين ألا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً.

ص: ٣٤١

وقالت اللعنه : قد أعتدنا لكل قبيله قبيله . انتهى .

- وقال اليعقوبى : ١٧ / ٢

حضر رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حلف الفضول وقد جاوز العشرين ، وقال بعدما بعثه الله : حضرت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ، ما يسرنى به حمر النعم ، ولو دعيت اليه اليوم لأجبت .

وكان سبب حلف الفضول أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحميه والمنعه ، فتحالف المطيبون وهم بنو عبد مناف ، وبنو أسد ، وبنو زهره ، وبنو تيم ، وبنو الحارث بن فهر ، على أن لا يسلموا الكعبه ما أقام حراء وثبير ، وما بلّ بحرّ صوفه . وصنعت عاتكه بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه ...

فتذممت قريش فقاموا فتحالفوا ألا يظلم غريبٌ ولا غيره ، وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم ، واجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان التيمى .

وكانت الأحلاف هاشم ، وأسد ، وزهره ، وتيم ، والحارث بن فهر ، فقالت قريش :

هذا فضول من الحلف ، فسمى حلف الفضول . انتهى .

- وفى سيره ابن هشام : ٨٥ / ١

فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، وبنو زهره بن كلاب ، وبنو تيم بن مره بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بنى عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظه بن مره ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب ، مع بنى عبد الدار .

ويفهم من هذه النصوص وغيرها أن حركه التحالف بدأها بنو عبد الدار حسداً لعبد المطلب ، فسعوا للتحالف ضده ، فبادر عبد المطلب ومؤيدوه الى عقد حلف المطيبين قبلهم ، ثم عقد بنو عبد الدار ومؤيدوهم حلف لعقه الدم .

ويفهم منها ، أن أهداف حلف عبد المطلب حمايه الكعبه ونصره المظلوم ، بينما هدف حلف بنى عبد الدار مواجهه المطيبين !

ص : ٣٤٢

بنو عبد الدار أصحاب لواء قريش

وذكر المؤرخون أن بنى عبد الدار ورثوا من جدهم قصى دار الندوة التي كانت شبيهة بمركز لمجلس شيوخ قريش ، تبحث فيها الأمور المهمة ، وتتخذ فيها القرارات ، كما ورثوا لواء الحرب ، فكانوا هم أصحاب لواء قريش فى حروبها ..

- قال البلاذرى فى فتوح البلدان ٦٠

فلم تزل دار الندوة لبنى عبد الدار بن قصى ، حتى باعها عكرمه بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، من معاوية بن أبى سفيان ، فجعلها داراً للإماره. انتهى.

وقد قتل على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من بنى عبد الدار كل من رفع لواء قريش فى وجه رسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فبلغوا بضعه عشر ، وروى أن بعضهم قتلهم عمه حمزه بن عبد المطلب !

- قال ابن هشام فى : ٣ / ٥٨٧ : واصفاً تحميس أبى سفيان وزوجته لبنى عبد الدار فى أحد :

قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بنى عبد الدار إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل رياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه !

فهّموا به وتواعده ، وقالوا : نحن نسلم اليك لواءنا ؟!! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

ويهاً بنى عبد الدار

ويهاً حماه الأدبار

ضرباً بكل بتار

ص: ٣٤٣

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيده للحجاج بن علاط السلمى يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ويذكر قتله طلحه بن أبي طلحه بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، صاحب لواء المشركين يوم أحد :

لله أئى مذنبٍ عن حرمه

أعنى ابن فاطمه المَعَمَّ المَخولا

سبقت يداك له بعاجلٍ طعنه

تركت طليحه للجبين مجدلا

وشددت شدة باسلٍ فكشفتهم

بالجر إذ يهوون أخول أخولا. انتهى.

وقد تتابع على حمل لواء المشركين يوم أحد تسعه من بنى عبد الدار ، وقيل أكثر وركزوا حملاتهم على قتل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد أن تركه المسلمون وهربوا صعوداً فى الجبل ، وثبت الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ومعه على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فى وجه حملات قريش ، التى تواصلت الى ما بعد الظهر !

وكان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يقاتل فى مركزه ، وعلى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يحمل عليهم ، يضرب مقدمتهم ، ثم يغوص فيهم يضرب يميناً وشمالاً ، حتى يصل الى العبدري حامل لوائهم فيحصد رأسه ، فتنكفى الحمله ..

ثم يتحمس عبدري آخر فيحمل لواء الشرك ، ويهجمون باتجاه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فيتلقاهم على (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو راجلٌ وهم فرسان .. حتى قتل من فرسان قريش عشرات ، ومن العبدريين أصحاب ألويتهم تسعه ! فيئسوا وانسحبوا ، ونادى مناديتهم كذباً : قتل محمد !

وقد أصابته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بضع جراحات ، وأصابت علياً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بضع وسبعون جراحه ! منها جراحاتٌ بليغه ، روى أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مسح عليها بريقه فبرأت.

بنو عبد الدار علموا قريشاً فنا فى الدفاع

ومن طريف ما ذكره المؤرخون عن بنى عبد الدار الشجعان ، أنهم أول من علم قريشاً أسلوباً فى الدفاع عن نفسها فى الحرب أمام بنى هاشم ، فقد ابتكروا طريقه للإستفاده فى الحرب من ترفع بنى هاشم وسموهم الأخلاقى !

- روى ابن كثير فى السيره : ٣ / ٣٩ ، ناقلاً عن ابن هشام :

لما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت رايه الأنصار ، وأرسل الى على : أن قدم الرايه ، فقدم على وهو يقول : أنا أبو القصم ، فناداه أبو سعد بن أبى طلحه ، وهو صاحب لواء المشركين : هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجه ؟ قال : نعم .

فبرزوا بين الصفين ، فاختلفا ضربتينا ، فضربه على فصرعه ، ثم انصرف ولم يجهز عليه !

فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟

فقال : إنه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله .

وقد فعل ذلك على (رضى الله عنه) يوم صفين مع بسر بن أبى أرطاه ، لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته ، فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صفين ، أبدى عن عورته ، فرجع على أيضاً . ففى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفى كل يوم

فارسٌ غير منتَه

وعورته وشطَّ العجاجه باديَه

يكفُّ لها عنه على سنانه

ويضحك منها فى الخلاء معاويه

النضر بن الحارث رئيس بنى عبد الدار

- قال ابن هشام : ١ / ١٩٥

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العدواه ، وكان قدم الحيره وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمه الله ، خلفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلم الى فأنا

ص : ٣٤٥

أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟!

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثل ما أنزل الله.

قال ابن اسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن ، قول الله عز وجل : إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين.

وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن. انتهى.

وذكر ابن هشام ١ / ٢٣٩ قول النضر عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) (وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبتها كما اكتبتها !!).

- وقال السيوطى فى الدر المنثور : ٣ / ١٨١

وأخرج ابن جرير عن عطاء قال : نزلت فى النضر : وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء ، وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب ، ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وسأل سائل بعذاب واقع !

قال عطاء (رضى الله عنه) : لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله. انتهى.

- وروى نحوه فى : ٥ / ٢٩٧ ، عن عبد بن حميد.

- وقال عنه فى تفسير الجلالين ٥٤٠

وهو النضر بن الحارث ، كان يأتى الحيره يتجر فيشترى كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول : إن محمداً يحدثكم أحاديث عادٍ وثمود ، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم ، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ! انتهى.

وقد عرفت أن مصادرنا وعدداً من مصادر السنين ذكرت أن السائل بالعذاب الواقع هو جابر بن النضر بن الحارث ، أو الحارث الفهرى. وأن أكثر مصادر السنين رجحت أنه أبوه النضر بن الحارث ، اعتماداً على روايات عن ابن جبير وابن عباس غير مرفوعه.

فقد روى الحاكم فى المستدرک : ٢ / ٥٠٢ : عن سعيد بن جبير ، سأل سائل

بعذاب واقع ، قال : هو النضر بن الحارث بن كلده ، قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء .

- وقال السيوطى فى الدر المنثور : ٦ / ٢٦٣ : أخرج الفريابى ، وعبد بن حميد ، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، عن ابن عباس ... الخ. ولم أجد فى مصادر السيره والتراجم عن الإبن غير قصه هلاكه بحجر من السماء ، لكفره وبغضه لأهل بيت النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولعله كان شاباً ، أو أنهم عَتَمُوا على ذكره حسداً لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ويدل الموجود فى مصادر السيره على أن الأب أسوأ من الإبن بكثيرٍ ، لأنه من كبار الفراعنه الذين واجهوا النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، ولعل ابنه لو عاش لفاق أباه فى كفرأ وعتوأ !!

وكان النضر عضو مجلس الفراعنه المتآمرين على النبى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

- قال ابن هشام : ١ / ١٩١

قال ابن اسحاق : ثم إن الإسلام جعل يفتش بمكه فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين .

ثم إن أشراف قريش من كل قبيله اجتمع عتبه بن ربيعه ، وشيبيه بن ربيعه ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث أخو بنى عبد الدار ، وأبو البخترى بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعه بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أميه ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأميه بن خلف ، أو من اجتمع منهم ...

قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبه ، قال بعضهم لبعض : إبعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فقالوا له :

ص : ٣٤٧

يا محمد ، إنا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام وفرقت الجماعه ، فما بقى أمرٌ قبيحٌ إلا قد جئته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رثياً - فربما كان ذلك بـذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مأبى ما تقولون ، ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولاً ، وأنزل على كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم ... الى آخر مناظرتهم .

- وقال ابن هشام : ٢ / ٣٣١ -

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوه ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ... وقد اجتمع فيها أشرف قريش : من بنى عبد شمس : عتبه بن ربيعه ، وشيبه بن ربيعه ، وأبوسفيان بن حرب . ومن بنى نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدى ، وجبير ابن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل . ومن بنى عبد الدار بن قصي : النضر ابن الحارث بن كلده ... الخ .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد .

قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كان قبيله فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطى كل

ص : ٣٤٨

فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربه رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعها ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. انتهى.

ورواه الطبرى فى تاريخه : ٢ / ٩٨

وكان النضر رسول قريش الى اليهود

- جاء فى سيره ابن هشام : ١ / ١٩٥

قام النضر بن كلده بن علقمه بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ... فقال :

يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيله بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانه ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتُم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحره ونفتهم وعقدهم. وقلتُم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتُم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه. وقلتُم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه.

يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عقبه بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينه ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجا حتى قدما المدينه ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله وقالوا لهم : إنكم أهل التوراه ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ؟.

فقالت لهما أحبار يهود : سلوه عن ثلاثٍ نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فالرجل متقول ، فَرَوْا فيه رأيكم.

ص : ٣٤٩

سلوه عن فتيه ذهبوا في الدهر الأول : ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجيب ؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبأه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟

فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ... الى آخر القصة. ورواها في عيون الأثر : ١ / ١٤٢

كاتب الصحيفة الملعونه الأولى ضد بني هاشم

- قال ابن هشام : ١ / ٢٣٤

اجتمعوا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفه ، تعاهدوا وتوثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبه توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمه بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسل بعض أصابعه.

وقال ابن واضح اليعقوبي في تاريخه : ٢ / ٣١

وهمت قريش بقتل رسول الله ، وأجمع ملأها على ذلك ، وبلغ أبا طالب فقال :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم

حتى أغيب في التراب دفينا

ودعوتني وزعمت أنك ناصح

ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

وعرضت ديناً قد علمت بأنه

من خير أديان البريه دينا

فلما علمت قريش أنهم لا يقدرّون على قتل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وأن أبا طالب لا يسلمه ، وسمعت بهذا من قول أبي طالب ، كتبت الصحيفة القاطعه الظالمه ألا يبيعوا أحداً من بني هاشم ، ولا يناكحوهم ، ولا يعاملوهم ، حتى يدفعوا اليهم محمداً فيقتلوه. وتعاهدوا على ذلك وتعاهدوا ، وختموا على الصحيفة بثمانين

خاتماً ، وكان الذى كتبها منصور بن عكرمه بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، فشلت يده .

ثم حصرت قريش رسول الله وأهل بيته من بنى هاشم وبنى المطلب ابن عبد مناف فى الشعب الذى يقال له شعب أبى طالب ست سنين من مبعثه .

فأقام ومعه جميع بنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ثلاث سنين ، حتى أنفق رسول الله ماله ، وأنفق أبو طالب ماله ، وأنفقت خديجه بنت خويلد مالها ، وصاروا الى حد الضر والفاقة .

ثم نزل جبريل على رسول الله فقال : إن الله بعث الأرضه على صحيفه قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعه وظلم ، إلا المواضع التى فيها ذكر الله !

فخبر رسول الله أبا طالب بذلك ، ثم خرج أبو طالب ومعه رسول الله وأهل بيته حتى صار الى الكعبه فجلس بفنائها ، وأقبلت قريش من كل أوب فقالوا : قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد وأن تشتاق الى قومك ، وتدع اللجاج فى ابن أخيك .

فقال لهم : يا قوم أحضروا صحيفتكم فلعلنا أن نجد فرجاً وسبباً لصله الأرحام وترك القطيعه ، وأحضروها وهى بخواتيمهم .

فقال : هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها ؟

قالوا : نعم .

قال : فهل أحدثتم فيها حدثاً ؟

قالوا : اللهم لا .

قال : فإن محمداً أعلمنى عن ربه أنه بعث الأرضه فأكلت كل ما فيها إلا ذكر الله ، أفرايتم إن كان صادقاً ماذا تصنعون ؟

قالوا : نكف ونمسك .

قال : فإن كان كاذباً دفعته اليكم تقتلونه .

قالوا : قد أنصفت وأجملت .

ص : ٣٥١

وفضت الصحيفه فإذا الأرضه قد أكلت كل ما فيها إلا مواضع بسم الله عز وجل.

فقالوا : ما هذا إلا سحر ، وما كنا قطُّ أجَدَّ في تكذيبه منا ساعتنا هذه !!

وأسلم يومئذ خلق من الناس عظيم ، وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو المطلب فلم يرجعوا اليه. انتهى.

وقد وردت روايه شعر أبي طالب (ودعوتني وعلمت أنك ناصح) وهو الأنسب لجو القصيده ، وإيمان أبي طالب (رحمه الله) ، وقد بحثنا افتراءات قريش عليه في المجلد الثالث من العقائد الإسلاميه.

وكان النضر من المطعمين جيش قريش في بدر

وقد تقدم في البحث الخامس أن النضر أحد الرهط الذين كانوا يطعمون جيش قريش في حرب بدر ، وقد عدّه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من أفلاذ أكباد مكه ، عاصمه قريش ! (ابن هشام : ٢ / ٤٨٨ ، وتاريخ الطبرى : ٢ / ١٤٢)

نهايه الأول من فراعنه سأل سائل

- سيره ابن هشام : ٢ / ٢٠٦ - ٢٠٧

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً الى المدينه ، ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عقبه بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث قال ابن اسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ، قتل النضر بن الحارث ، قتله على بن أبي طالب ، كما خبرني بعض أهل العلم من أهل مكه.

قال ابن اسحاق : ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبيه ، قتل عقبه ابن أبي معيط.

(راجع أيضا سيره ابن هشام : ٢ / ٢٨٦ و ٥٢٧ ، وتاريخ الطبرى : ٢ / ١٥٧ و ٢٨٦).

- وفي معجم البلدان : ١ / ٩٤

الأثيل : تصغير الأثل موضع قرب المدينه ، وهناك عين ماء لآل جعفر بن أبي طالب ، بين بدر ووادى الصفراء ، ويقال له ذو أثيل وكان النبي صلى الله عليه

ص : ٣٥٢

وسلم ، قتل عنده النضر بن الحارث بن كلده ، عند منصرفه من بدر ، فقالت قتيله بنت النضر ترثي أباهما ، وتمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا راكباً إن الأثيل مظنه

من صبحِ خامسهٍ ، وأنت موفقُ

بلغ به ميتاً ، فإن تحيه

ما إن تزال بها الركائب تخفق

منى اليه ، وعبره مسفوحه

جادت لمائجها وأخرى تخفق

فليسمع النضر ، إن ناديته

إن كان يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه

لله أرحام هناك تشقق !

أمحمد ! ولإنت ضنء نجيبه

فى قومها ، والفحل فحل معرق

لو كنت قابل فديه ، فلنأتى

ن بأعز ما يغلو لديك وينفق

ما كان ضررك لو مننت وربما

منّ الفتى ، وهو المغيظ المحنق

والنضر أقرب من أصبت وسيله

وأحقهم ، إن كان عتق يعتق

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم شعرها رق لها ، وقال : لو سمعت شعرها قبل قتله لو هبته لها. انتهى.

ومن الثابت عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنه كان أكره الناس للقتل ، وأنه لم يقتل أحداً إلا عند اللزوم والضرورة .. وحسبك أن جميع القتلى في جميع حروبه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ومن أقام عليهم الحد الشرعى لا يبلغون سبع مئة شخص ، وبذلك كانت حركته العظيمة (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أعظم حركه في نتائجها ، وأقل حركه في كلفتها !

لهذا لا يبعد أن يكون قتله للنضر تم بأمر الله تعالى ، لأنه جرثومه شرٍ وفساد ! وكذلك صديق النضر وشريكه في الشر ، عقبه بن معيط الأموى ، وكان صاحب خماره ومبغى في مكة ، وكان معروفاً بإلحاده.

وإذا صح ما قاله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لبنت النضر الشاعره ، فلا ينافى أن قتله لأبيها كان بأمر الله تعالى ، لأن معناها أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لو سمع هذا الشعر منها وما فيه من قيم واستعطاف ، قبل أن يقتله ، لطلب من ربه عز وجل أن يأذن له بأن يهب هذا الفرعون لابنته ، ويكفى المسلمين شره ، كما أمكنهم منه فأسروه.

ذكرت مصادر السير والتاريخ أن لواء قريش بعد النضر كان بيد آخرين من بني عبد الدار ، ولم تذكر أن أخاه النضير كان فارساً مثله ، ويظهر أنه صار بعد أخيه النضر رئيس بني عبد الدار ، وإن لم يكن شجاعاً صاحب اللواء ، فقد وصفه رواه قريش وأصحاب السير بالحلم ، إشاره الى أنه كان سياسياً محباً للدعه .. وعدوه من رؤساء قريش والمؤلفه قلوبهم ، الذين أعطى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كل واحد منهم مئه بعيرٍ من غنائم حنين.

- قال الطبري في تاريخه : ٣٥٨ / ٢

فأعطى أبا سفيان بن حرب مائه بعير ، وأعطى ابنه معاويه مائه بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائه بعير ، وأعطى النضير بن الحارث بن كلده بن علقمه أخوا بني عبد الدار مائه بعير ، وأعطى العلاء بن حارثه الثقفي حليف بني زهره مائه بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائه بعير ، وأعطى صفوان بن أميه مائه بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائه بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائه بعير ...

ونحوه في سيره ابن هشام : ٩٢٩ / ٤ ، وابن كثير : ٦٨٢ / ٣ وتاريخ اليعقوبي

وقد تقدم ذكره في البحث الخامس ، واعترافه بأنه خطط مع زعماء قريش لقتل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في حنين ، ولم يتمكنوا من ذلك !

وقد اختلط اسم النضير عند بعضهم باسم أخيه النضر ، قال الرازي في الجرح والتعديل : ٤٧٣ / ٨ :

النضر بن الحارث بن كلده العبدي من مسلمة الفتح ، ويقال نضير وليست له روايه ، سمعت أبي يقول ذلك.

وقال في هامشه : وهذا هو الصواب إن شاء الله ، لأن النضر بن الحارث قتل كافراً إجماعاً ، وإنما هذا أخوه ، واحتمال أن يكون مسمى باسمه أيضا بعيد ، وأثبت ما جاء في الروايات أن هذا هو (النضير) راجع الإصابه الترجمتين. انتهى.

ص: ٣٥٤

رواه قريش يجعلون النضير مسلماً مهاجراً شهيداً !

وعلى عادة رواه قريش ، فقد جعلوا من الحارث أو النضير شخصيةً اسلاميةً ، وعدوه في المهاجرين وشهداء اليرموك .. ويظهر أنهم جعلوا كل الذين كانوا في الشام من القرشيين وماتوا في طاعون عمواس ، مثل سهيل بن عمرو والعبدريين ، جعلوهم شهداء ، وعدوهم في شهداء اليرموك !

- قال السمعاني المحب لقريش وبنى أميه ، في أنسابه : ١١٠ / ٣

الرهيئي : بفتح الراء وكسر الهاء بعدهما الياء الساكنه آخر الحروف وفي آخرها النون ، هذه النسبه الى رهين ، وهو لقب الحارث بن علقمه ويلقب بالرهين ، ومن ولده محمد بن المرتفع بن النضير بن الحارث بن علقمه بن كلده بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي الرهيئي ، يروى عن عبد الله بن الزبير ، روى عنه سفيان بن عيينه.

فأما جده النضير بن الحارث فكان من المهاجرين ، وكان يعد من حلماة قريش ، قتل يوم اليرموك شهيداً ، وهو أخو النضر بن الحارث الذي قتله علي بن أبي طالب بالصفراء صبراً يوم بدر ، وكان شديد العداوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نزلت سورة « سأل سائل بعداب واقع » وقالت بنته أبياتاً من الشعر ...

وتبعه في إكمال الكمال : ١ / ٣٢٧ ، وغيره.

هل اعترض النضير على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مثل أخيه وابن أخيه ؟

روت مصادرنا مناقشه غريبه لأحدهم مع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في المدينه ، وسمته النضر بن الحارث الفهري ، ويحتمل أن تكون كلمه الفهري تصحيف العبدري ، نسبةً الى بني عبد الدار ، والنضر تصحيف النضير ..

وإذا صحت نسبتها اليه ، فتكون صدرت منه في المدينه بعد حجه الوداع.

- وقد تقدمت من كتاب مدينه المعاجز للبحراني : ٢ / ٢٦٧ ، وفيها :

أقبل النضر بن الحارث فسلم على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال :

ص : ٣٥٥

يا رسول الله إذا كنت أنت سيد ولد آدم ، وأخوك سيد العرب ، وابنتك فاطمه سيده نساء العالمين ، وابناك الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وعمك حمزه سيد الشهداء ، وابن عمك ذو الجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، وعمك جلدته بين عينيك وصنو أبيك ، وشبيه له السدانه .. فما لسائر قومك من قريش وسائر العرب؟!!

فقد أعلمتنا في بدء الإسلام أنا إذا آمنا بما تقول لنا مالك وعلينا ما عليك.

فأطرق رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال :

أما أنا والله ما فعلت بهم هذا ، بل الله فعل بهم هذا ، فما ذنبي؟!

فوعظه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وقال له : إن ربك كريم ، فإن أنت صبرت وتصابرت ، لم يخلك من مواهبه ، فارض وسلم ، فإن الله يمتحن خلقه بضروب من المكاره ، ويخفف عنمن يشاء ، وله الخلق والأمر ، مواهبه عظيمه ، وإحسانه واسع. فأبى الحارث. انتهى.

- وقد نص ابن هشام : ٢ / ٤٨٨ ، على أن النضير هذا يسمى الحارث أيضاً باسم أبيه ، وسماه يعقوبى في تاريخه : ٢ / ٦٣ (الحارث بن الحارث بن كلده) وهو أمر يوجب الشك ، لأنه يستغرب أن يكون لشخص اسمان معاً ، خاصة إذا كان أحدهما باسم أبيه ، لأن العوائل المالكة في القبائل تحترم اسم الأب ولا تغيره الى اسمٍ آخر ، ولا تضيف معه اسماً آخر ، لأنه يضعفه !

وهذا يفتح باب الإحتمال أن يكون الحارث أخاهم الثالث ، وأن يكون هو الذى ورد اسمه فى بعض الروايات أنه اعترض على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لإعلانه ولايه على والحسين من بعده (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فرماه الله بصاعقه أو حجرٍ من سجيل !

وبذلك يكون العذاب الواقع نزل بثلاثه أشخاص من هذه الأسره : الأيب فى بدر ، وولده جابر الذى نص عليه أبو عبيد ، والحارث هذا .. ويكون اسم عشيره العذاب الواقع مثلث الإنطباق على هذه القبيله !!

كما يحتمل أن يكون صاحبنا النضير بن الحارث ، أو الحارث بن الحارث

العبدري ، هو الحارث المعترض ، لكن لم تنزل عليه العقوبه ، لأنهم ذكروا وفاته في الشام ، وليس بالعذاب الواقع.

ومهما يكن ، فإن من المؤكد أنه يوجد حارثٌ غيره اعترض على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حيث ورد ذكره في تفسير الثعلبي ، وعدد من مصادرنا باسم الحارث بن النعمان الفهري ، وأنه هو صاحب حجر السجيل ، كما تقدم.

وكذلك تقدم اسم الحارث بن عمرو الفهري ، في روايه الحاكم الحسكاني ، وروايه الكافي والمناقب.

ومما يؤيد أنه حارثٌ آخر ، أنهم ترجموا لشخصٍ وأولاده قد ينطبق عليه ، ولم يذكروا عنه شرحاً ، ولا ذكروا سبب موته ! قال ابن كثير في سيرته : ٢ / ٤٩٩ :

عامر بن الحارث الفهري ، كذا ذكره سلمه عن ابن اسحاق وابن عائذ. وقال موسى بن عقبه وزياد عن ابن اسحاق : عمرو بن الحارث.

وقال في ص ٥٠٢ : عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ، ذكره موسى بن عقبه. انتهى.

- وذكر نحوه في عيون الأثر : ١ / ٣٥٨

وعليه ، يكون الحارث صاحب حجر السجيل فهرياً ، وليس عبدرياً.

ويكون جابر بن النضر العبدري الذي ورد في روايه أبي عبيد ، صاحب حجر سجيلٍ آخر .. والله العالم.

الأفجران من قريش أو ... الأفجرون ؟

ورد في مصادر الحديث أن أسوأ قبائل قريش ، وأشدها على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هم بنو أميه ، وبنو المغيره ، وهم فرع أبي جهل من مخزوم ، وورد وصفهم بالأفجرين ..

ولابد أن نضيف اليهم بنى عبد الدار فيكونون الأفجرون بالجمع .. وإن كان الإنسان بعد أن يستثنى بنى هاشم والقله الذين معهم من قريش ، يشك في من هو الأحسن والأفجر من الباقيين !!

ص : ٣٥٧

وأخرج البخارى فى تاريخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى قوله : ألم تر الى الذين بدلوا نعمه الله كفرةً ، قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فمُتَّعُوا الى حين !. انتهى.

ويشبه أن يكون ذلك كلاماً نبوياً رده عمر ، وإذا صح ذلك عنه ، يتوجه اليه السؤال : لماذا ولى معاوية الأموى على حكم الشام ، وأطلق يده ولم يحاسبه أبداً ، ثم رتب الخلافة من بعده فى شورى جعل فيها حق النقض لصهر عثمان الأموى ، فأكمل بذلك تسليم الدولة الإسلامية لأحد الأفجرين من قريش !؟

* *

تم ، والحمد لله رب العالمين

* *

ص : ٣٥٨

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

